القافلة

صفر ١٤٠٨هـ - سبتمبر/ اكتوبر ١٩٨٧م

الجنادرية ومهرجان الرياض الفكري

القافلة ومسيرة ٣٥ عامًا

عدد خاص

القافلة

THE CARAVAN - SEP./OCT. 1987

صفر ١٤٠٨هـ - سبتمبر/أكتوبر ١٩٨٧م

العدد الثاني/المجلد السادس والثلاثون

مجلة ثقافية
تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

توزع مجاناً

المدير العام: فيصل محمد البسام

المدير المسؤول: اسماعيل ابراهيم نواب

رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي

المحرر المساعد: عوني أبوكشك



ص/١



ص/١٨



ص/٢٢



ص/٣٨

صورة الغلاف: صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني يتصدر السرادق عقب افتتاح فعاليات مهرجان الجنادرية.

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ما ينشر في "القافلة" يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز اعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لاتقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية

تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL MUTAWA PRESS CO. DAMMAM



الجنادرية

ومهرجان الرياض الفكري

من اتيحت له الفرصة لحضور المهرجان الوطني الثالث للتراث والثقافة الذي أقيم في شهر رجب الماضي لا يسعه الا الخروج بكثير من الاحاسيس والأفكار والانطباعات.. فهذا المهرجان مع انه قد أتى من منطلق سباق الهجن السنوي الا أنه في هذه المرة قد تجاوز هذا المفهوم.. لقد تجسد في مفهوم حضاري وثقافي وفكري تراثي رائع تحتضنه أرض الجنادرية في الرياض.. فهذه المدينة الرائعة لم تعد رياضا للحدائق والبساتين والعمارات الشاهقة فحسب بل أصبحت رياضا ثرة بالفكر والثقافة والتراث الحضاري بجميع أبعاده. لقد غدت الرياض رياضا للجامعات والمعاهد الفكرية.. امتلأت ردهاتها وقاعات المحاضرات فيها بالمفكرين والعلماء في كل حقل.. وما هذا المهرجان الذي أقيم في ربوعها الا صورة مشرقة لهذه المدينة



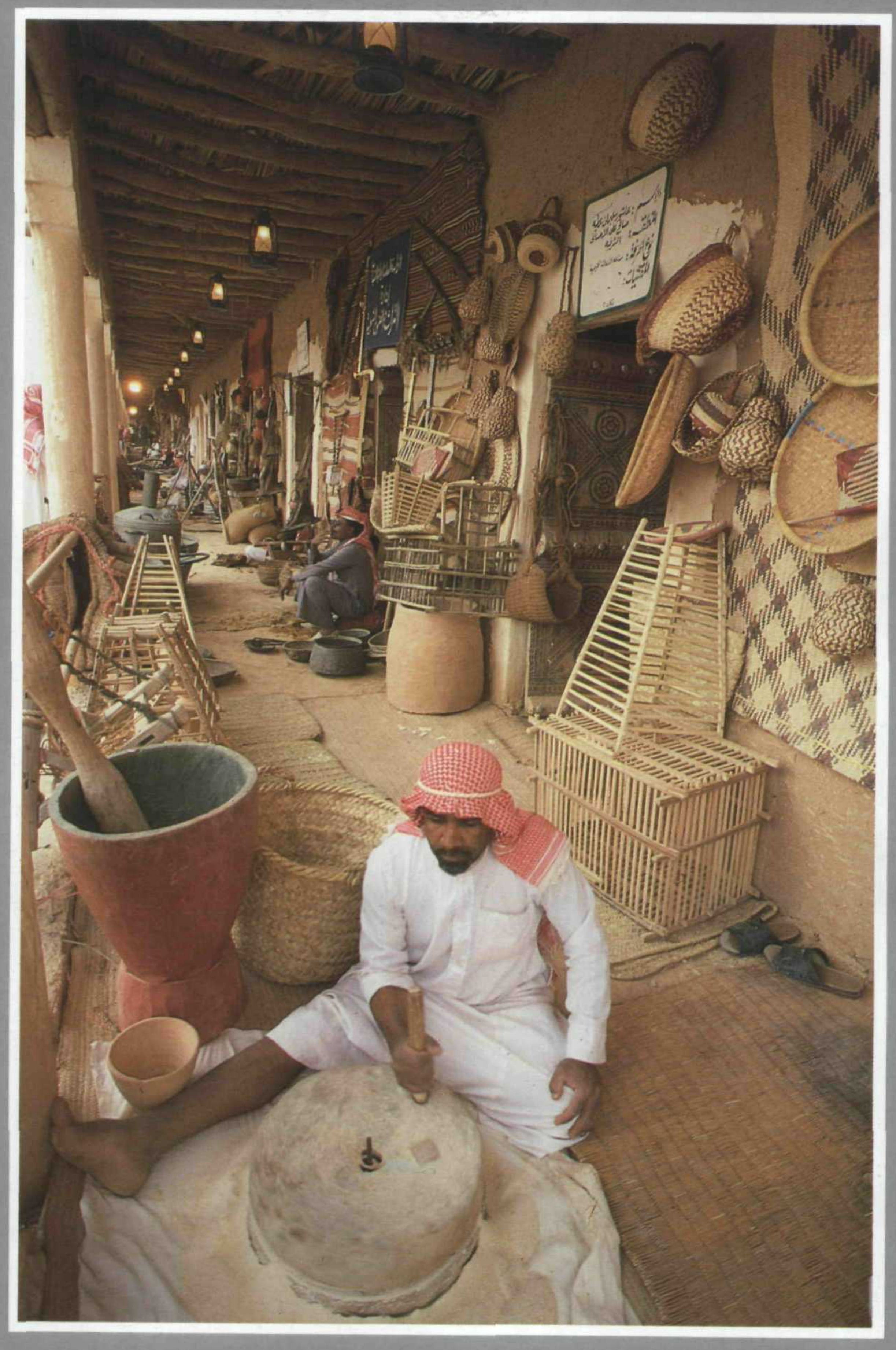
عدد من الباحثين المشاركين في الندوة الثقافية الكبرى.

الرائعة، وتجسيدا لما تعنيه كلمة حضارة وثقافة، فبالاضافة الى النشاطات التي حفل بها المهرجان وما عكسته السوق الشعبية من صورة مشرقة رائعة عن ماضي هذه الأمة، وما تخلل أيام المهرجان من سباق للهجن، الا أن قمة العطاء هو ذلك الاستقطاب الضخم لجمهرة من المفكرين سواء أكان على الساحة المحلية أو العربية او الاسلامية أو العالمية.. وقد توج هذا المهرجان وهذا الاستقطاب بأعمال الندوة الثقافية الكبرى التي اشترك فيها لفيف من المفكرين ببحوث مختلفة تدور في مجملها حول الدراسات الفكرية في اطار الموروث الشعبي في العالم العربي وعلاقته بالابداع الفني والفكري.. وكان من الذين قدموا أوراق العمل خلال الندوة باحثون من المملكة ومن مصر والسودان ولبنان.. ومن أروع ما يلفت النظر في هذه الندوة تلك المناقشات العلمية والموضوعية والبحث الرزين والقول الهادف سحابة أيام المناقشة. الا ما أروعها من أمسيات تجمّع فيها المفكرون ليناقشوا ويحاوروا.. ومهما بلغ النقاش من عنف الا أن الروح العلمية النيرة والموضوعية الهادفة كانت تحف بهذا المهرجان، فمرحى لهذا اللقاء ومرحى لأرض الجنادرية لرياض الفكر..

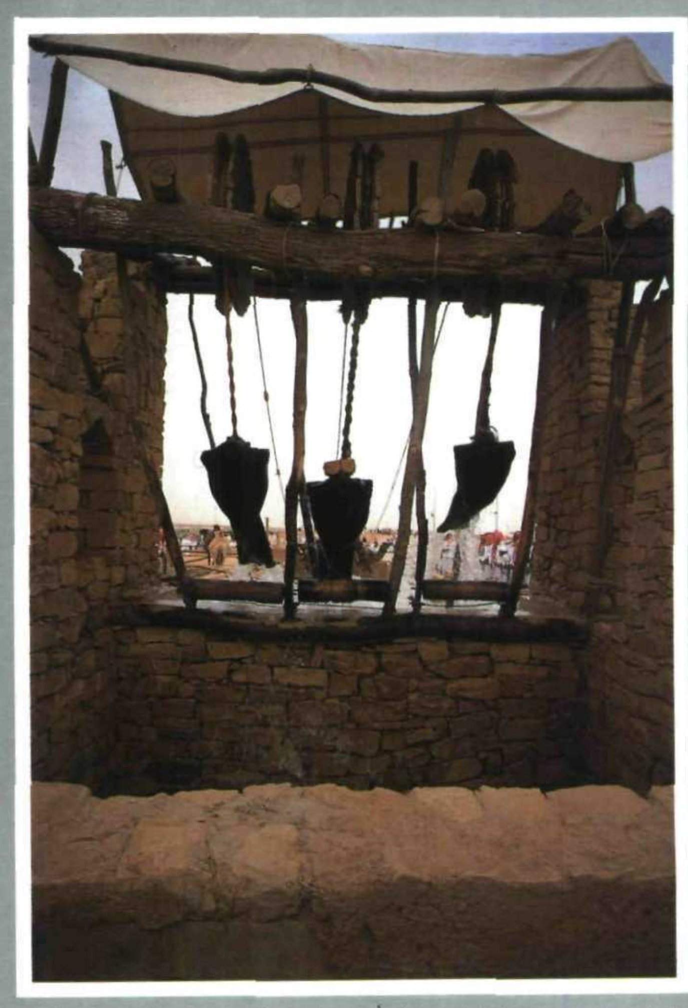
إنها لصورة معبرة عن لقاء المفكرين العرب على صعيد الجنادرية على أرضهم الأم وفي جنبات مدينة الرياض العصرية.. ومع ذلك فقد أتوا مع اختلاف مشاربهم واذواقهم وميولهم، ولسان حالهم كلهم يقول هذه أرضنا الأم وهي المهد الذي انطلق منه الاجداد، هذه هي أرض الرسالة مهد الفكر النير ومبعث الرسالة الخالدة، هذه هي الأرض التي انطلقت منها مواكب الزحف الحضاري الاسلامي الى أصقاع الدنيا.هذه هي أرض الجزيرة ورياضها اليوم قد لبست أحلى الحلل.. حلل الفكر، حلل الحضارة العصرية الراقية المستنيرة بنور الاسلام.. وقد انداحت على مدى البصر لتحتضن ضيوف الجنادرية.. ولا غرابة في ذلك، فهذه الأرض هي مهد حاتم وامريء القيس وعنترة وهم من هم في الفكر والتراث الفكري. ومن قبل ومن بعد فهي مبعث النور والهدى.. مبعث رسالة محمد، صلى الله عليه وسلم، ولقد أقيم المهرجان في رحاب الرياض ليعكس ماضي هذه الأمة أولئك الاشاوس الذين لم تفنهم الصحراء، بل كانوا منار علم وهدى على مر العصور وها هم الاحفاد يأخذون الزمام ليستلهموا ماضيهم وليسيروا في حاضرهم ومستقبلهم آخذين بالأسباب لا يركنون الى الجمود والجهل والضياع ما دام كتاب الله وسنة رسوله بين أيديهم ليسلكوا مسالك الصلاح والتقى باذن الله.

نعم ان المهرجان الوطني الثالث للتراث والثقافة وما دار في جنبات الندوة الثقافية الكبرى من نقاش وما طرح فيها من بحوث لينهض دليلا على الدور الرائع والمبدع والمكانة التي تحتلها الرياض عاصمة بلادنا الحبيبة بين عواصم الدنيا□

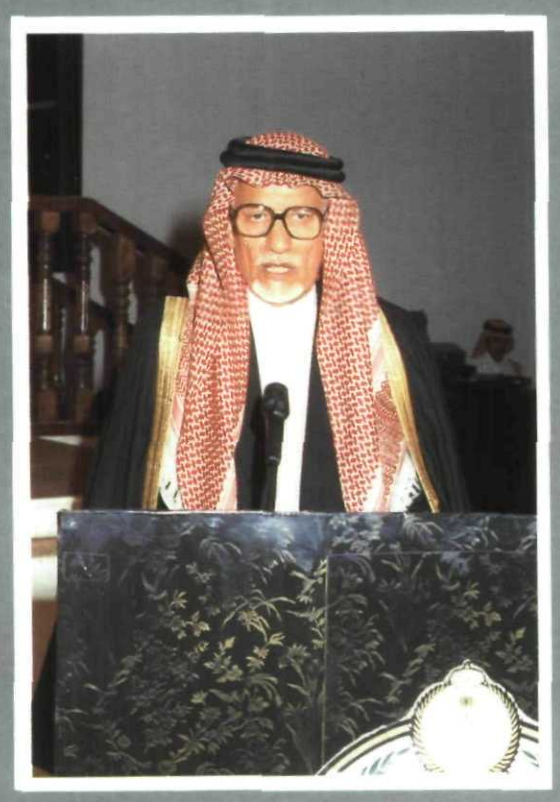
عبدالله حسين الغامدي
رئيس التحرير



جانب من السوق الشعبية ويبدو في الصورة عدد كبير من الادوات التي عرضت في السوق.



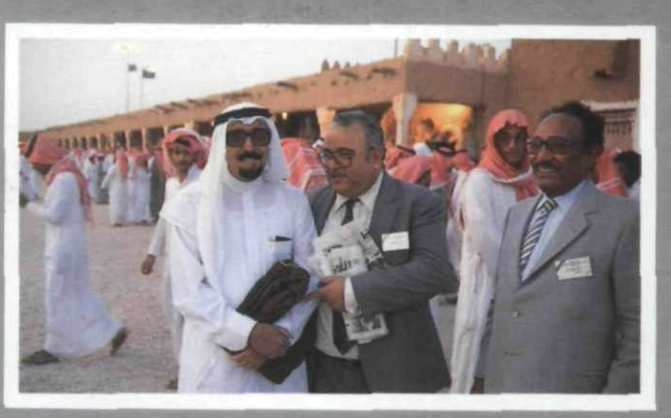
السناية سمة من سمات الزراعة قديما في أرض الجزيرة العربية وها هي الغروب تفرغ ما رفعته من ماء البئر وتختلف الحيوانات المستخدمة لهذا الغرض من منطقة الى أخرى في مناطق المملكة، فالبعض يستخدم الجمال والبعض يستخدم البقر والبعض الآخر يستخدم الحمير.



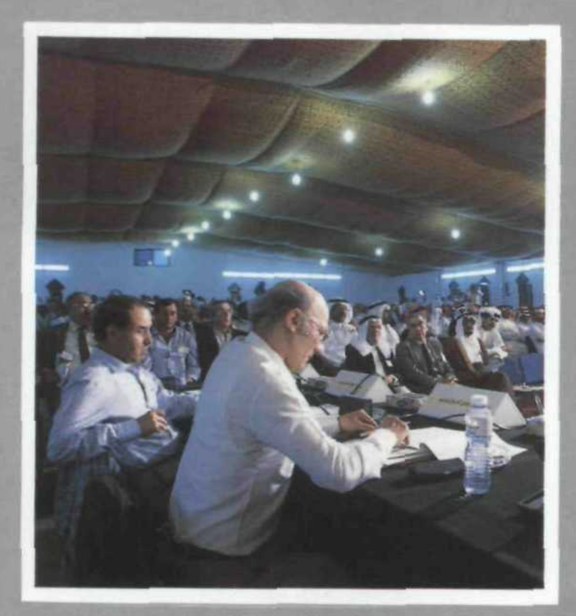
معالي نائب رئيس الحرس الوطني المساعد الشيخ الأديب عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري يلقي كلمة ضافية في مستهل الندوة الثقافية الكبرى.



أربعة فرسان يشاركون في يوم الافتتاح. هذا المنظر رمز الاصالة والقوة والفروسية في أرض الجزيرة العربية.



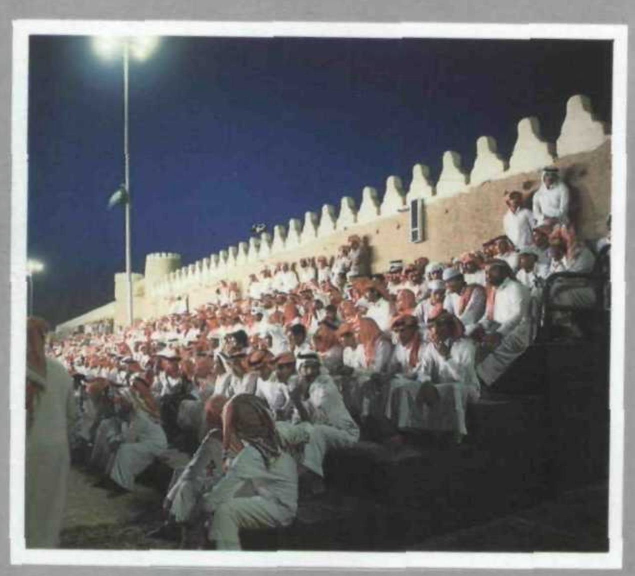
عدد من ضيوف المهرجان يتجولون في السوق الشعبية.



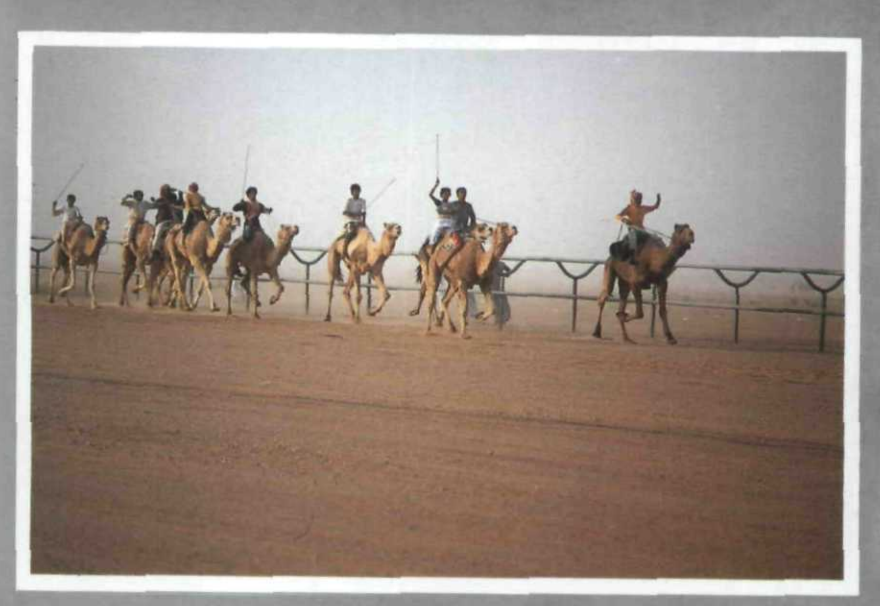
لقطة من الندوة الكبرى في القرية الشعبية.



احد المباني في القرية الشعبية والتي تمثل الماضي ببساطته ومتانته.



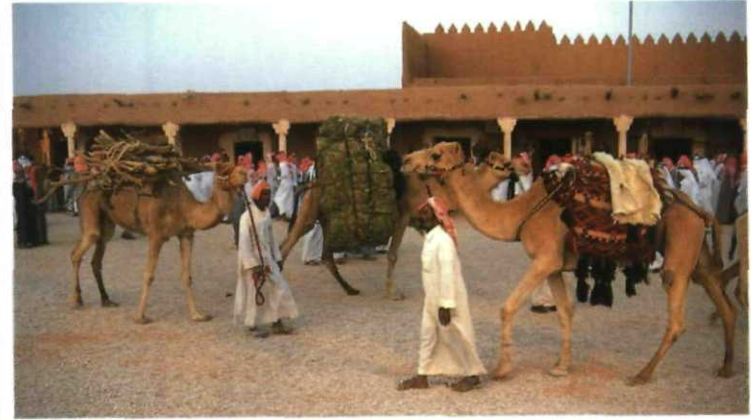
لقطة تمثل جانبا من الحضور الجماهيري.



سباق الهجن كان المنطلق لاقامة القرية الشعبية في الجنادرية.

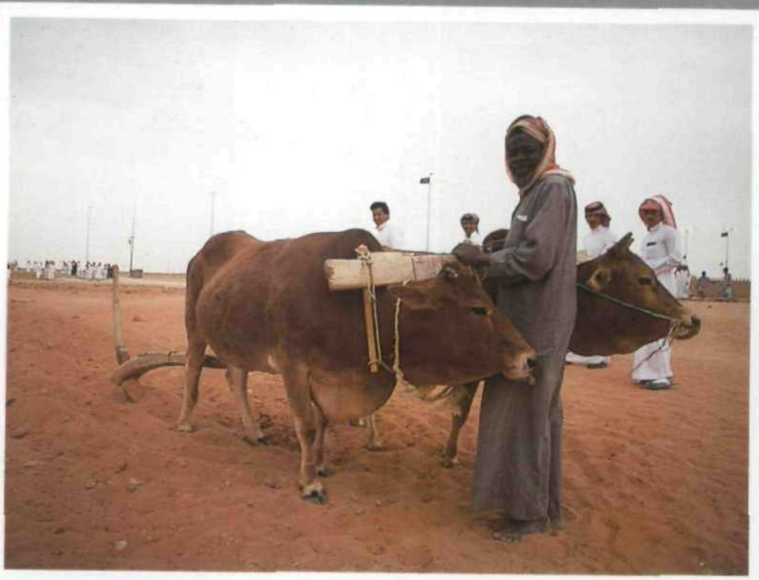


جانب من المدعوين والحضور
أثناء انعقاد الندوة الثقافية الكبرى.

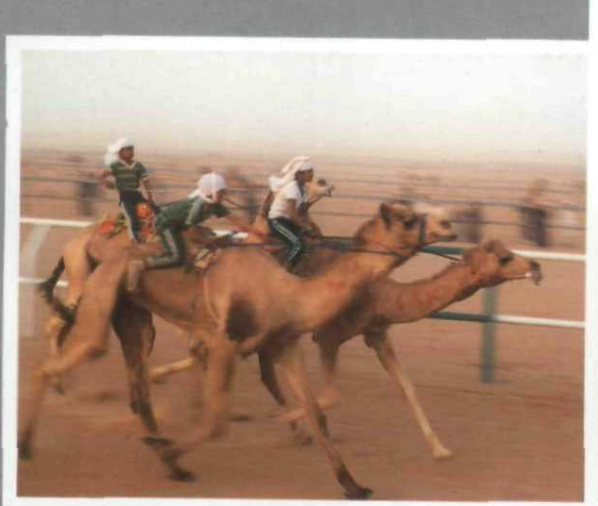


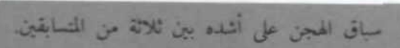
جانب من المهرجان الشعبي وهو يمثل مكانة الجمل في مجتمع الجزيرة العربية وكيف كان يعد من مقومات الحياة في الحل والترحال.

احدى الفرق الشعبية تقدم استعراضاتها أثناء حفل الافتتاح.



الحراثة وادواتها مع استخدام البقر في بعض مناطق المملكة لهذا العمل.





سباق الهجن على أشده بين ثلاثة من المتسابقين.

هودج محمول على بعير يمثل كيف كانت العروس تزف الى عريسها.



البيئة البحرية
كان لها نصيب في قرية التراث
بهذا المركب (السنبوك).



جانب من المدعوين أثناء
الندوة الثقافية الكبرى التي أقيمت
على مدار أيام المهرجان.



العرضة النجدية
أشهر أنواع الفنون الشعبية في المملكة
تقدمها احدى الفرق في حفل الافتتاح.



جانب من المشاركين في الندوة.



احدى الفرق الشعبية
تقدم عروضها أمام المنصة.



الأواني المختلفة من سعف النخيل
وغيره والتي كانت تنتج محليا
لتسد حاجة الانسان في مجتمعه.

مناحي الأصالة عند صلاح الدين وأثرها في جهاده

بقلم : د. محمد بن علي الهرفي / الدمام

ليس من المستغرب أن يتردد على البال سؤال ملح : لماذا صلاح الدين بالذات ؟ ! ولماذا كان النصر حليفه دون غيره من قادة المسلمين ! ! وهل هناك عوامل معينة في شخصية هذا القائد جعلته يحقق ذلك الانتصار الحاسم في تاريخ الحروب الصليبية، أم أن هذا الانتصار جاء على غير موعد ؟ !

أسئلة كثيرة قد تدور في ذهن أي متتبع لتاريخ الحروب الصليبية التي استمرت قرابة قرنين من الزمان ودارت معظم احداثها على أرض المسلمين في الشام.

دعونا نرجع الى الوراء قليلا لنعيش مع صلاح الدين قبل أن يخوض غمار هذه الحروب ولنرى كيف استطاع أن يصمد لها طويلا بروح المقاتل الشجاع والمؤمن الذي لا يخشى الا الله...

يروي ابن شداد في سيرة صلاح الدين أنه ولد في قلعة تكريت في سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة، وكان والده أيوب بن شاذي واليا على هذه القلعة، وعرف عنه الخلق الحسن، وكرم الأصل.. وفي هذا المنبت الطيب ترعرع صلاح الدين، وأخذ عن أبيه محاسن الأخلاق، وعندما انتقل الى الموصل مع والده أعجب به نور الدين زنكي وقربه منه كثيرا، واعتمد عليه في جل أموره.

ونور الدين زنكي هو مهندس الحروب الصليبية ـــ اذا جاز هذا التعبير ـــ واطلق عليه بعض المؤرخين لقب «سادس الخلفاء الراشدين»، وقد أعد نورالدين خطة متكاملة لاعادة صياغة المجتمع المسلم الذي انهكته الفرقة واستطاع بفضل اخلاصه أن يحقق معظم اهدافه..

وقد استطاع صلاح الدين أن يكتسب العديد من المهارات من استاذه نورالدين، كما اكتسب منه كذلك حب الجهاد والسعي الدائم نحو معاني الخير كلها..

واذا أردنا أن نتتبع باختصار صفات صلاح الدين التي أهلته لقيادة الركب المسلم وفتح بيت المقدس واسترجاعه من الصليبيين وجدنا أن هذه الصفات تنحصر في التزامه الشديد بشرع الله على أكمل وجه..

ان عقيدة صلاح الدين كانت خالصة من الشوائب، وقد حرص على مجالسة علماء عصره، والاستفادة منهم، وقد ذكر ابن شداد في النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية انه «كان رحمه الله قد جمع له الشيخ الامام قطب الدين النيسابوري عقيدة تجمع جميع ما يحتاج اليه في هذا الباب، وكان من شدة حرصه عليها يعلمها الصغار من أولاده حتى ترسخ في أذهانهم في الصغر وراثية وهو يأخذها عليهم وهم يقرؤونها من حفظهم بين يديه رحمه الله».

وكان يحرص على صلاة الجماعة، واذا مرض استدعى الامام ليصلي به جماعة، وكان لا يترك السنن والرواتب، وقد ذكر الرواة انه كان يصلي في مرضه الذي مات فيه وهو قائم..

ومع أن صلاح الدين حكم فترة طويلة فان الزكاة لم تجب عليه لأنه لم يجمع من المال ما تجب فيه الزكاة.. وكان يتصدق بكل ما يملك، وقد توفي رحمه الله ولم يخلف الا سبعة وأربعين درهما وليس عنده شيء من أنواع الأملاك... وكان يحب قراءة الحديث، وكانت تدمع عيناه عندما يمر على حديث فيه عبرة، يقول عنه صاحب كتاب طبقات الشافعية : «وسمع صلاح الدين الحديث من الحافظ ابي طاهر السفلي، وأبي الطاهر بن عوف، والشيخ قطب الدين النيسابوري، وعبدالله بن بري النحوي وجماعة» وقال عنه كذلك «انه كان يحفظ القرآن الكريم، والتنبيه في الفقه، والحماسة في الشعر»..

ان ايمان صلاح الدين وفقهه لهذا الدين جعلاه يدرك أهمية الجهاد في سبيل الله فأوقف على الجهاد حياته كلها...

ولقد تحدث ابن شداد عن حبه للجهاد فقال: «ولقد كان الجهاد وحبه والشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيما بحيث ما كان له حديث الا فيه ولا نظر الا في آلته، ولا كان له اهتمام الا برجاله، ولا ميل الا الى من يذكره ويحث عليه، ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله أهله وأولاده وسكنه وسائر ملاذه، وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب بها الرياح يمنة ويسرة» ويقول: «وكان الرجل اذا اراد أن يتقرب اليه يحثه على الجهاد، او يذكر شيئا من أخبار الجهاد، ولقد ألف له كتب عدة في الجهاد وأنا ممن جمع له فيه كتابا جمعت فيه آدابه، وكل آية وردت فيه، وكل حديث روي في فضله، وشرحت غريبها، وكان رحمه الله كثيرا ما يطالعه حتى أخذه منه ولده الملك الأفضل».

ولقد كان الجهاد هاجسه الوحيد، وكان محور تفكيره أن يواصل قتال الصليبيين حتى يقتل في سبيل الله، وقد حدث أبن شداد أن صلاح الدين كان يحاصر عكا فرأى اشتداد الموج وهيجان البحر فالتفت الى ابن شداد الذي كان يلازمه وقال له: اما احكي لك شيئا؟ قلت: بلى، قال: في نفسي أنه متى ما يسر الله تعالى فتح بقية الساحل قسمت البلاد، وأوصيت وودعت، وركبت هذا البحر الى جزائرهم اتتبعهم فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت.

قال ابن شداد فقلت له: ما هذه الا نية جميلة، ولكن المولى يسير في البحر العساكر، وهو سور الاسلام ومنعته فلا ينبغي له أن يخاطر بنفسه.

فقال: انا استفتيك: ما أشرف الميتات؟

قلت: الموت في سبيل الله.

فقال: غاية ما في الباب أن أموت أشرف الميتات.

ان الصفات الحميدة التي تجلت في شخصية صلاح الدين جعلته يكسر شوكة الصليبيين، ويسترد بيت المقدس منهم، ولقد كان هجوم الصليبيين على الشرق الاسلامي نابع من عقيدتهم الدينية بأنهم أولى بالقدس من المسلمين!

ولقد أشار الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور في كتابه «الحركة الصليبية ج/١ ص/٢٦» الى أهداف الحروب الصليبية فقال عنها: «انها حركة نبعت من الغرب الاوربي المسيحي في العصور الوسطى واتخذت شكل هجوم حربي استعماري على بلاد المسلمين وبخاصة في الشرق العربي بقصد امتلاكها. وقد انبعثت هذه الحركة عن الأوضاع الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التي سادت غرب أوربا في القرن الحادي عشر واتخذت من استغاثة المسيحيين في الشرق ضد المسلمين شعارا دينيا للتعبير عن نفسها تعبيرا عمليا واسع النطاق».

ولقد كان صدى استرداد بيت المقدس واسعا في ديار المسلمين كلها.. تحدث عنه الشعراء، والكتاب في مختلف ارجاء العالم الاسلامي، لقد مكث بيت المقدس أكثر من تسعين عاما تحت حكم الصليبيين وعاد بعد هذه الغيبة الطويلة الى أصحابه.. الى المسلمين.

كان العماد الاصفهاني من جملة الشعراء الذين تحدثوا عن هذا الفتح فقال عنه:

رأيت صلاح الدين أفضل من غدا
واشرف من اضحى واكرم من أمسى
وقيل لنا في الأرض سبعة أبحر
ولسنا نرى الا انامله الخمسا
سجيته الحسنى وشيمته الرضى
وبطشته الكبرى وعزمته القعسى
جنودك في الأرض املاك السماء وظنهم
غداتك جن الأرض في الفتك لا الانسا
فلا يستحق القدس غيرك في الورى
فأنت الذي من دونهم فتح القدسا

وقد امتدح هذا الفتح كذلك ابو علي الحسن بن علي الجويني بقصيدة طويلة منها:

جند السماء لهذا الملك اعوان
من شك فيهم فهذا الفتح برهان
متى رأى الناس ما نحكيه في زمن
وقد مضت قبل أزمان وازمان
تسعون عاما بلاد الله تصرخ وال
اسلام انصاره صم وعميان
فالآن لبى صلاح الدين دعوتهم
بأمر من هو للمعوان معوان
لو أن ذا الفتح في عصر النبي لقد
تنزلت فيه آيات وقرآن
يا قبح اوجه عباد الصليب وقد
غدا يبرقعها شؤم وخذلان
خَزَنْتَ عند اله العشر سائر ما
ملكته وملوك الأرض خزان
فالله يبقيك للاسلام تحرسه
من أن يضام ويلقى وهو حيران
اذا طوى الله ديوان العباد فما
يُطوى لأجر صلاح الدين ديوان

لم يكن المسلمون وحدهم هم الذين امتدحوا صلاح الدين بل ان منصفي مؤرخي النصارى امتدحوه كذلك، وتحدثوا كثيرا عن مواقفه النبيلة، فها هو هاملتون جب يقول عنه: «لقد الهم صلاح الدين تلك المقاومة العنيدة التي انهكت الغزاة في نهاية الأمر بقوة شخصيته الخالصة وفي جذوة الايمان المتقدة بداخله وفي القدوة التي ارساها عن الصمود الثابت».

لقد كانت أصالة التربية علامة بارزة في شخصية صلاح الدين وكانت هي المحرك الرئيسي لكل انتصاراته، وما أحوج امتنا اليوم لمثل هذه التربية تقوم فيها ما اعوج من امرها حتى تعود قوية متى سلكته بحول الله..□



قالت أميمة لما حط طائرنا … أرض الرياض - وكان القول تهديدا -

أنفقت عمرك يا حبي تبدده … بين المدائن ترحالاً وتشريدا

فقلت مهلك حيث الحب يجمعنا … تجري السعادة في القلبين تخويدا [1]

حيث الظباء تمد الصوت في غنج [2] … ترنو الأسود إلى الصحراء تسديدا [3]

والعين تسرح في كثبانها شغفا … والنفس تزكى تثبيتاً وتوطيدا

أما رأيت نجوم الليل ترمقنا … وازدانت الأرض ترحيبا وترفيدا [4]

هنا الحضارة في أحضانها سكنت … عبر القرون تباهي قومها الصيدا

نصحت قومك يا زرقاءنا [5] عبثا … لم يجد نصحك تنبيها وتجريدا [6]

قد قلت للقوم إن الزحف يقصدكم … هلا انتبهتم، وكنتم في الوغى سيدا [7]

ميمون [8] سطر في منفوحة [9] قصصا … تحكي البطولة ترغيبا وتمجيدا

ودع هريرة [10] يا صناجة العرب [11] … بل ودع المال والشاء المرافيدا [12]

---

١ — التخويد: سرعة السير.
٢ — الغنج: الدلال.
٣ — التسديد: التوفيق للسداد والصواب.
٤ — الترفيد: التعظيم.
٥ — الزرقاء: زرقاء اليمامة.
٦ — التجريد: تجريد السيف: انتضاؤه وسله كناية عن الاستعداد للحرب.
٧ — سيد: الذئب وقد يطلق على الأسد.
٨ — ميمون: الشاعر ميمون بن قيس والملقب بأعشى قيس.
٩ — منفوحة: اسم حي من احياء الرياض عاش به الأعشى.
١٠ — هريرة: اسم محبوبة الشاعر، والمقطع مطلع لقصيدة مشهورة للشاعر.
١١ — صناجة العرب: لقب للشاعر الأعشى. والصناجة: قرص من النحاس يضرب به فيصدر انغاما حلوة وذلك لجمال موسيقى الشاعر الشعرية.
١٢ — الشاء المرافيد: الأغنام التي لا ينقطع لبنها.
١٣ — ثمامة: ثمامة بن اثال. صحابي جليل. من شيوخ حنيفة ورجالاتها. وقصته مشهورة في منع قمح اليمامة عن كفار قريش ومشركيها.
١٤ — رعاديد: ج. رعديد. وهو الجبان شديد الخوف.
١٥ — الكذاب: مسيلمة بن حبيب من رجالات حنيفة اسلم ثم ارتد عن الاسلام وحورب.
١٦ — التفريد: المكر والخداع.
١٧ — ابن الوليد: خالد بن الوليد سيف الله المسلول.
١٨ — جرير: الشاعر جرير بن عطية الخطفي التميمي. عاش بنجد.
١٩ — الجلاميد: ج جلمود: الصخر.
٢٠ — العي: الذي لا ينطلق لسانه افصاحا.





شعر: عبدالعزيز الدابية / الرياض

هنا ثمامة(١٣) للإسلام أعلنها: ... شدّوا الحصار على الكفّار تشديدا

لا، لن تذوق قريش قمح روضتنا ... لا، لن تكون - كما ظنوا - رعاديدا(١٤)

اجل ثمامة للكذاب(١٥) أطلقها: ... سُحقاً لراع سعى في القوم تقريدا(١٦)

يا ابن الوليد(١٧) فداك القوم كلهم ... عن الشهادة لا يرجون تحييدا

جرير(١٨) أنشد في ظبياتها غزلا ... أبكى الوحوش، بل الصخر الجلاميدا(١٩)

"إنّ العيون التي في طرفها حور" ... هيّجن قلباً، جعلن الغي(٢٠) غريدا

هنا الطغاة(٢١) على أبوابها وقفوا ... يحدوهم النيل من واحاتها الغيدا(٢٢)

لكنهم رجعوا، والنّصر يخذلهم ... والعقل ينهرهم زجراً وتهديدا

عبد العزيز(٢٣) سليل الملك وحّدها ... في دولة، فزكت(٢٤) بالخير توحيدا

هذي الرياض وهذي أمة صمدت ... عبر العصور تميل الرأس والجيدا(٢٥)

لله درك يا أمجاد روضتنا ... اسغت قلبي تكميداً(٢٦) وتضميدا(٢٧)

---

٢١ — الطغاة: ج طاغ الظالم: كناية عن حروب محمد علي باشا وابنه ابراهيم وحصاره للدرعية.

٢٢ — الغيد: ج غيداء: ناعمة.

٢٣ — عبدالعزيز: عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود موحد الجزيرة العربية.

٢٤ — زكت: نمت.

٢٥ — الجيد: العنق: كناية عن الكبرياء.

٢٦ — التكميد: تسخين العضو للعلاج.

٢٧ — التضميد: ربط الجرح بالقماش.



الاستخدام الوظيفي للغة

بقلم: د. إبراهيم الشمسان / الرياض

أفكرت في كيفية استعمالك للغة؟ كلنا نتحدث ونسمع، نقرأ ونكتب، وقلما التفتنا الى التفكير في هذه القضية. ربما يقتحمنا طوفان الحياة ويعصف بنا ايقاعها السريع فلا نلوي على شيء. نتحدث، فنعتقد أننا نفهم ما نقول. ونسمع، فنعتقد، دون أن يخالجنا شك، أننا نفهم ما نسمع. لقد سمعنا هذا القول مئات المرات، ولقد صافحت هذه الجملة اسماعنا آلاف المرات، حتى حفظناها، وأخذنا نستعملها فنحسن استعمالها. ونكتبها ان اردنا لها كتابة. ولكن لو سألنا احدهم: ما معنى هذه الكلمة؟ وما معنى هذه الجملة؟ ربما نتوقف لحظة وننظر اليه بدهشة منكرين سؤاله أول الأمر ثم مدركين بعدئذ أنه على جانب من الحق. فنحن نستعمل جملة نستفيد منها، ولكنها في معناها الباطن غامضة علينا. اذن ما الذي حدث؟ هذا هو السؤال.

وحتى لا نسترسل في هذا الغموض الظاهر أول الأمر أود القول أننا نستخدم اللغة استخداما وظيفيا. أو لعل ذلك شأن طائفة كبيرة منها. ولكن ذلك يشتد في بعض ألفاظها وجملها ويكون غامضا هينا في طائفة أخرى. فما معنى الاستخدام الوظيفي؟

ارتبطت الكلمات والجمل في الاستخدام الاتصالي بين الناس بوظائف يعرفونها ويتعلمونها في الطفولة وخلال التعليم العام الذي ينخرطون فيه.

فهذه جمل تقال عند التحية وهذه جمل تقال عند التشجيع، وهذه تقال عند التعزية، وهكذا مجموعة من الكلمات، ومجموعات من الجمل، نعرف لكل منها المناسبة التي تستخدم فيها، يشهد لهذا القول المتعارف عليه «لكل مقام مقال».

ولعل اهدى سبيل لبيان ذلك سوق أمثلة لما نذهب اليه:

١ — نلتقي في الصباح فنتبادل «صباح الخير»، تعوّد كل منا أن يقول ذلك ويسمع، ليس في ذهن احدنا أن يدعو للآخر بأن يكون صباحه صباح خير، فالقضية لا تعدو التعبير عن حاجة اتصالية، جسر تمده الى الآخر والجملة هي مصافحة لغوية قد

تنوب عن مصافحة الأيدي واتصالها، وقد توازي تلك المصافحة اليدوية، ولأنها جسر فهي مركبة لو انفكت لتبعثرت معالمها وفقدت وظيفتها. وفي المساء «مساء الخير» جملة تكررت حتى تآكلت وانطمست بعض معالمها، فقد نسمعها في الخليج على هذا النحو «الله بالخير»، وفي مصر «سلخير» وفي القصيم «بالخير»، ولشدة التصاق هذه المركبة بالوظيفة تآكلت مع الزمن فلم يبق من «مساك الله بالخير» سوى بقية الجملة «بالخير».

ومن هذه المسكوكات المتآكلة لارتباطها بمعنى وظيفي السؤال «وش» فنحن نقول: «وشبك؟» وأصل هذا المركب هو: «وأي شيء بك؟»، وكذلك نقول: «وراك؟» وفي سدير «اراك»، وأصل ذلك «ما وراءك؟» ولكنها أصبحت تعني وظيفيا: «لماذا؟»، و«لماذا» نفسها ليست اداة بسيطة فهي عند التحليل ترتد الى حرف الجر «اللام» واسم الاستفهام «ما» واسم الاشارة «ذا». وكأن المعنى: لأي شيء هذا؟. ومن ذلك أيضا «والا» التي يكثر استخدامها في سياق التهديد فأنت تقول للصبي: تقدم والا عاقبتك. وأصل هذا التركيب: تقدم وان لا تتقدم عاقبتك. فقد جرى حذف الفعل بعد «لا» لأنه يفهم من الفعل الطلبي المتقدم عليها. وهذا استخدام عربي قديم نجده في قول الشاعر:

(فطلقهـــا فلست لهـــا بكـفء
والاّ يعـــلُ مفرقـــك الحســام)

وهو شاهد على جواز حذف فعل الشرط. فالتقدير: وان لا تطلقها يعل مفرقك الحسام[1]. ولا شك ان للتنغيم اثرا بالغا في بيان المحذوف والتنبيه عليه، ولكن مع ادغام النون واللام. وكثرة الاستخدام توارى التنغيم في الاستخدام اللهجي فاقتربت «والا» الى طبيعة الادوات البسيطة، وكان لها مع الزمن الوظيفة التي ذكرناها.

٢ــ الوظيفة في الامثال والكنايات الشعبية:

سمعتهم يقولون في نجد «الغشيم يدخلك الذرة». ومضى زمن كنت أتساءل فيه عن صلة الذرة بالغشيم. ولماذا يدخل الانسان فيها. اعرف وظيفة هذه الجملة والناس يستخدمونها كثيرا، ولكني لم اهتد الى من يشرح علاقتها الداخلية لي، فكل ما عرفته هو انها تقال عند الحديث عن رجل يتصف بتلك الصفة، ففلان غشيم ثم يتبعون ذلك بقولهم «والغشيم يدخلك الذرة». فاذا سألت نفضوا رؤوسهم تعجبا. على أني سمعت كناية أخرى انارت هذه، وتلكم قولهم «دخل الذرة» كناية عن الخوف فالذي يخاف يتوارى في الذرة يحتجب بسوقها. اذن «الغشيم يدخلك الذرة» تعني أن الغشيم يجعلك تدخل الذرة، أي: الغشيم يخيفك. أما لماذا يخيف؟ فلأنه أخرق أحمق لا تؤمن بوائقه، ولا تعلم متى يؤتى ما يسوؤك، والعرب تقول «عدو عاقل خير من صديق جاهل» والجهل هنا الحمق والخرق.

ومن الناس من «يريك النجوم في عزّ الظهر» بأفعاله وهذا تعبير وظيفي ايضا نكني به عن العنت الذي وجدناه من شخص ما أو مشكلة ما، ولكن ما معنى رؤية الانسان للنجوم في عز الظهر؟ كيف يصبح بصر الانسان حديدا بسبب انسان يكرهه او موقف يمضه. والحق أن القضية مختلفة في رأيي فلعل المستخدم الأول لهذه الجملة ــ وهذا اجتهاد في التفسير ــ اراد أن الدنيا أظلمت في عينيه حتى امكنه، لذلك، أن يرى النجوم في عز الظهر.

وقد يرى النجوم في عز الظهر من يضرب ضربا مبرحا حتى لتصدق عليه الكناية المصرية «راح وافاه يثمر عيش» أي: «راح وقفاه يقمر عيش»، والمصريون يعلمون متى يستخدم هذا التعبير فهو يعبر به عندما يضرب شخص ضربا شديدا، أما المعنى فهو أنه ضرب على قفاه ضربا شديدا احمر له قفاه احمرارا يمكن، لمن اراد، ان يقمر عليه العيش (الخبز) فقفاه حار من الضرب ومحمر احمرارا يشوي الخبز. وهم يستخدمون هذا التعبير في مطلق الضرب. ولكن ما معنى «يقمر عيش»؟

وهذا استخدام وظيفي أيضا فهم يعبرون عن خبز الخبز بالتقمير، واستخدموا التقمير لأن قرص الخبز المستدير اذا تعرض للنار فان بعض جهات من وجهه تسود فيحاكي بذلك وجه القمر باستدارته وبياضه وكلفه، اذن فيقمر العيش يجعله كالقمر لكن التشبيه اختفى ولم يبق سوى الدلالة على الخبر وحدها. وتحول المجاز الى حقيقة.

وقد يكون ما يري الانسان النجوم في عز الظهر أشد من الضرب كأن ينتقل الى «الرفيق الاعلى» فلا نملك سوى أن نقول «تغمده الله برحمته» وهذا تركيب نعي تماما وظيفته فما معناه الاساسي. اما «الغمد» للسيف فهو معروف. اذن الدعاء هو أن يجعل الله رحمته للميت كالغمد للسيف محيطة به حافظة له مشتملة عليه.

وقد تكون رؤية الانسان للنجوم ظهرا لا لخارج يقتحمه ولكن لداخل يعتامه من ضعفه وقلة حيلته حتى ليصدق عليه قول أهل نجد «ما يرمح السفيفة» والسفيفة في (لسان العرب): «بطان عريض يشد به الرحل»[2]، وأهل نجد يكنون بذلك عن الضعف الجسدي أو المعنوي أيضا، والأصل في هذا على ضوء ما نقلناه من معنى «السفيفة» انه يكنى به عن ضعف الجمل فهو اذا ضعفت منته أمست حركته بطيئة فلا يمس بقوائمه سفيفته، اما اذا كان قويا نشيطا مسرعا فانه يضرب بطانه أو يرمحه، وقد يكون لسمنه وهزاله اتصال بذلك فسمنه يؤدي الى احتكاك فخذه ببطانه.

(١) انظر كتابنا «الجملة الشرطية عند النحاة العرب»، ص/٣٣٨ و٣٥٣.

(٢) ابن منظور، «لسان العرب»، مادة سقف.

والضعفاء الذين «ما يرحمون السفيفة» كثيرون يصدق عليهم قول المصريين «على افا من يشيل» أي: على قفا من يشيل ووظيفته عندهم الكناية عن الكثرة، والمعنى أن الشيء كثير مبذول، وانما التعب والمشقة على قفا من يحمل الشيء. والضعف يعني عدم الاستطاعة، ويعبر أهل الشام عن ذلك بقولهم «ما فيني» يقولون «ما فيني اشتري سيارة» أي لا استطيع ذلك، واصل الاستخدام ما فيني قدرة أو استطاعة على أن اشتري سيارة.

٣ـــ الوظيفية والانتقال الدلالي:

انتقلت الألفاظ من معنى حسي الى آخر معنوي وبعد أن اكتسبت دلالة وظيفية نسي ما بينهما من صلة. من ذلك قولنا «عطف عليه» ويرتد ذلك الى المعنى الحسي وهو الثني، فعطف الرجل الشيء أي ثناه، والانسان حينما يعطف على صغير أنما يعطف نفسه أو جسمه عليه أي يثنيه عليه وهو يقوم برعايته. هذا المعنى الحسي انتقل الى معنى معنوي مجازي شامل لكل أنواع الرعاية حتى وان على البعد كالعطف على الفقراء والمساكين والضعفاء. وقريب من هذا الفعل «يحنو عليه» فهو في الأصل أن يحنو نفسه عليه ثم انتقل من هذا المعنى الحسي الملابس للعناية بالصغير الى المعنى المجازي العام الشامل للعناية.

ومن ذلك كلمة «الصبر» نقول عليك بالصبر، ولا تنال الأشياء الا بالصبر، فما معنى الصبر؟ الأصل في الصبر (الحبس)[٣] فيقال: قتل فلان صبرا أي حبس حتى مات، وقال تعالى ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه**﴾ (سورة الكهف ـــ ٢٨).

ومن ذلك «التهجد» يقال: هو يقضي ليله متهجدا. الهجود هو النوم أما التهجد فهو ترك النوم، وهذا معنى من معاني البناء «تفعل» فهي تعني التباعد عن معنى أصلها وان يكن التهجد قد اكتسب معنى وظيفيا محددا هو العبادة في الليل. ومما جاء على تفعل «تجنب» نقول: تجنب مواطن الشبه أي اترك جانبها، ونقول «تأثم» أي ابتعد عن الاثم و«تحرج» أي ابتعد عن الحرج[٤].

ومن الأفعال التي انتقلت من معانيها الاصلية الى معان اخر ذات وظائف محددة الفعل (قال) فهو يستخدم بمعنى (فعل) نقول: قال به كذا وكذا، أي: فعل به كذا وكذا. ونقول: قل به كذا أي: افعل. وقد يستخدم هذا الفعل (تقول) للتشبيه خصوصا في لهجة نجد وقد يسمع على هذا النحو «تقل» بكسر التاء والقاف ومعناه «مثل»، يقولون: اسرع تقل صاروخ أي أسرع كالصاروخ، وهذا الاستخدام موغل في القدم نجده عند امرىء القيس في قوله:

اذا ما جرى شأوين وابتل عطفـــه
تقول هزيز الريـــح مـــرت بأثـــأب

قال الشارح: «اذا جرى هذا الفرس طلقين وابتل جانبه من العرق سمعت له خفقا كخفق الريح اذا مرت بأثأب، وهو شجر يشبه الاثل، يشتد صوت الريح فيه»[٥].

ومن ذلك لفظ «تقمص» نقول: تقمص الممثل الدور ومعناه في الأصل أنه جعل الدور له قميصا وهذا كناية عن شدة التصاقه به.

ومن الألفاظ التي فارقت معناها الاصلي الى معنى دلالي الفاظ تؤكد بها الصفات: من ذلك «اوي» في اللهجة المصرية أي «قوي» فهي تؤكد كل الصفات وان لم يكن بين الصفة والقوة نسب، فهم يقولون «حلو أوي»، «كثير أوي»، ضعيف «أوي» وهذا المثال صارخ في دلالته على وظيفية «اوي».

ومن ذلك الصفة التي تنوب عن كل الصفات فهي قد انتقلت من دلالتها الاصلية الخاصة الى دلالة عامة تنال كل الصفات فهي تعبر عن الغاية التي تصل اليها الصفة في الجودة، مثل ذلك الصفة «لذيذ» أو «لزيز» في اللجهة اللبنانية فهذه الصفة قد تتضام مع موصوفات لا نسب بينها وبين المعنى الاساسي وهو «اللذة» فهم يقولون: بيت لذيذ، سيارة لذيذة قصيدة لذيذة... وهكذا.

٤ـــ الوظيفية والاعلام:

وان من الاستخدام الوظيفي للغة استخدام الاعلام مثل اسماء الاشخاص، فاستخدامنا لها استخدام وظيفي اذ هي تعيد الى الذهن صورة شخص بعينه، وقلما نفكر في المعنى الاساسي للاسم أو سبب اطلاق ذلك الاسم على تلك العائلة. ومن اسماء العائلات مثلا: «العثيمين»، «العثيم»، «العليوي»، «الشوشان»، «الصليع»، «البنعلي» فما معنى هذه الأسماء؟. العثيمين هي: آل عثيمين، و(آل) بمعني أهل وهي من الكلمات السامية القديمة، ولعلها كانت تعني في الأصل «خيمة» ثم اطلقت على أصحاب الخيمة، اما «عثيمين» فهو تصغير «عثمان». ومثله «العثيم» فهو: «آل عثيم»، و«عثيم» لفظ تحبيب ينادى به عثمان أيضا. اما «العليوي» فهو آل عليوي و«عليوي» تصغير «علي». اما «الشوشان» فهو: آل شوشان، اما «شوشان» فهو لقب اطلق على جد العائلة حينما كان صغيرا اذ لعله كان ذا «شوشة» كبيرة فنودي بـ«شوشان» أي ذي الشوشة أو صاحب الشوشة فالزائدة (آن) تعني (صاحب). اما «الشوشة» في لهجة القصيم فتعني شعر الرأس الكث. اما «الصليع» فهو «آل صليع»، وصليع هو لقب جد

(٣) ابو بكر محمد بن القاسم الانباري، «الزاهر» ٢/٢١٢.
(٤) انظر كتابنا، «ابنية الفعل دلالاتها، وعلاقاتها» ص/٣٩.
(٥) ديوان «امرىء القيس» ص/٤٩.

العائلة اطلق عليه لانه كان لا يلبس على رأسه ما يستره من «غترة» أو «شماغ» فهو دائما حاسر الرأس أي «أصلع» وهذا معنى اللفظ في لهجات القصيم. فبناء الصفة على «فعيل» يفيد الاتصاف بالصفة بكثرة. اما «البنعلي» فهو «آل ابن علي» ثم نسي ذلك مع الاستخدام فأصبح لفظا واحدا انسبك انسباكا واحدا.

٥ــ الوظيفية واللغة الانفعالية:

ومن الألفاظ ذات المعاني الوظيفية طائفة من الألفاظ التي تعبر عن حالات الانسان الانفعالية من ذلك التعبير عن الاعجاب بشخص بوصفه بأنه «عفريت» أو «شيطان» ونحن نعني أنه ذكي جدا غافلين عن جوانب هذه الكلمات السيئة، ذلك اننا أخذنا من صفات العفريت والشيطان الجانب الحسن وهو الذكاء ثم أصبحت هذه الكلمات من الناحية الوظيفية كلمات مدح واعجاب فالسامع والناطق يدركان المعنى الوظيفي لهذه الألفاظ.

ومن ذلك بعض دعوات النساء مثل قولهن في نجد «بعدي» مدحا للطفل او تشجيعا وهذا هو المعنى الوظيفي اما الاصلي فهو دعوة بأن يبقى حيا بعدها أي: تعيش بعدي فلا أحزن بموتك. ويقابل هذا الاستخدام الشامي «تئبرني» أي «تقبرني» والمعنى في الأصل أموت قبلك فتقوم بقبري وهي بذلك تدعو له بالبقاء بعدها حيا.

ومن ذلك أيضا طائفة من الادعية الدينية خرجت من دلالتها على الدعاء الى معنى وظيفي خاص يتطلبه السياق المقالي أو الحالي، ومن ذلك أن تقول للشخص «اذكر الله» أي اسكت أو تمهل، ومثلها «قل لا اله الا الله» أو «اذكر اللي عنك غني» ولا شك أن كل واحدة تعطي ظلالا من الحالة النفسية للمستخدم لها، ومن ذلك (صل على النبي) وتقال لطلب التمهل، وللتهدئة من سورة الغضب أو الانفعال المصاحب للحزن. ومن العبارات التي فارقت دلالتها الاصلية الى معان وظيفية قولنا «الله المستعان» فالمعنى الوظيفي لها (بعد أو منذ زمن بعيد)، وتقول عند التعجب من شيء «تعالى الله» و«سبحان الله» وعند الاعجاب والتهنئة تقول: «ما شاء الله» وقد تكرر.

ونقول عند البدء بعمل او بشيء «بسم الله» وكذلك نقولها للتعبير عن الخوف، ونقول عند السخط من شيء أو شخص «أعوذ بالله». وقد نقولها عند ذكر شيء أو شخص بغيض. وتقول «اتكل على الله» اي ابتعد. ونقول «ان شاء الله» أي موافق وقد يعبر بها عن الرجاء مثل عسى فتقول: «ان شاء الله يجيء الآن». وفي المصرية يقولون «ان شاء الله ما عدمك». وقد تستخدم في القصيم ــ وظيفيا ــ بمعنى (نعم)، تسأل الطالب: هل نجحت؟ فيرد: ان شاء الله، أي: نعم.

٦ــ الوظيفية والتوليد اللغوي:

وللاستخدام الوظيفي اثر في خلق الفاظ جديدة نتيجة شدة تلازم لفظين حتى يتوهم مع كثرة الاستخدام انها لفظ واحد، من ذلك الفعل (جاب) الذي يستخدم اليوم في اللهجات العربية على انه بمعنى (احضر) وهو فعل متصرف في اللهجات، ولكنك لا تجده في العربية الفصحى على هذه الصورة، اما جاب في الفصحى فهي بمعنى نحت، قال الله تعالى ﴿**وثمود الذين جابوا الصخر بالواد**﴾ (٩ الفجر) اما جاب بمعنى أحضر فهي نتيجة التصاق الفعل (جاء) بحرف الجر (بـ) فنحن نقول: (جاء بزيد) فهي هنا للاصطحاب، ومع كثرة الاستخدام قصر الفعل والتصقت الباء به فتكون الفعل (جاب)، وتشهد تصرفه في اللهجات فنحن نقول: (جب كذا وكذا)، و(هم يجيبون كذا وكذا) أي يحضرون كذا وكذا.

ومثل ذلك كلمة «بنا خي» وهي كلمة من الكلمات التي تعبر عن صلة القرابة أي هو من القبيلة أو العائلة التي ينتمي اليها الشخص فيقال: هذا بناخيك: أي من قبيلتك، أو عائلتك الكبيرة وأصل «بناخي» ابن أخي، ولكن اللفظين نحتا كلمة واحدة ويدلك على معاملتها على أنها كلمة واحدة ــ استخدام المؤنث منها بالصاق تاء التأنيث بها ــ تقول «بناخية».

٧ــ الوظيفية والخطأ في الاستخدام:

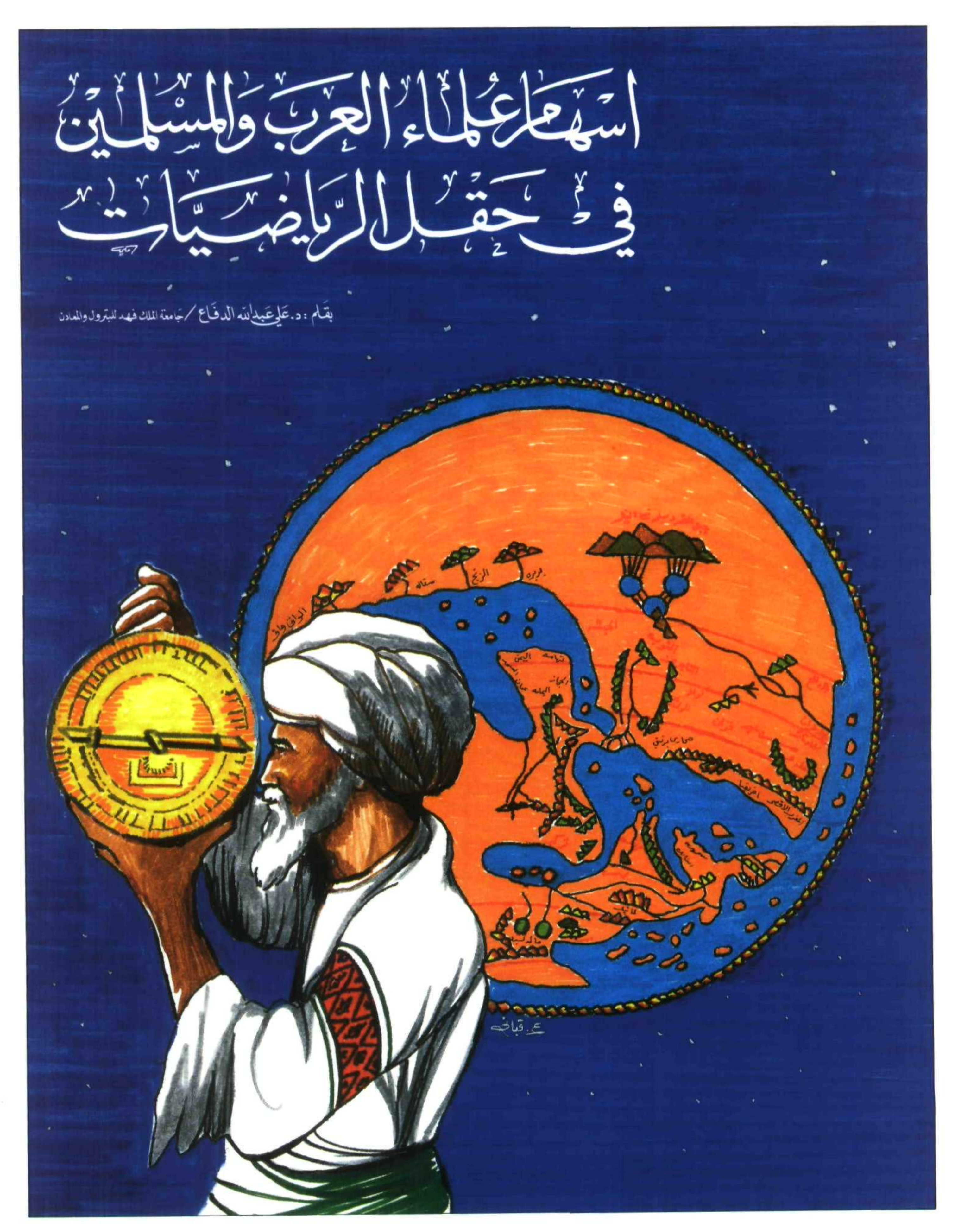
قد تدفع معرفة الاستخدام الوظيفي وحده المستخدم الى الخطأ نتيجة لجهله بأصل المعنى فقد يستخدم تعبيرا لا يليق به، من ذلك التعبير الشائع بين بعض النساء في مصر، فالمرأة تقول عن زوجها «دا مستتّني» و«هو اللي مستتّني» فالمعنى الوظيفي لهذا هو يرعاني ويجعلني احيا حياة طيبة لا مشقة فيها. ولكني سمعت ممثلا في التلفزيون في مشهد من المشاهد يهدد زوجته بأنه سوف يتزوج أخرى «تستته» قال ذلك لأنه لا يعرف من اللفظ سوى المعنى الوظيفي وهو القيام على رعايته والاهتمام به اما المعنى في الاصل فهو: يستتني: يجعلني ستا، و(الست) ذات مكانة اجتماعية مرتبطة بالرعاية والاحترام.

ومن ذلك أيضا استخدام بعض الكنايات في مجالات ومناسبات معاكسة لمدلول الكناية الاصلي من ذلك استخدام التعبير المصري «اللي اختشوا ماتوا» فهذا التعبير من الناحية الوظيفية اليوم يستخدم عند التعبير عن شخص لا يستحي فيقال: صحيح اللي اختشوا ماتوا، أي ذهب الحياء من الناس، فقد ذهب الناس الذين يستحون.

ولكن التركيب في أصل استخدامه مختلف جدا، فالأصل في هذا القول انه حدث في بيت الطالبات حريق فنجا طائفة منهن بالخروج، الى الشارع، ولكن طائفة كن في الحمامات واستحيين من الخروج وهن عاريات فاحترقن، فقال قائل مخبرا عن الحادث: «اللي اختشوا ماتوا» ولكن الناس تلقفوا هذا القول وجعلوا له دلالة مختلفة ومحتوى معاكسا لمحتواه. ولعلنا آخر الأمر قد وفقنا الى بيان طبيعة الاستخدام الوظيفي بما ذكرناه من امثلته وآثاره □

إسهام علماء العرب والمسلمين في حقل الرياضيات

بقلم: د. علي عبدالله الدفاع / جامعة الملك فهد للبترول والمعادن



لقد كان الساميون يستعملون الحروف الأبجدية العربية، فدونوا الأرقام بهذه الحروف. كذلك كانت الحال في زمن الرسول، صلى الله عليه وسلم، في القرن الأول الهجري، حيث كان بعض علماء المسلمين يستعملون الحروف الابجدية في كتابة مؤلفاتهم، لكل حرف رقم خاص يدل عليه، فحرف الألف يرمز الى الواحد، وحرف الباء يرمز الى الاثنين، وهكذا حرف الياء يرمز الى العشرة، وحرف الكاف يرمز الى العشرين، وحرف اللام يرمز الى الثلاثين... الخ.

وطريقة حساب الجمل استمرت مدة طويلة يستعملها العرب في العلوم وفي أعمالهم التجارية، ويظهر تأثيرها في الجداول الفلكية، وحساب الأوزان المختلفة للفلزات، فعلى سبيل المثال في كتاب (القانون المسعودي) لأبي الريحان البيروني (٣٦٢—٤٤٠هـ) يكثر استعمال طريقة الجمل، لذا يتضح أن علماء العرب والمسلمين بقوا يستعملون طريقة حساب الجمل بعد ظهور الأرقام الهندية العربية التي خدمت البشرية الى يومنا هذا.

يرجع الفضل في التعريف بالأرقام الهندية العربية ونشر استعمالها في العالم العربي والاسلامي الى العالم الفلكي محمد بن ابراهيم الفزاري الكوفي المتوفى سنة (١٨٠هـ). فالفزاري فتح الطريق للعالم الجليل محمد بن موسى الخوارزمي (١٦٤—٢٣٥هـ) والذي ألف كتابا في الأرقام الهندية العربية، وبذلك بدأت أشكال الأعداد الهندية العربية الاصيلة تحل محل الحروف الأبجدية.

وجد علماء العرب والمسلمين طريقة كتابة الأرقام عند الهنود سهلة وواضحة وليس فيها أي تعقيد. لذا أخذ علماء العرب والمسلمين عن الهنود فكرة الارقام (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9). ولكنهم نحوا في تطويرها منحا مخالفا الى حد ما للاتجاه الذي اتبعه الهنود. ولذا أرى أنه لا ضير من تسمية الأقام (١، ٢، .....، ٩) بالأرقام الهندية العربية، لأن الفكرة بدايتها هندية. أما الأرقام الغبارية (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩) فهي عربية، وان كانت تمتد جذورها الى الارقام الهندية العربية، الا أن العرب هم الذين ادخلوا عليها كثيرا من التعديلات والتبسيط حتى آلت الى العالم في صورتها الحالية.

لقد عرف العرب الصفر منذ القدم، ويظهر ذلك من قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «**ان ربكم حي كريم يستحي من عبده اذا رفع يده الى السماء ان يردها صفرا**» رواه ابو داود في سننه. وهناك بعض المؤرخين في العلوم يعتقدون ان الصفر ابتكار بابلي، وانه ظهر الى الوجود واستخدم في العصور المتقدمة وورثه اليونان من البابليين. ومما لا شك فيه أن علماء العرب والمسلمين هم الذين طوروا مفهوم الصفر الذي سهل العمليات الحسابية تسهيلا لا حدود له، وعرفوه بأنه المكان الخالي من أي شيء. ولكن هذا المفهوم يعني في الحقيقة الشيء الكثير. فمثلا الفرق بين أربعة وبين أربعين هو الصفر.

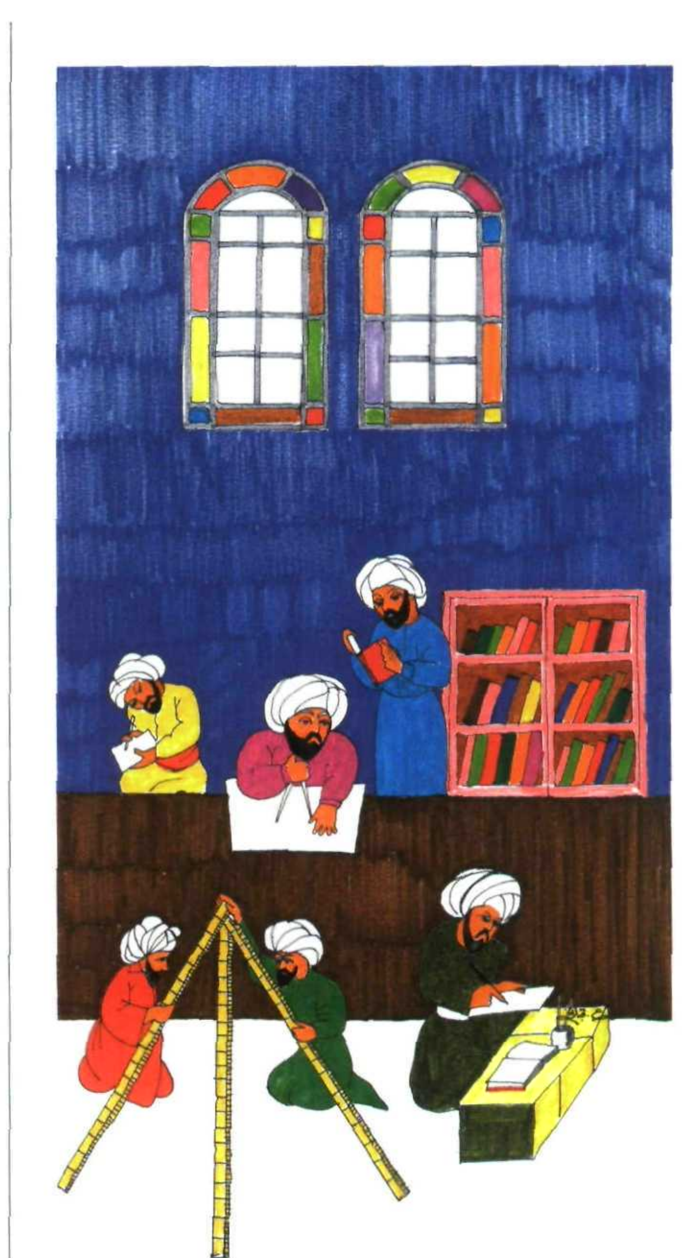
وعندما طور المسلمون الصفر عبروا عنه بدائرة ومركزها نقطة. ففي المشرق (ونعني بذلك مصر وما في شرقها من بلاد المسلمين) احتفظوا بالنقطة (مركز الدائرة) واستعملوها مع ارقامهم فكانت (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ٠). اما في المغرب (وهي البلاد الاسلامية غرب مصر بما فيها الأندلس) فقد احتفظوا بالدائرة دون مركزها فكانت الأرقام الغبارية العربية) كالآتي: (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 0).

وقد اختار العرب والمسلمون النقطة لتعبّر عن الصفر، لأن النقطة ذات أهمية كبيرة في الكتابة العربية، ويعتبرها العرب المميز والضابط بين الحروف. فعلى سبيل المثال اذا وضعت النقطة فوق الحرف (ب) كانت نونا، واذا كانت النقطة اسفلها أصبحت باءً، واذا وضعت نقطتان فوقها صارت تاءً، واذا كانت النقطتان اسفلها سميت ياءً وهلم جرا. من هذا المنطلق استعمل العرب النقطة لتعبر عن الصفر مع الاعداد الهندية العربية، فأعطوها الوظيفة التي لها مع الحروف وهي الضبط والتمييز، فمثلا: الواحد اذا وضعت الى يمينه نقطة صار عشرة، والخمسة اذا سبقتها نقطتان من اليمين صارت خمسمائة، وهكذا يتضح أن العرب والمسلمين استعملوا الصفر في عملياتهم الحسابية وكتاباتهم اللغوية.

كما تواتر عن المؤرخين في العلوم ان علماء العرب والمسلمين عرفوا الصفر واستعملوه في مؤلفاتهم سنة ٢٥٩هـ، على حين لم يستعمله الهنود سوى سنة ٢٦٥هـ. وهذا بالطبع لا يناقض الحقيقة في أن علماء بابل هم الذين ابتدعوا الصفر، ولكن علماء العرب والمسلمين هم أول من عرف قيمة ودور الصفر في العمليات الحسابية.

عرف علماء الهند الكسر الاعتيادي والعدد الكسري قبل علماء العرب والمسلمين، وكانوا يكتبونها على الصيغة الآتية: فمثلا ثلاثة أرباع (٣٤) بدون الخط الفاصل بين البسط والمقام، أما العدد والكسر: خمسة وثلاثة أرباع (٥٣٤) فهم يضعون العدد الصحيح خمسة فوق البسط كما في الشكل، وهذه الطريقة تنسب للعالم الهندي ليلافتي (٥٤٥هـ)، وبقيت هذه الطريقة الهندية مستعملة في الدول العربية والاسلامية مدة طويلة، حتى جاء العالم المسلم الجليل ابو العباس احمد الازدي (٦٥٤ — ٧٣١هـ) والمعروف بابن البناء المراكشي الذي طور الكسر الاعتيادي والعدد الكسري، وأدخل الخط الفاصل بين البسط والمقام، وبدأ يكتب الكسر الاعتيادي على الصيغة الآتية: فمثلا ثلاثة أرباع (٣/٤)، ولكتابة خمسة وثلاثة أرباع (٥ ٣/٤).

ومما لا يقبل الجدل والتأويل أن علماء العرب والمسلمين هم مبتدعو الكسور العشرية كما هي عليه الآن بفارزتها. وفي كتاب الفصول في الحساب الهندي لأبي الحسن أحمد بن ابراهيم الاقليدسي يتضح أنه وضع سنة ٣٤١هـ الكسور العشرية، التي كان يكتبها بشرطة فوق الكسر لكي تفصل الأرقام الصحيحة عن الكسرية. وان الظن السائد أن أول من بحث في الكسور العشرية



من علماء العرب المسلمين الكاشي (المتوفي سنة ٨٣٩هـ) وذلك ليس بصحيح فالعالم المسلم الجليل جمشيد بن محمود غياث الدين الكاشي استخدم الكسور العشرية في كثير من المسائل العلمية، وبذل مجهودا كبيرا في تطوير الكسور العشرية بفارزتها. وهذا يظهر من طريقة ايجاده قيمة (ط) النسبة التقريبة الى ستة عشر رقما عشريا، والرقم الذي حصل عليه الكاشي يعتبر قيمة دقيقة جدا ولكنه ليس أول من استخدم أو تعامل مع الكسور العشرية من العلماء المسلمين.

أما علماء الغرب فيدَّعون تعصبا أن العالم الغربي سيمون ستيفن الهولندي الأصل (١٥٤٨—١٦٢٠م) هو صاحب فكرة الكسور العشرية، رغم أنهم يعرفون تمام المعرفة أن ستيفن اتى بعد الكاشي بقرابة (١٥٤ سنة) وبعد الاقليدسي بحوالي (٦٥١ سنة).

والسؤال الذي يطرح نفسه هو من يعرف من اساتذة وطلاب المدارس والجامعات في العالم العربي والاسلامي اليوم أن علماء العرب والمسلمين لهم دور مرموق في تطوير الكسور الاعتيادية، وانهم مبتكرو الكسور العشرية التي أثارت اعجاب علماء الغرب والشرق؟ الجواب على هذا السؤال هو: أن قلة منهم يعرفون ذلك، لذا نرى كثيرا من اختراعات علماء العرب والمسلمين تنسب الى غيرهم، ونحن متفرجون، بالاضافة الى أن علماء الغرب يعملون ليل نهار للتلاعب بتراث أمتنا، ولكي يشككوا في قابلية علماء العرب والمسلمين على الابتكار والانتاج.

ومن قادة الفكر العلمي التجريبي الذين تفخر بهم الأمة العربية والاسلامية:

١— **الكاشي** (توفي في كاشان ٨٣٩هـ) حيث طور هذا العالم نظرية ذات الحدين الى أي اس حقيقي (كسر أو عدد صحيح موجب أو سالب)، وليس كما يدعيه علماء الغرب ان اسحاق نيوتن (١٦٤٢ — ١٧٢٧م) هو صاحب الفضل. كما اثبت الكاشي أن مسار الكواكب اهليليجي (شكل بيضي) وليست دائرية، ويظهر ذلك في كتابه (نزهة الحدائق)، ولكن علماء الغرب كالعادة نسبوا هذا الابتكار الى يوهان كبلر.

٢— نسب علماء الغرب اكتشاف الرموز الجبرية واشارات العمليات الحسابية للعالم الفرنسي فيت — Viete الذي عاش فيما بين (١٥٤٠ — ١٦٠٣م)، بينما كان **ابو الحسن القلصادي** (١٤١٠— ١٤٨٦م) الاندلسي قد استعمل الرموز الجبرية والاشارات للعمليات الحسابية في كتابه (كشف المحجوب في علم الغيوب).

٣— **الحسن الهمداني** أول من فكر في نظرية الجاذبية، ثم تبعه **ابو الريحان البيروني** (٣٦٢ — ٤٤٠هـ) وطورها وليس كما يدعيه كذبا علماء الغرب ان اسحاق نيوتن (١٦٤٢ — ١٧٢٧م) هو أول من فكر في نظرية الجاذبية بأسلوب علمي.

٤— **جابر بن حيان الازدي** (١٠١ — ١٩٧هـ) **والحسن بن الهيثم البصري** (٣٥٤ — ٤٣٠هـ) صاحبا المنهج العلمي وليس فرانسيس بيكون (١٥٦١ — ١٦٢٦م).

٥— **ثابت بن قره** (٢٢١ —٢٨٨هـ) أول من مهد لحساب التكامل وذلك بايجاد حجم الجسم المتولد عن دوران المساحة المحصورة بين قطع مكافىء ومحوره خط عمودي على المحور. وليس اسحاق نيوتن وليبنز الالماني (١٦٤٦ — ١٧١٦م)، كما عمم ثابت بن قرة نظرية مثلث قائم الزاوية التي ينسبها علماء الغرب بتعنت للعالم اليوناني فيثاغورس (٥٨٤ — ٤٩٥ق.م.).

٦— **ابو علي بن سينا** (٣٧١ — ٤٢٨هـ) أول من فكر في القانون الأول للحركة (الجسم في حالة سكون أو في حالة

منتظمة في خط مستقيم ما لم تجبره قوة خارجية على الحركة) وليس نيوتن، ويظهر ذلك في كتابه (الشفاء).

٧ـ **ابو البركات هبة الله بن ملطا البغدادي** (٤٨٠ ـ ٥٦٠هـ) المعروف بأوحد الزمان مكتشف القانون الثالث للحركة (لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومضاد له في الاتجاه) ويظهر ذلك في كتابه (المعتبر في الحكمة) وليس نيوتن كما يدعيه علماء الغرب.

٨ـ اكتشف **ابن يونس الصدفي المصري** (ت ـ ٣٩٩هـ) الرقاص الذي نسب لغاليليو (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢م) كما انه يعتبر من الممهدين لعلم اللوغاريثمات باكتشافه المعادلة جتا أ جتا ب = ١/٢ جتا (أ + ب) + ١/٢ جتا (أ ـ ب). وليس كما يدعيه علماء الغرب خطأ أن جان نابيير اسكتلندي الأصل (١٥٥٠ ـ ١٦١٧م) هو مخترع علم اللوغاريثمات لأنه أوجد قيمة جا أ جا ب = ١/٢ جتا (أ + ب) + ١/٢ جتا (أ ـ ب) والتي بحد ذاتها قادته الى اختراع علم اللوغاريثمات وصاحب الاختراع الاصلي ابن حمزة المغربي وليس غيره.

٩ـ **عمر الخيام** (٤٣٦ ـ ٥١٧هـ) واضع اللبنات الاولى لعلم الهندسة التحليلية وليس ريني ديكارت (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠م)، وذلك بحله المعادلات ذات الدرجة الثالثة باستخدام القطوع المخروطية، فحصل على جذر المعادلة بايجاد الاحداث السيني لنقطة تقاطع قطع مخروطي مع دائرة أو تقاطع قطعان مخروطيان. كما قام عمر الخيام بتصنيف المعادلات بحسب درجاتها، وبحسب الحدود التي فيها، محصورة في (٢٥) نوعا. ومن المؤسف حقا أن علماء الغرب ينسبون هذا التصنيف لسيمون ستيفن (١٥٤٨ ـ ١٦٢٠م) الهولندي الأصل.

١٠ـ **ابو بكر الكرخي** (ت ـ ٤٤١هـ) الخليفة الوحيد لديوفانتوس في علم الحساب. ابتكر مثلث معاملات نظرية ذات الحدين، ولكن الغرب نسبوا هذا الابتكار للعالم الفرنسي باسكال (١٦٢٣ ـ ١٦٦٢م). واتضحت هذه الحقيقة بعد العثور على كتاب صيني اسمه (المرآة الثمينة للعناصر الأربعة) للكاتب الصيني تشوشي كي (١٣٠٣م) والذي شرح فيه طريقة ايجاد معاملات نظرية ذات الحدين باستخدام مثلث الكرخي لمعاملات نظرية ذات الحدين. كما ذكر نصير الدين الطوسي (٥٩٧ ـ ٦٧٢هـ)، مثلث الكرخي لمعاملات نظرية ذات الحدين في مؤلفاته العديدة. ولم يترك السموأل المغربي مجالا للشك في كتابه «الباهر في الجبر» الذي حققه كل من صلاح احمد وسيد راشد ان الكرخي مبتكر مثلث معاملات نظرية ذات الحدين. والكرخي صاحب نظرية (مجموع مكعبين لا يكون مربعا) وليس فرما (١٦٠١ ـ ١٦٦٥م) العالم الفرنسي الذي تنسب له هذه النظرية.

١١ـ **محمد بن موسى الخوارزمي** (١٦٤ ـ ٢٣٥هـ) مؤسس علم الجبر أول من أوحى في (المحددة ـ Determent) التي طورها العالم الياباني سيكي كاو (١٦٤٢ ـ ١٧٠٨م). ولكن علماء الغرب يصرون على أن العالم الالماني ليبنز (١٦٤٦ ـ ١٧١٦م) هو مبتكر المحددة، وطبقها في العلوم التطبيقية العالم الفرنسي اوقستين كوشي (١٧٨٩ ـ ١٨٥٧م).

١٢ـ اثبت ديفيد كنج انجليزي الأصل عام (١٩٧٠م) أن معظم نظريات العالم البولوني كوبرنيك (١٤٧٣ ـ ١٥٤٣م) في علم الفلك مسروقة من انتاج **أبي عبدالله البتاني** (٢٣٥ ـ ٣١٧هـ) الذي ابتكر الكثير من الدوال والتطابقات المثلثية.

١٣ـ **ابو الفتح الخازني** (ت ـ ٥٥٠هـ) اشتهر بكتابه (ميزان الحكمة) الذي يحتوي على علم الميكانيكا والهيدروستاتيكا. وقد سبق الخازني تورشيللي في الاشارة الى مادة الهواء ووزنه، وأشار الى أن للهواء وزنا وقوة رافعة كالسوائل وان وزن الجسم المغمور في الهواء ينقص عن وزنه الحقيقي وان مقدار ما ينقصه من الوزن يتوقف على كثافة الهواء. كما بين الخازني أن قاعدة ارخميدس لا تسري فقط على السوائل، ولكن تسري أيضا على الغازات وقد مهد ذلك لاختراع البارومتر (ميزان الضغط) ومفرغات الهواء والمضخات، لذا فقد سبق الخازني كل من تورشيللي وبويل وباسكال.

١٤ـ انتحل العالم الالماني ريجيومونتانس (١٤٣٦ ـ ١٤٧٦م) المشهور في علم المثلثات والذي كتب أول كتاب في هذا المجال اسمه (Detriangulis Omnimadis) عام ١٤٦٤م نظريات **أبي الوفاء البوزجاني** (٣٢٨ ـ ٣٨٨هـ) في علم المثلثات.

وكانت تلك لمحة عابرة عن جهود عدد من علماء العرب والمسلمين في حقل العلوم الرياضية، حيث مهدوا السبل أمام العالم المعاصر للقيام باختراعاته وابتكاراته. ومما يؤسف له أن الغرب لا يزال يصر على انكار حق المسلمين في الابتكار والاختراع ويسلبهم ما أوجدوه الا بعض المنصفين منهم فانهم لا ينكرون الحقيقة □

إنفجار نجم عملاق متجدد..

في لَيلَة الثالث وَالعشرين من شَهر فبراير ١٩٨٧ شُوهِدَ حَدَث كَوني نَادر في الفَضاء الشاسع، عِبارة عَن ضوء ثاقِب شَديد الوَهج، صادِر عَن انفجار مُريع لنجم متَجدِّد عملاق أطلق عليه «سُوبَرنُوفا» في سَماء نصف الكرَة الجنُوبي، يفُوق شَمسنَا حجماً وبعدًا بآلاف بَل ببَلايين المرات. وَقَد استَغرق ضوء ذَلِك النّجم المنفَجر مَلايين السّنين الضوئية حتّى وصَل إلينَا. لقدكَان انفجَار ذَلِك النَّجم مَثار اهتمام وتَلهف العَديد مِن الفَلكيين والفيزيائيين وَالهيئات العلميّة في جَميع أرجاء العَالم، لاسيما وأن هَذِه الظاهِرَة الفَريدة لاتتكرر إلّا مرّة واحِدَة كُل أربعَة قُرون تَقريباً.



أبدع الله، سبحانه وتعالى، هذا الكون الفسيح، وزين السماء بمصابيح، ثم ترك لنا الباب مفتوحا على مصراعيه، لنتدبر عجائب هذا الكون الشاسع بنجومه وكواكبه ومجراته، سعيا وراء سبر أغواره والوقوف على بعض أسراره، بما أوتينا من العلم ﴿**قل انظروا ماذا في السموات والأرض**﴾، صدق الله العظيم. وأكثر الناس شغفا بأحداث السماء هم الفلكيون، الذين يجدون متعة ما بعدها متعة في رصد القبة السماوية، مستعينين بالمراصد الحديثة والمناظير المقربة القوية وأجهزة التصوير المتطورة، التي توفر لهم معلومات ضافية عن حركات النجوم، والكواكب، والمجرات، وما يطرأ عليها من تغيرات.

لقد كان للتقدم الهائل الذي حققه التصوير الفوتوغرافي والنقلة الجبارة في مجال علم الفلك

"سوبر نوفا" ظاهرة كونية مذهلة

بقلم : سليمان نصر الله / هيئة التحرير



الراديوي، الفضل الأكبر في اكتشاف المزيد من معالم الكون المثيرة، وحركة الاجرام السماوية. فأفاد راصدو السماء والفلكيون كثيرا من الصور التي توفرت لديهم من رحلات الفضاء، وادركوا أن الظواهر السماوية لا تسير بطريقة عشوائية، وانما تخضع لناموس منظم دقيق، وضعه وقدَّره الخالق العظيم، سبحانه وتعالى. لقد أماط علم الفلك الراديوي المتقدم اللثام عن كثير من الظواهر الكونية، التي لا تستطيع المناظير العادية الجامعة للضوء أن تحيط بها، مثل سحب الغاز غير المضيئة التي تتخلل الأبعاد السحيقة بين النجوم والمجرات. وخطا التصوير الفوتوغرافي الفلكي خطوات جبارة، حتى لقد أصبح في مقدور الفلكي أن يرى نجوما بعيدة جدا لا يستطيع رؤيتها بالعين المجردة. ورغم أن الفلكيين قد ظنوا لمدة طويلة أن الضوء المنبعث من النجوم هو ضوء ملون، فقد كان يعوزهم الدليل على ذلك، لأن عين الانسان أعجز من أن تميز تلك الالوان الخافتة. ولم يتمكن الفلكيون من الحصول على صور للأجرام والنجوم والكواكب، ببهائها وألوانها الحقيقية، الا بعد أن تم اكتشاف الفلم الحساس الملون ذي السرعة العالية. فكل نجم سابح في الفضاء يبدو كطيف ملون له ميزاته التي ينفرد بها. ولهذا نرى راصدي النجوم يمعنون النظر في الصور الفوتوغرافية للخروج بحقائق علمية جديدة عنها. ولعل من المفيد أن نذكر أن لكل نجم في السماء دورة حياتية واطوارا يمر بها، تماما كالانسان، من ولادة، ونمو، واحتضار، وفناء، بيد أن الفارق الزمني بين الحالتين شاسع جدا.

وهذا الكون الشاسع، الذي يحار العقل في تصوره، يتألف من بلايين المجرات، وكل مجرة تتألف من حشد رهيب من النجوم، وكل نجم شمس تدور حولها كواكب، وكل كوكب تدور حوله أقمار. كل ذلك موزع في الفضاء السحيق بدقة واتقان وحسابات لا يأتيها الخطأ من بين يديها ولا من خلفها بأي شكل أو مقدار، انها حسابات الله، العلي القدير. ويكفي لمحاولة تصور مقدار اتساع الكون، أن نعرف أن مجرتنا المتواضعة بالنسبة الى بلايين المجرات، والمعروفة باسم طريق التبانة أو «الطريق اللبني — Milky Way»، هي من الضخامة والسعة بحيث يقضي شعاع من الضوء ينتقل بسرعة ١٨٦ ٠٠٠ ميل/ثانية نحو مائة الف سنة من أحد طرفيها الى الطرف الآخر. والنجوم في هذا الكون الشاسع هي أجرام سماوية شديدة الضياء عظيمة الحرارة، تنطلق منها

الانفجار النجمي الهائل الذي حدث في ٢٣ فبراير ١٩٨٧، ويرى النجم قبل الانفجار في القسم الأيمن من الصورة، وبعد الانفجار في القسم الأيسر من الصورة.

تصوير: دايفيد ميلون وراي شاربلز





العالم الفلكي الكندي «ايان شيلتون» مكتشف «السوبر نوفا ١٩٨٧».

تصوير: فيرا نيلتز

طاقات جبارة من اشعاعات الطيف الكهرومغناطيسية، اذ تتولد داخل الأتون المستعر في كل نجم طاقة رهيبة من جراء تفاعل نووي يحدث في غازي الايدروجين والهليوم في ذرات النجوم. ونحن نرى النجوم صغيرة في صفحة السماء بسبب بعدها السحيق عنا. فاذا عرفنا أن شمسنا لا تبعد عنا سوى ثماني دقائق ضوئية، وهذا يساوي ٩٣ مليون ميل، فكيف نتخيل اتساع الكون اذا عرفنا أن أقرب شمس أخرى الينا تبعد ٤،٣ سنوات ضوئية؟ والنجوم متباعد بعضها عن بعض وان كنا نراها متقاربة في السماء، وتحسب الأبعاد السحيقة بين نجم وآخر بالسنين الضوئية. والسنة الضوئية تساوي نحو ٦ ملايين ميل، وهي المسافة التي يقطعها الضوء في عام.

لقد ابتكر علماء الفلك وحدة جديدة لقياس المسافات الرهيبة بين النجوم تدعى «بارسك» ويساوي ٣،٣٦ سنوات ضوئية. فاذا علمنا أن اقرب شمس أخرى الينا تبعد عنا ٤،٣ سنة ضوئية، وان أقرب مجرة من مجرتنا، وهي سديم المرأة المسلسلة «اندروميدا — Andromeda» تبعد ٨٦٠٠٠ سنة ضوئية،ندرك كم هو هائل هذا الكون. وهذه المجرات وما تحتويه من نجوم تحافظ على مواقعها وتدور بانتظام عجيب دون صدام، بفعل قانون الجاذبية. فقوة الجاذبية هي التي تجعل الشمس مرتبطة بالأرض فتحافظ على موقعها بالنسبة لباقي الاجرام السماوية، وتجعلها تدور حولها دون انفلات. فالأجرام السماوية تدور دون صدام أو خلل في المسار أو اضطراب في الحركة، وتحافظ على مواقعها، وكأن الجاذبية أعمدة لا تراها العيون البشرية. فابتعاد الأجرام السماوية على مسافات عظيمة ومتناسبة تناسبا طرديا مع الكتل نفسها، يشكل أساس توازنها. ومن بين الحقائق العلمية المدهشة التي توصل اليها العلماء، أن هذا الكون الهائل آخذ في التمدد والانتشار والاتساع بسرعة مذهلة، فقد استنتج العلماء من دراسة ظاهرة «دوبلر» عن الازاحة الحمراء أن كل المجرات تبتعد عن بعضها بسرعات تتناسب طردا مع أبعادها عنا وأبعاد بعضها عن بعض، اذ ظهر أن المجرات البعيدة تبتعد عنا بسرعة تفوق ابتعاد المجرات القريبة. فما أروع قول الخالق سبحانه وتعالى في سورة الذاريات: ﴿**والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون**﴾. فنحن اذا حللنا طيف نجم مضيء آخذ في الابتعاد، وجدنا أن خطوط طيفه تنتقل نحو طرف الناحية الحمراء من الطيف. وقد تمكن العلماء عن طريق اجراء عمليات رياضية معقدة طويلة بالكمبيوتر من أن يستنتجوا مدى ابتعاد النجوم بعضها عن بعض وسرعة الابتعاد. فكلما ازدادت المجرات بعدا ازداد اندفاعها في الفضاء بسرعة هائلة، قد تبلغ احيانا ١٤٠٠٠ ميل في الثانية الواحدة. والجدير بالذكر أن التمدد يشمل النطاق الكوني الواسع ولا يشمل النطاق المحلي، فأبعاد مجموعتنا الشمسية لا تتمدد، وكذلك المسافات داخل مجرتنا، والمسافات داخل المجموعة المحلية — Local Group، وانما التمدد يبدأ بعد حدود مجموعتنا المحلية، أي بعد نصف مليون بارسك. وتتكون المجموعة المحلية من مجموعات عنقودية من المجرات، تدور كل منها حول نفسها من الغرب الى الشرق، ويحافظ كل منها على بعده من الآخر بفعل الجاذبية، ومنها مجرتنا المعروفة بالطريق اللبني أو طريق التبانة. أما «مجرات السدم — Nebula» الشبيهة بمجرتنا من حيث طبيعة تكوينها المعدني، فانها مشتتة في الفضاء السحيق على هيئة «جزر كونية — Cosmic Islands»، تنطلق متباعدة عن بعضها لتتسع مع اتساع وتمدد الفضاء. وحتى الآن لا تستطيع أقوى المراقب أن ترى الا الجبابرة منها أو العمالقة الكبار ولكن على شكل نقاط ضوئية باهتة.

ويترتب على ظاهرة تمدد الكون وتباعد المجرات بنجومها وكواكبها وأقمارها مولد نجوم جديدة في الكون، وهذا أمر يتصل بقانون خلق المادة المستمر، فقد أودع الخالق سبحانه وتعالى في المادة خاصية التأثيرات أو المجالات كما يطلق عليها العلماء، وهذه المجالات أو التأثيرات هي التي تعمل على بناء النجوم، ومن ثم على اتساع الكون وتمدده، باستمرار خلق المادة ومجالاتها. فالمجال النووي في المادة يربط أجزاء النواة بعضها ببعض، والمجال الكهرومغناطيسي يمكن الذرات من امتصاص الضوء، ومجال الجاذبية يعمل على تماسك المجرات والنجوم.

ولعل من المفيد أن نذكر أن هناك مجموعات من النجوم يسميها العلماء النجوم المتغيرة، وهي نجوم يشتد لمعانها ثم تعود فتخبو. ويحدث على فترات متباعدة أن يتلألأ بغتة في السماء نجم، فيزداد تألقه واشراقه ازديادا عظيما، ثم ينفجر ويهوي من عليائه، ويقذف عبر المسافات الرهيبة سحبا من الأبخرة شديدة التوهج، يمكن أن ترى بالعين المجردة. واغلب الظن أن النجم الذي ينفجر على هذا النحو كان مختفيا، فعندما انتشر ضياؤه إثر انفجاره توهمه البعض نجما قد ولد وظهر فجأة. وبعض العلماء يرى أن النجم الوليد ما هو الا تضخم نجم كان موجودا من قبل، ويرجحون انه لن يلبث طويلا حتى يعود الى حالته الأولى، ومع ذلك لا يزال الفلكيون يسمون هذه النجوم المتفجرة «نوفا — Nova» أي النجم الجديد. ويعلل العلماء انفجار مثل هذه النجوم بوجود قوتين متضادتين فيها، احدهما تشد اطراف النجم الى الداخل، والأخرى تقوم باحداث ضغط هائل داخل النجم بقصد انتفاخه وانفجاره. ولو كانت شمسنا من هذا النوع من النجوم لتغيرت درجات الحرارة آلاف المرات كل أسبوع ولكانت الحياة على الأرض شبه مستحيلة. والنجم المتفجر — Nova حين يصل الى مرحلة الشيخوخة ينفجر فيطلق كميات هائلة من الغاز في شكل سديم يحيط ببقايا النجم، الذي يبدو في شكل نواة تمثل نجما صغيرا جدا، يطلق عليه «قزم أبيض — White Dwarf»، وهو أصغر النجوم حجما وأكثرها كثافة. وقد انفجر نجم من نوع النوفا سنة ١٦٠٤م، وهذا النجم الصغير واحد من الأقزام البيض التي يعتبرها العلماء علامات تدلنا على قصة التطور لكل النجوم التي تمر بالطفولة والشباب ثم مرحلة العمالقة الحمر — Red Giants، واخيرا تنتهي الى مرحلة الأقزام البيضاء، وهذه النهاية تستمر لعدة ملايين من السنين، ثم يضمحل النجم رويدا رويدا، ويتغير لونه بالبرودة الى الأصفر ثم البرتقالي ثم

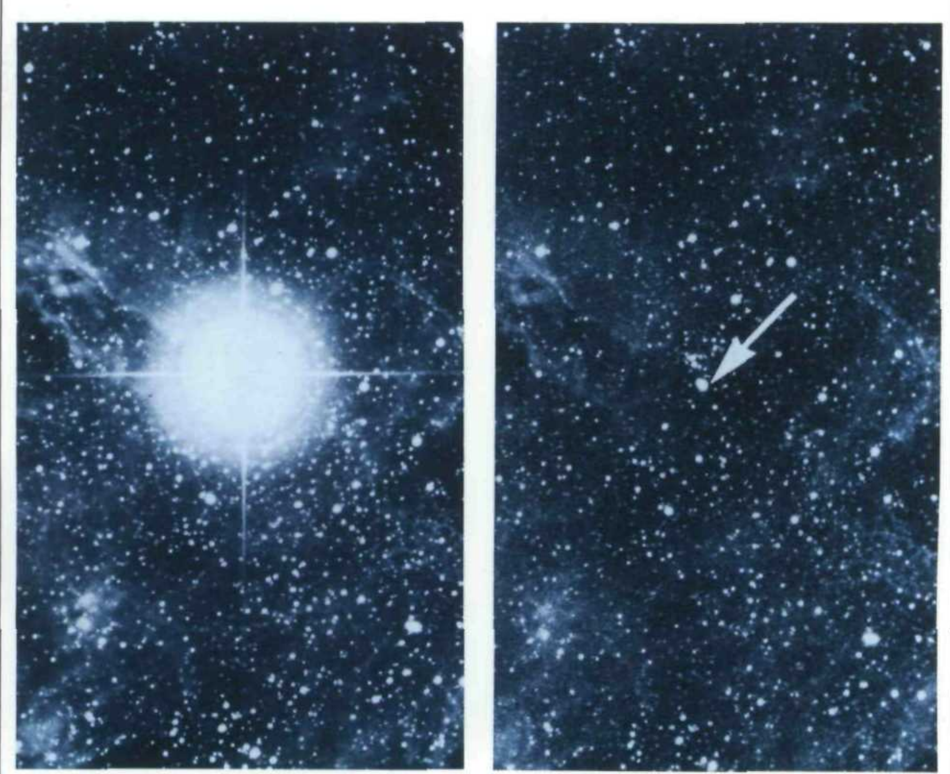
الأحمر، عندها يأخذ في الانتفاخ التدريجي حتى ينفجر ويتلاشى تماما مكونا قزما أسود.

لقد صنف الفلكيون وعلماء الفيزياء الفلكية النجوم ذات الطبيعة المختلفة واكتشفوا مكانها وماهيتها، ثم راحوا يفسرون مراحل حياة النجوم تفسيرا علميا. ولعبت الحسابات والارصاد دورا بارزا في اعطاء وصف عام لميلاد معظم النجوم، وفتوتها، ونضجها، وعقمها، وموتها. كما وفرت للعلماء حدود الزمن النهائية، بشكل تقريبي، التي لا بد أن تخبو في خلالها كافة نجوم المجرة ثم تنطفيء. لقد كان الفلكي الانكليزي السير «آرثر ادينجتون — Sir Arthur Eddington» أول من ادرك أهمية الكتلة في حياة النجوم عام ١٩٢٠م. فقد رأى أنه متى تكون النجم وفيه كمية معينة من المادة، فان الذي يحكم ما بقي من حياته هو عملية شد وجذب طاحنة، تدور رحاها بين قوتين متضادتين. فمن جهة ينزع النجم الى الانكماش بفعل جاذبية كتلته الخاصة، ومن جهة أخرى ينزع الى التفكك نتيجة لانطلاق الطاقة التي يحتوي عليها وفقا لقانون اينشتاين ط=ك ع٢. وتبع «ادينجتون» علماء آخرون، وسَّعوا آراءه في هذا الصدد، وتوصل «والتر بادي» عام ١٩٤٠م الى الفكرة الأساسية التي قادت الى اكتشاف التطور النجمي. في المجرة الواحدة مجموعة كاملة من النجوم التي تولد، والنجوم التي في أوج قوتها، والنجوم التي تقضي نحبها وسط انفجارات نووية جياشة، ولكنها تمثل بدء التكون ومنتصفه ونهايته. ومن أمثلة النجوم المتفجرة ما حدث في ٤ يوليو ١٠٥٤م، اذ شوهد انفجار نجم في السماء، وظل هذا النجم المتجدد الكبير — Supernova يشتعل لمدة عامين، بوهج بلغ من شدته أنه كان يسطع في وضح النهار، ثم خبا واحتجب عن الأنظار، وتكونت من حطامه سحابة ممتدة على نطاق واسع من الغاز الهائل تدعى سديم السرطان. هذه الحادثة الكونية ساعدت العلماء والفلكيين على دعم نظرياتهم المتعلقة بحياة النجوم.

لقد عُرف عن الفلكيين سعيهم الدائب لاكتشاف ظواهر سماوية جديدة، دافعهم الى ذلك دراسة هذا الكون الرحيب العجيب. فمن الاكتشافات المثيرة التي تحققت مؤخرا هو رؤية نجم نادر عظيم الضوء بالعين المجردة. فقد حدث أن كان الفلكي الكندي «إيان شيلتون» يتفحص كعادته صورا فوتوغرافية للسماء في مرصد «لاس كامباناس» في تشيلي، ورأى في احدى الصور ما أثار فضوله العلمي. كان «شيلتون» قد التقط صورة باستخدام مقراب صغير في المرصد، ولفرط دهشته، رأى بقعة لامعة براقة لم تظهر في الصور القديمة، التي كان قد التقطها للموقع ذاته في السماء. وهنا غادر «شيلتون» المرصد في الحال، وانطلق الى قمة شاهقة في سلسلة جبال تشيلي الساحلية وصوَّب ناظريه الى السماء، وهو أسلوب تقليدي قديم لرصد النجوم، لجأ اليه هذا العالم الفلكي الذي انتدبته جامعة تورونتو

«سديم السرطان» سحابة من الغازات المتوهجة المتخلفة عن انفجار نجمي حدث في ٤ يوليه ١٠٥٤م في كوكبة برج الثور.

تصوير: البحرية الامريكية



انفجار هائل لنجم في المجرة المعروفة بسحابة ماجلان الكبرى نجم عنه وهج شديد يعادل تألق مئة مليون شمس.

للعمل في مرصد «لاس كامباناس»، وهو أسلوب نادرا ما يستخدمه راصدو النجوم المحترفون في عصرنا الحاضر، خاصة بعد ابتكار أجهزة الرصد المتطورة. لقد استطاع «شيلتون» أن يرى بالعين المجردة تلك البقعة اللامعة في خضم تلك المجرة الهائلة المعروفة بسحابة ماجلان الكبرى. سميت بهذا الاسم نسبة الى المكتشف البرتغالي «فرديناند ماجلان» الذي رأى تلك السحابة الكبرى حين كان يبحر حول العالم منذ أكثر من أربعة قرون. وراح «شيلتون» يفكر ويبحث للوصول الى تفسير منطقي لهذه الظاهرة الغريبة. ولم يلبث أن اقتنع بأن ما يراه بالعين المجردة ان هو الا نجم فائق التألق من النوع الذي يطلق عليه اسم النجم المتجدد العملاق أو «سوبرنوفا». وهذا النجم الفائق التألق الذي شاهده شيلتون في شهر فبراير ١٩٨٧ كان في طور احتضار، إثر انفجار هائل جعله يتألق بشدة لبضعة أسابيع، حتى فاق لمعانه لمعان مئات الملايين من النجوم مجتمعة، ثم أخذ لمعانه يخبو تدريجيا في طريق الفناء.

هذه الظاهرة ليست جديدة، وإنما هي نادرة في حدوثها، ويعتقد علماء الفلك أن الاشعاع يتجمع داخل النجم، أو يختزن فيه لبعض الوقت، ويعجز عن الانطلاق، بحيث يبقى النجم معتما، الى أن ينفجر هذا الاشعاع بعد التكديس والاختزان باعثا كمية كبيرة من الطاقة فيزداد النجم لمعانا فترة من الزمن، ومع تلاشي الاشعاع، يعود النجم قاتما مرة ثانية ويرى علماء الفلك أن الاشعاع المتكدس أو المخزون في النجم يسبب بعض الانتفاخ او التمدد في النجم، بيد انه يعود الى التقلص بعد الانفجار أو انتهاء المخزون الاشعاعي. ويحدث في بعض الأحيان ان ينفجر الاشعاع في داخل النجم قاذفا بعض غازات النجم مسافة بعيدة،



جار مجرّي

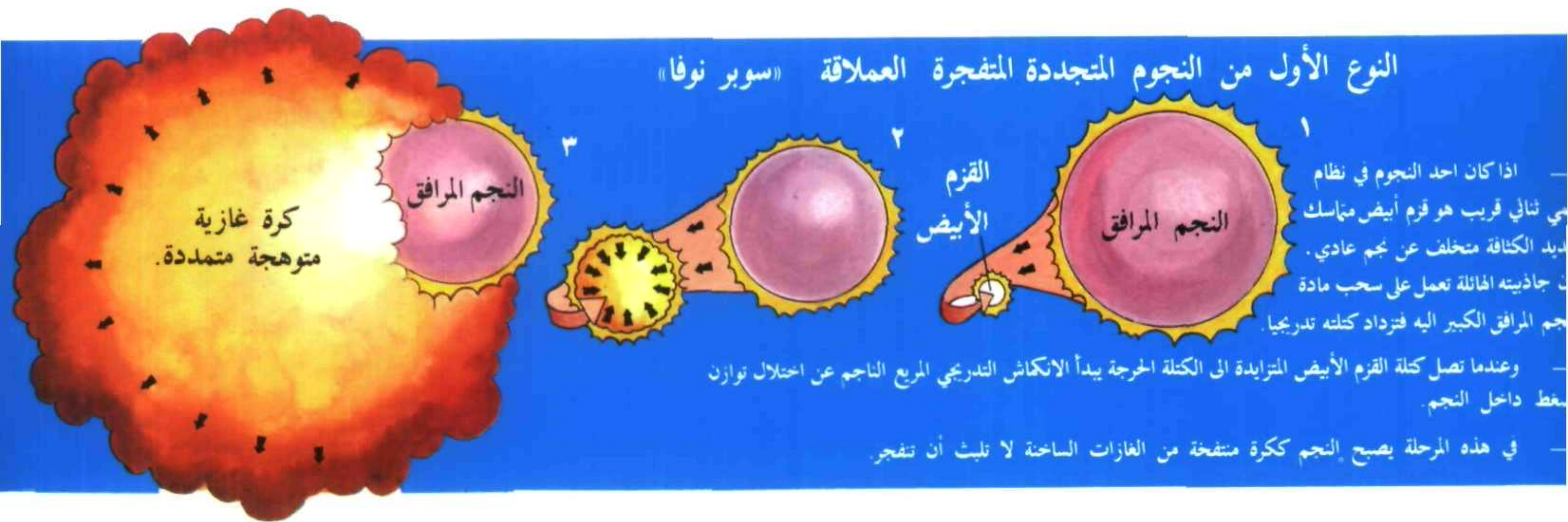
مجرة الطريق اللبني

الأرض

١٧٠ ٠٠٠
سنة ضوئية

سوبر نوفا ١٩٨٧أ

سحابة ماجلان الكبرى

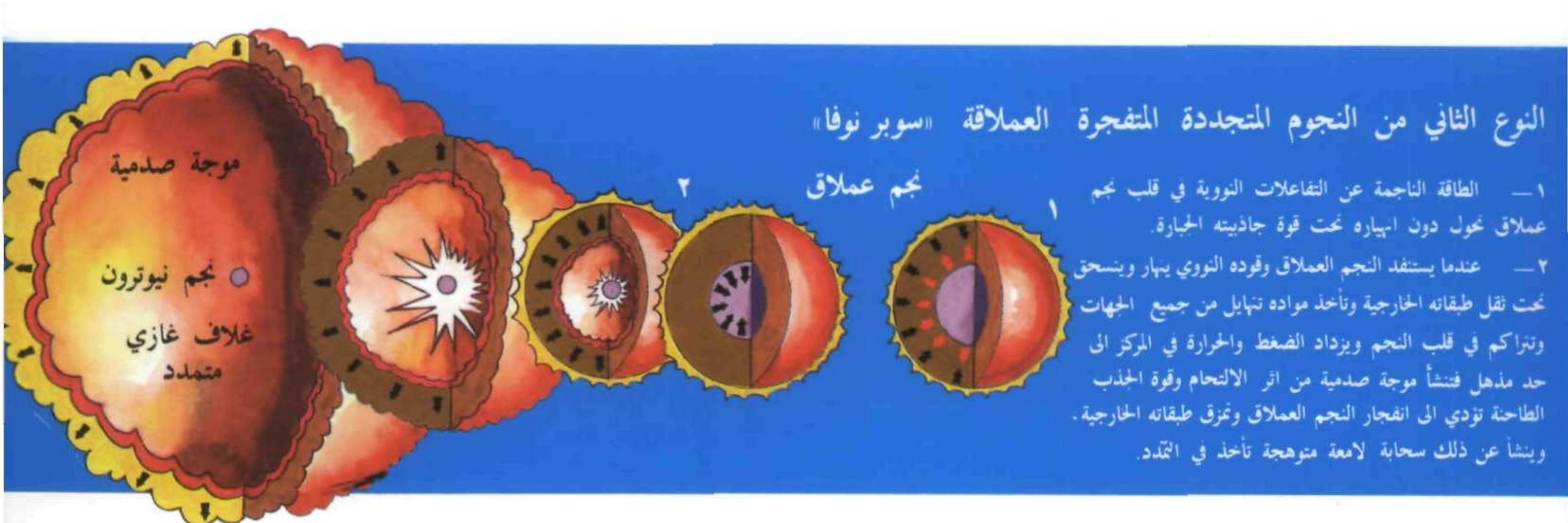


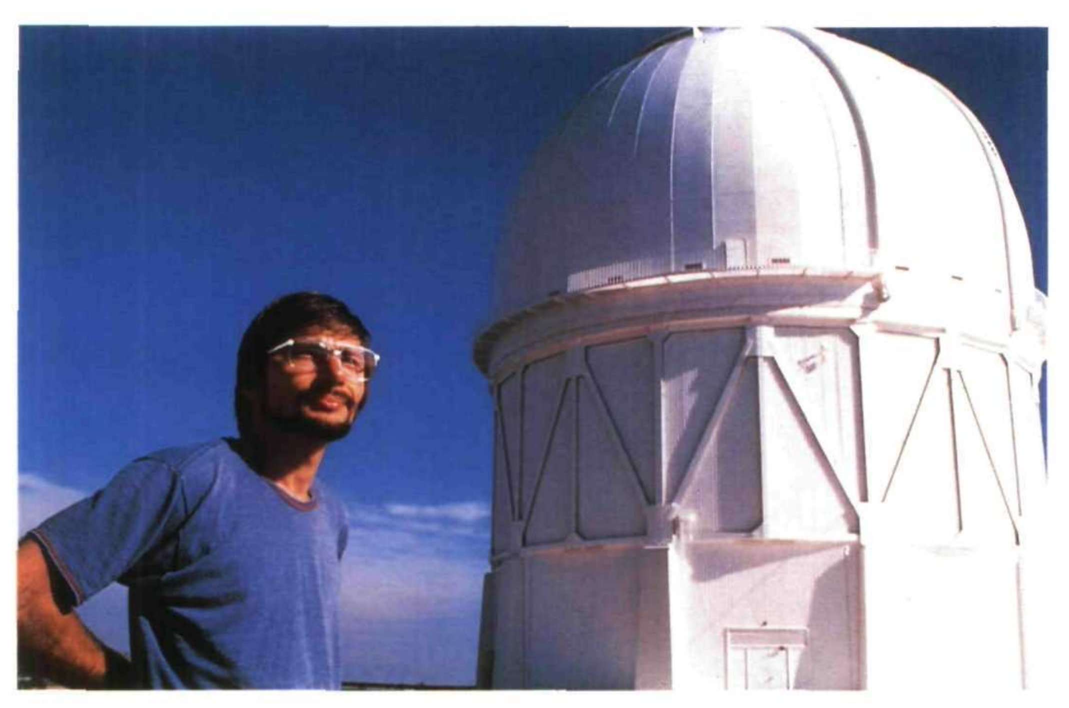
محدثا انفجارا رهيبا ينجم عنه ازدياد لمعان النجم ألوف المرات خلال فترة قصيرة جدا من الزمن. وقد يكون مثل هذا النجم قاتما جدا بحيث لا يرى ابدا لكنه يشرق في مثل هذه الحالة اشراقا ساطعا وكأنه نجم جديد. وفي هذه الحالة تدعى مثل هذه النجوم بالنجوم المستعرة أو المتجددة التألق. وقد يكون الانفجار شديدا جدا في بعض الأحيان، بحيث يتفتت النجم تفتتا تاما. وفي مثل هذه الحالة يزداد لمعان ملايين المرات خلال فترة قصيرة ثم يختفي، وهنا يدعى بالنجم المتجدد العملاق أو «السوبرنوفا».

ان النجم الساطع الذي رآه «شيلتون» هو أحد النجوم في سحابة ماجلان الكبرى، وهي مجرة واقعة على مشارف مجرتنا المعروفة باسم مجرة طريق التبانة، على بعد ١٧٠٠٠٠ سنة ضوئية من الأرض. وعليه فان بعدها عن الأرض يبلغ نحو ٦ تريليون ميل. هذه المسافة بالمقاييس الفلكية ليست ذات بال، وعليه فقد تمكن علماء الفلك المهتمون بمثل هذه الظواهر الكونية من رؤية هذا النجم الفائق التألق، الذي ظهر في شهر فبراير ١٩٨٧ بالعين المجردة في نصف الكرة الجنوبي. وهذا النجم الذي شوهد مؤخرا يعتبر أشد النجوم لمعانا منذ حدوث انفجار مماثل عام ١٦٠٤م، كما انه كان النجم الوحيد الذي تمت رؤيته بالعين المجردة منذ انفجار نجم عام ١٨٨٥م، ولهذا كان انفجار هذا النجم من ابرز الأحداث الفلكية. وقد هبت مؤسسات علمية كثيرة في أنحاء العالم لدراسة هذا النجم والآثار الناجمة عنه. ولا شك في أنه سيؤكد أو يدحض بعض المفاهيم السائدة عن النجوم والمجرات، لا سيما وأن هذا النجم الفائق التألق هو أول نجم من نوعه يكون قريبا من الأرض، ويساعد على ذلك استخدام وسائل تقنية متطورة لسبر أغواره. وكان «شيلتون» قد بادر، لدى تأكده من أهمية اكتشافه، الى نقل أنباء هذا النجم الفائق التألق الى الاتحاد الفلكي الدولي في مدينة «كامبريدج» في ولاية «مساتشوستس» في الولايات المتحدة الامريكية، باعتباره هيئة علمية عالمية تعنى بمتابعة الأحداث والظواهر الفلكية كالمذنبات، والكويكبات، والنجوم العابرة. وقام الاتحاد الفلكي الدولي فورا بنشر اخبار انفجار النجم المتجدد العملاق «السوبرنوفا» بالاتصال بما يزيد على ١٥٠ مركزا علميا منتشرا في انحاء العالم، بعد أن أطلق عليه اسم «سوبرنوفا ١٩٨٧أ — 1987 A Supernova». وراحت المراصد في نصف الكرة الجنوبي توجه مراقبها القوية صوب ذلك النجم لاستنباط بعض الحقائق العلمية. ففي اليابان يتولى قمر اصطناعي اطلق حديثا فحص الأشعة السينية المنبعثة من الغازات الساخنة لهذا النجم، ويبحث القمر الاصطناعي المعروف بـ«سولار ماكس» عن أشعة جاما الخاصة بالانفجارات النشطة جدا. كما تقوم المركبة الفضائية «اكسبلورر» بدراسة الاشعاعات **فوق** البنفسجية الناجمة عن انفجار هذا النجم. ومع أن المعلومات التي توفرت لدى علماء الفلك تفيد بأن جو النجم قد برد إثر انفجاره خارجيا بسرعة ٣٦ مليون ميل في الساعة، الا أنه يعتقد أن لمعانه راح يشتد حتى بلغ لمعان مئة مليون شمس أو لمعان بليون نجم. ويذكر العالم «روبرت كيرشنر»، من جامعة هارفارد، أن درجة حرارة الغلاف المتمدد للنجم «سوبرنوفا ١٩٨٧أ — 1987 A Supernova» قد هبطت عقب الانفجار من ١٠٠٠٠ درجة مئوية الى ٦٠٠٠ درجة مئوية، أي ما يعادل تقريبا درجة حرارة سطح الشمس. اما خلال عملية الانفجار فان الحرارة الداخلية استعرت على نحو مريع لا يتخيله عقل، حتى أن بعض العناصر التي شكلها النجم كالسليكون، والكبريت، والبلاتين، بدأت تنصهر وراحت تنطلق كالطوفان الهائل في الفضاء الشاسع، مكونة سحبا من الغاز والغبار، لا تلبث أن تلتحم وتندمج لتصبح نجوما وكواكب جديدة. ويعتقد العالم الفلكي «ستان ووسلي» من جامعة كاليفورنيا في مدينة «سانتاكروز» ان معظم العناصر المتوفرة في أرضنا باستثناء الهيدروجين قد تكونت في بعض النجوم التي تحولت الى نجوم متفجرة عملاقة كالذي انفجر مؤخرا. ويضيف «ووسلي» قائلا: لا استبعد ان تكون العناصر في اجسامنا قد تولدت عن انفجارات نجمية شبيهة بما حدث في شهر فبراير ١٩٨٧، كالكالسيوم في العظام، والحديد في الهيموجلوبين، والاكسجين الذي نتنفسه.

ولم يلبث العلماء بعد مشاهدة انفجار ذلك النجم العملاق «السوبرنوفا» أن عكفوا على دراسته من حيث تقرير نوعه. وقد تم للعلماء و«الفلكيين الفيزيائيين — Astrophysicists» تصنيف نوعين من النجوم المتفجرة أو المتجددة العملاقة «السوبرنوفا»، وذلك تبعا لنوع الانفجار الذي يحدث. ولكي نقف على نوع انفجار النجوم المتجددة العملاقة، جدير بنا أن نعرف شيئا عن النجوم التي نراها تتلألأ في كبد السماء في نصفي الكرة الشمالي والجنوبي. فالنجوم عوالم سابحة في الفضاء الكوني الشاسع، وهي تنتظم في أنماط مختلفة تعرف بالأنظمة النجمية. فمنها النجوم الفردية، ومنها النجوم المزدوجة أو الثنائية، وهي نظام من نجمين يدور احدهما حول الآخر في مدارات تشكلها جاذبيتها المتبادلة، وغالبا ما يدور النجم الكبير حول رفيقه القزم الصغير الأبيض على مسافة يبلغ من قربها أنهما يبدوان كنجم واحد. ومن النجوم ما هو ثلاثي أو رباعي أو متعدد أو عنقودي. ويعتبر العلماء النجوم كأنها مفاعلات نووية، وسبحان الخالق الذي وصفها بالثواقب في سورة الطارق، أي المحترقة، المضيئة، الشديدة اللمعان: ﴿**والسماء والطارق. وما ادراك ما الطارق. النجم الثاقب**﴾. وفي ذلك ما يدل على أن النجوم أجرام سماوية نارية مضيئة بذاتها. ووصفها الحق سبحانه وتعالى بالطارق اي المتحرك ليلا ونهارا في السماء، وبأنها ترى ساكنة لأن بعدها سحيق عن الأرض. فبين بذلك أن سكونها المشاهد من سطح الأرض ظاهري فقط، لان الجسم المتحرك البعيد جدا يُرى وكأنه ساكن. والنجوم يختلف بعضها عن بعض من حيث الحجم، والكتلة، والحرارة، واللمعان، واللون، والتكوين. وقد تمكن علماء الفيزياء الفلكية من حساب بعض هذه الأمور بطرق تقريبية باستخدام المطياف والمعادلات الرياضية، والعقول الالكترونية.

ويخضع العلماء انفجار النجوم وفنائها الى نظرية التوازن، وتتلخص في أن كل نجم





«شيلتون» يقف بجانب مرصد «الاساكامباناس» في تشيلي.

يحافظ باستمرار على خاصية التوازن بين جاذبيته الهائلة التي تحاول سحب مادة النجم نحو المركز، والطاقة النووية الحرارية المنبعثة على شكل اشعاعات من قلب النجم والتي تدفع مادة النجم الى السطح، وبذلك يصبح النجم ككرة منتفخة من الغازات الساخنة. هذه القوى التي تتنازع النجم خلال مدة حياته تبقى في حالة توازن. وبمعنى آخر، ان التفاعلات النووية في اعماق النجم كفيلة بتحقيق التوازن عن طريق تعويض كمية الطاقة التي يفقدها بانسياب الاشعاعات من الباطن الى السطح ثم من السطح الى الفضاء. فاذا ما اختل توازن الضغط داخل النجم فانه يأخذ في الانكماش التدريجي، ثم لا يلبث ان ينهار. وقانون التوازن الكوني نجده في جميع الظواهر الكونية من مجرات ونجوم وكواكب وأقمار. فالأرض، على سبيل المثال، تبرز قانون التوازن بصورة جلية واضحة، فحجمها بالنسبة الى الكون في توازن مذهل، فلو زاد حجمها على ما هو عليه الآن لتضاعفت جاذبيتها الحالية، الأمر الذي كان يؤدي الى انكماش غلافها الجوي من الف كيلومتر سمكا الى ما دون ذلك، وهذا بدوره يجعل كل بوصة مربعة من سطح الأرض تتحمل من الضغط ما هو فوق طاقتها. ان كل بوصة مربعة من سطح الأرض تتحمل الآن ما وزنه ١٥ رطلا من الضغط الجوي، فاذا ما انكمش الغلاف الجوي الى النصف، أي ٥٠٠ كيلومتر، عندها يتضاعف الضغط الجوي على البوصة المربعة من سطح الأرض ليصبح ٣٠ رطلا، وعند ذلك تصبح الحياة متعذرة على سطح الأرض. ولو كان حجم الأرض ضئيلا في مثل حجم القمر مثلا، فان الأرض لا تستطيع امساك الغلاف الجوي حولها وكذلك بخار الماء، وفي مثل تلك الحالة تستحيل الحياة. انه قانون التوازن الكوني، الذي أطلق عليه العالم الرياضي الامريكي «آرل تشستر — بكسي» عبارة «عجلة التوازن العظيمة — Great Balance Wheel» في كتابه «الدليل على وجود الله- The Evidence of God». ومن ناحية أخرى، نعلم أن سرعة الأرض هي الف ميل في الساعة، وعلى هذه السرعة تكون الأرض في توازن تام مع جاذبيتها، ولذلك فانها لا تلقي بنفسها ولا بمن عليها في الفضاء الكوني. فلو نقصت هذه السرعة الى ٢٠٠ ميل في الساعة لطالت أوقات النهار والليل عشرات المرات، وينجم عن ذلك احتراق الحياة على الأرض طوال النهار الطويل، وتجمد الحياة على الأرض طوال الليل الطويل، فسبحان الله الذي يقول في سورة الملك: **﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور﴾**. لقد اكتشف العلم اخيرا انه في كل سنة تقريبا يتحول أحد النجوم الى قزم أبيض بينما يولد في نفس الفترة ثلاثة أو أربعة نجوم زرق، أو صفر، او برتقالية، أو حمر، تتكون من الغازات الموجودة بين النجوم. وحين تخبو النجوم وتذوي لا تفنى مادتها، بل تتحول نسبة كبيرة من مادتها الى خامة جديدة تعود لتسهم في بناء نجم جديد. وعلى ذلك تبدو مجرتنا، الطريق اللبني، كأنها حديقة كونية بديعة، كثير من زهورها يذوي ويذبل، وكثير غيرها يولد ويزدهر ويتفتح، انها قدرة الخالق الذي أبدع خلق كل شيء واخضعه لقانون التوازن.

هناك نوعان من الانفجارات النجمية المعروفة لدى العلماء والفلكيين. فالنوع الأول يحدث في النجوم المزدوجة أو الثنائية، عندما يأخذ نجم من نوع «الاقزام البيض — White Dwarfs» ذو جاذبية جبارة يسحب الغاز من رفيقه، فتزداد كتلته تدريجيا حتى تبلغ الكتلة الحرجة، وهي تعادل ١.٤ كتلة شمسنا، عندها ينفجر النجم. ويعزى ذلك الى أن النجم في هذه الحالة لا يتمكن مطلقا من أن يعوض كمية الطاقة التي تنساب من الباطن الى السطح ثم من السطح الى الفضاء. عندها يأخذ في الانكماش والانهيار ثم الانفجار. أما النوع الثاني من الانفجارات النجمية فيحدث عندما يستنفد نجم عملاق وقوده النووي فينهار وينسحق تحت ثقل طبقاته الخارجية وتأخذ مواده تتهايل من جميع الجهات وتتراكم في قلب النجم، ويزداد الضغط والحرارة في المركز الى حد مذهل فتنشأ «موجة صدمية — Shock Wave» من أثر الالتحام وقوة الجذب الطاحنة، تؤدي الى الانفجار، وتمزق الطبقات الخارجية للنجم. ويعتقد العلماء والفلكيون ان الانفجار النجمي الذي حدث في فبراير ١٩٨٧ هو من النوع الثاني □

(عن مجلة التايم بتصرف)

المراجع

- مجلة «تايم»
- «هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم» للدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر.
- «الكون» من مكتبة لايف العلمية.
- «الموسوعة العلمية الحديثة».

«كعب بن مالك رضي الله عنه، صحابي جليل تخلف يوم تبوك ومرت به محنة عظيمة.. كاد أن يهلك فيها.. ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد رجوعه من تبوك، وعلمه ان كعبا تخلف بغير عذر.. أمر بأن يهجر الناس كعبا حتى يحكم الله فيه بما يشاء.. وسمع ملك الروم بذلك.. وكان يعلم عن مكانة كعب وشاعريته فبعث اليه برسول.. وقال له: يقول لك الملك سمعنا أن صاحبك قد قلاك فاقدم الينا نكرمك.. فزادت احزان كعب وقال: هذا والله هو البلاء.. حتى أعداء الاسلام طمعوا في خيانتي!.. ثم فرجت الشدة وتاب الله عليه».

هذا هو البلاء

شعر

عبدالرحمن صالح العشماوي / الرياض



مُقلتاه استحالتا مرصادا ... يرقب الدرب انجدا ووهادا

ليله كان بالصفاء قصيرا ... فترامى بحزنه وتمادى

وجهه صار لوحة من وجوم ... أبدع الهم رسمها وأجادا

قلبه صار غابة من جراح ... تمنح الليل رهبة وسوادا

أصبح الكون حوله مثل سجن ... وأمانيه أصبحت أصفادا

ضربت حوله الهموم سياجا ... وأراقت في مقلتيه السهادا

كان "كعب بن مالك" اريحيا ... صادقا في يقينه منقادا

لم تحل بينه وبين المعالي ... نزوة تسلب الحكيم الرشادا

وأتت لحظة امتحان عظيم ... صاح فيها داعي الجهاد ونادى

ظل كعب يصارع النفس حتى ... أظهرت شدة له وعنادا

قلبه يعشق الجهاد، ولكن ... نفسه هولت عليه الجهادا

أخروج، والشمس ترسل نارا ... ورمال الصحراء تشوي الجرادا؟

أتبوكا نريد والصيف أضحى ... حانقا، والجفاف يشقي البلادا؟

ايه كعب بن مالك رب نار ... أكلت بعضها فصارت رمادا

أطفئ الشك باليقين واسرج ... في سبيل الرحمن، هذا الجوادا

أدرك القوم، أسرعوا كي ينالوا ... شرفا في جهادهم، ورشادا

وقضى الله أمره، فتمادت ... نفس كعب في صمتها، وتمادى

قلبه صار مجمرا للمآسي ... عينه أصبحت تمنى الرقادا

محنة أرسلت اليه شواظا ... من لظاها، ونازعته القيادا

وأتاه الرسول من ملك الروم، وأبدى لنصره استعدادا

يا إلاهي، أيطمع الروم أني ... بعد نور الإيمان أرضى ارتدادا؟

رب هذا هو البلاء فزدني ... منك عزما وقوة وسدادا

أنا يا رب ما كفرت ولا بدلت ديني، ولا قصدت العنادا

انها نزوة لنفسي رمتني ... بخمول، وقد ملكت العتادا

أتراني أستبدل الكفر بالإيمان أو أرتضي لنفسي كسادا؟

أتراني بعد ازدهار فؤادي ... بيقيني أجاور الأوغادا؟

وأوالي أعداء ديني وأمضي ... في طريق أدوس فيه القتادا

ان سجنا بأرض قومي لأسمى ... من قصور للروم تندى فسادا

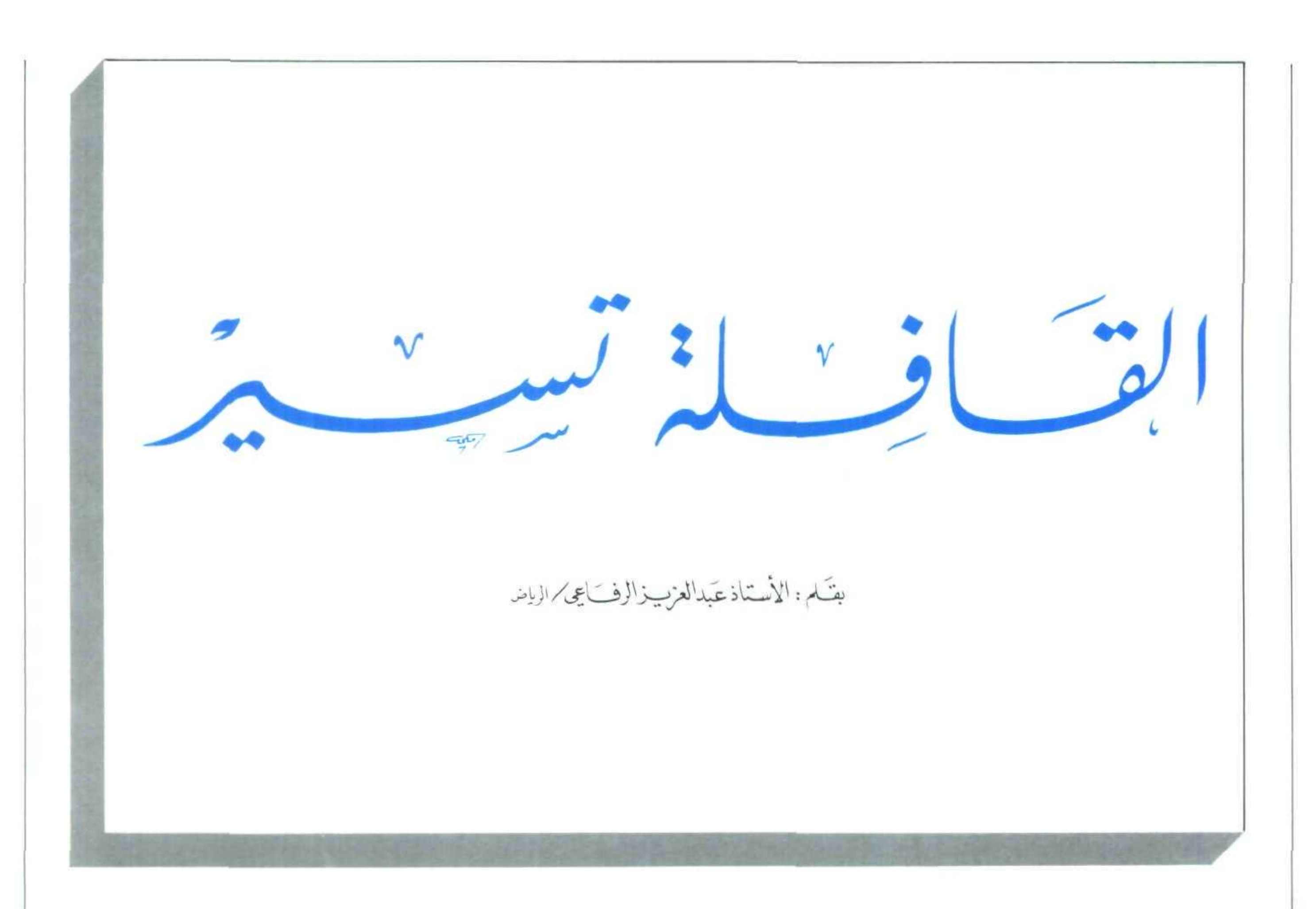
وأتى العفو من إله عظيم ... فرمى اليأس سيفه وانقادا

استمع أيها الزمان وحدث ... ربما يوقظ الحديث الجمادا

كم جنينا من الخيانات ذلا ... ولقينا بها سنينا شدادا

كم رفعنا على الأحبة سيفا ... وبذلنا للمعتدين الودادا

حكمة الله أن يذل خؤون ... ويلاقي أهل الوفاء رشادا



خمسة وثلاثون عاما مرت منذ انشاء هذه المجلة.. خمسة وثلاثون عاما هي ازهى وأزهر عهود المملكة العربية السعودية، نعمت فيها — ولله مزيد الحمد — بالخير الوفير، وباستقرار العيش والأمن، وتوطيد دعائم الحاضر والمستقبل، تأسيسا على ماوهب الله لهامن تراث الماضي، المبني على مقدساتها، وعلى لغتها، وعلى أمجادها التليدة.. وعلى مافتح الله لها من ينابيع الزيت..

نشأت هذه المجلة، أول أمره، وأمرها.. فتألقت مصابيحه، تضيء الطريق الى حياة جديدة، يسودها الرخاء ورغد العيش، فأقبلت المملكة على البناء.. تبني نهضتها الحديثة، وتسير بها قدما الى اهدافها الكبيرة.. حقا لم تكن عملية البناء جديدة عليها... فقد عرفتها قبل ان تعرف الزيت، فبنت الامن. وكان بناؤه أصعب ما يكون بناء، ولكن الله — عزت قدرته — أيده، فقد صدر عن نية خالصة في التزام شرع الله، وتأمين الطريق الى بيته الحرام، وادخال الطمأنينة الى الناس، على انفسهم واولادهم واموالهم.. لقد تمت هذه العملية العظيمة على يد الملك المؤسس عبدالعزيز طيب الله ثراه..

ولو لم يهيء الله ذلك الامن العجيب، الذي ضربت أطنابه في أرجاء هذه المملكة الشاسعة، لما كان للزيت ان ينبع، ولو نبع لما كان له أن يتدفق، ولو تدفق لما كان له ان يستمر، ولكنه هبة الله هيأ لها جميع اسباب النجاح، لتصل الى كل نفس، والى كلّ بيت من سكان هذه البلاد.

ولم تكن عملية الامن، هي الصرح الوحيد الكبير الذي تم انجازه قبل انبثاق الزيت.. بل لقد كانت هناك صروح اخرى كثيرة قامت عالية، ولم يكن للمملكة من دخل الا النزر اليسير.. ومن هذا النزر اليسير قام صرح للتعليم المجاني المحض، وواكبه آخر نحو اتاحة الفرصة للعلاج المجاني، فكان هذا وذاك متاحا للمواطن بقدر ما تسمح الظروف، وبقدر اقبال المواطنين على التعليم والعلاج الحديث.. فلم تكن السبل الاجتماعية ممهدة كل التمهيد آنذاك.. وكان بدء التنظيم الاداري، ووضع اللوائح والنظم.. ونواة الشرطة والجيش.. الخ.. كل تلك الصروح قامت على ضحالة من الدخل، ونزارة في المادة.. ولكن خلف كل تلك العمليات الكبيرة من البناء كان الرجل الفذ الراحل: عبدالعزيز.

فلما أراد الله ان يؤيد اعماله الصالحة، ونواياه الطيبة فتح له كنوز الارض.. وضم الى تراثه المجيد، دينا ولغة، وتاريخا، هذا الزيت، ليدعم به كل مشاريعه السالفة، وليوالي به عمليات البناء، وليوسع منها ما شاء الله ان يوسع، وليفتح له آفاقا جديدة من آفاق النهضة.. فلما ارتحل، اسلم القيادة لابنائه من بعده، ليواصلوا عملية البناء، مسترشدين بهدي الله في

قرآنه، وبتشريع رسوله الكريم، ﷺ مقتفين خطوات ابيهم العظيم.. وها نحن نرى في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد، كيف تزدهر المملكة، وتنمو، وتتطور، وتغذ السير لتواكب النهضات الحديثة في العالم.. بل اصبحت نهضة المملكة تبهر وتعجب.. ولا نقول اننا بلغنا المدى، ولا قاربنا الغاية، وانما نقول، اننا بفضل من الله، وتأييد منه، نضع اقدامنا على الطريق الصحيح.. وحري بمن يضع اقدامه على الطريق الصحيح ان يصل.. ما دمنا نستمسك بحبل الله، ونستعينه، ونسأله تعالى ان يجنبنا الغرور.. وان يهدينا دائما سواء السبيل.

خمسة وثلاثون عاما مضت، هي أزهى وأزهر عهود المملكة العربية السعودية.. اعطت فيها الصحراء تمرا وقمحا، وامتدت فيها الطرق، تدك الصعاب، وتجتاز العقبات.. وسارت فيها السيارات والقطارات، وامتلأت اجواؤها طائرات، ومخرت في بحارها السفن والبواخر، ونبغ فيها العلماء والاطباء، وسار بحديث نهضتها الركبان، في كل مكان.. فاللهم لك الحمد حمدا يليق بجلال وجهك، وعظيم سلطانك!.

اما إن الحديث ذو شجون حقا.. فقد كتبت اول حرف من هذا المقال، وانا اريد ان أتحدث عن هذه المجلة فاذا بي انساق الى الحديث عن المملكة.. وكان طبيعيا ان افعل.. فالحديث عن المجلة هو كالحديث عن الزمان والمكان، لا ينفصل احدهما عن الآخر.. فلم يكن بد، من أن أتحدث عن المملكة، التي صدرت بها وعنها هذه المجلة، ولم يكن بد من ان استعرض ولو في ومضات خاطفة، كيف بدأت نهضتنا قبل الزيت، وكيف تطورت بعده.. لئلا يظن ظان عجل، أن بلادنا لم تكن قبل الزيت شيئا مذكورا.. كان لابد أن يتبدد مثل هذا الظن الخاطىء.

أما وقد تحدثت عن الزمن الذي صدرت فيه هذه المجلة، والزمن الذي مر من عمرها، الذي ارجو ان يكون مديدا باذن الله، فقد آن ان اتحدث عنها هي ذاتها.. فليس بالقليل ان تقطع مجلة جادة، هذا العمر الذي يعد طويلا في عمر المجلات الثقافية.. فانا نشهد من وقائع التاريخ للصحافة الادبية.. ان مثل هذه المجلات لا تعمر طويلا.. وللقارئ اذا شاء، ان يستعرض اسماء المجلات الثقافية المشهورة في العالم العربي، فانه سيجد إن اقل من القليل، هي تلك المجلات التي بقيت في الساحة الادبية.. او الثقافية.. ومن حسن الحظ، ان المملكة تحتفظ باسماء عدد من هذه المجلات، مثل المنهل، والقافلة.. او قافلة الزيت.. وحسنا فعلت هذه المجلة، حينما ادخلت هذا التعديل على اسمها، فقد كانت في عهدها الماضي، ترصد فيما ترصد حركة الزيت، وتطوره، وتطور المملكة به ومعه، اما الآن فان مرحلة الزيت قد استقرت، ومضت القافلة تسير به وبغيره، من عناصر دخولها، ومقومات نهضتها.

ومن الحق ان نقول، أن اخبار الزيت، أو الاضواء التي كانت تسلط عليه، لم تكن طاغية بل ولا بـارزة على صفحات المجلة.. بل كان استعمالها كاستعمال الملح في الطعام، حينما يستخدمه طاه ماهر.. بل كان الجانب الثقافي والادبي هو الملحوظ.. والبارز.. وكانت هناك — وما تزال — سياسة حكيمة تضبط توجيه القافلة، لتسير في اتزان، وفي طريق مرسومة معلومة.. مع العناية بالجانب الجاد، وبالثقافة الهادفة.. وقد عاشت عمرها كله، الذي نرجو ان يمتد ويمتد، جميلة انيقة، محتشمة غير متبرجة، حتى اصبحت معروفة مشهورة، اجتازت الحدود فكما عرفت بالداخل، اشتهرت بالخارج، وقد استطاع قادتها ان يستقطبوا اعلام الادب والفكر، وان يستكتبوا مشاهير الكتاب وكبارهم سواء من داخل المملكة، او من خارجها.. ومن رؤساء تحريرها المشهورين كل من الاستاذ شكيب الاموي، وسيف الدين عاشور.. ولكل شهرته وقلمه وثقافته الواسعة.. وكل منهما قاص معروف.. وكاتب قدير.. وقد وسعا من دائرة كتاب المجلة، ووثقا من علاقاتها بهم.. وليس في هذا — بطبيعة الحال — تقليل من شأن اي رئيس تحرير للقافلة وانما ذكرت هنا بعض ما عرفت، عمن عرفت.. اما رئيس تحرير القافلة اليوم، فلا احب ان اعرض شيئا من سطوري هذه للشطب والمحو، متى اثنيت عليه.

ولقائل ان يقول، ان الامكانات المادية كانت وراء هذه الاناقة التي حافظت عليها (القافلة)، ووراء ذلك الاستقطاب والاستكتاب، ووراء هذا الاخراج الجميل، والورق الصقيل.. ووراء هذا العمر الطويل.. هذا صحيح، فليس لمكابر ان ينكر ذلك.. ولكن هذه الامكانات وحدها لا تكفي لحفظ مستوى معين من الجودة، ان لم يكن هناك تصميم صادق مسبق، على ان تكون ذات هدف ثقافي رفيع، وان تحافظ على هذا الهدف على مر الايام وتقلبها.. بمعنى آخر لا يكفي ان تصدر القافلة فحسب، بل يجب ان تسير.. وان تعلم الى اين.. وكيف.. ومن هذه الركائز، ضمت القافلة، بحوثا جيدة، صدرت عن اقلام مجودة.. واصبحت مرجعا من مراجع الثقافة الحديثة.. ومصادرها.. ولا نعجب ان رأينا اسمها مبثوثا هنا وهناك في الكتب التي عنيت بتاريخ الادب والعلم، او التي رصدت مسير الحركة الثقافية.. ولعل مما اعان على ذلك، ان هذه المجلة، اهتمت بالفهرسة السنوية، لكتابها ولموضوعاتها، ومن مجموع هذه الفهارس، تعرف المدى الذي وصلت اليه في اشواطها التي قطعتها عبر عمرها الطويل ان شاء الله.

ومما تميزت به ايضا حرصها على اصدار مجاميعها مجلدة وتوفيرها للباحثين والدارسين..

اما بعد، فاني حينما احيي هذه المجلة في مناسبة احتفالها بالعمر الطويل الذي امضته في خدمة الثقافة. والادب، باعتباري احد كتابها القدامى، فاني لارجو لها ان تظل محافظة على منهجها الهادف، وان تطور حركتها الى الاحسن والافضل، فان نشدان الكمال، غاية من غايات الطموح.. وان كان الكمال في ذاته بعيد المنال، ولكن بحسبنا ان نسير في اتجاهه.. والقافلة تسير □

الإمام عبدالعزيز بن محمد
١١٣٢-١٢١٨هـ

بقلم: د. محمد بن سعد الشويعر / الرياض

تفتحت مواهبه، ونمت مداركه، في فترة التقاء الدعوة السياسية بالدعوة الاصلاحية العقائدية لمنطقة نامت طويلا في ظل الجهل والظلام، والتعتيم والعقائد الدينية الفاسدة.. شأنها في ذلك شأن أغلب العالم الاسلامي الذي نام بعد يقظة، وتكاسل بعد نشاط.

كان الأمير «عبدالعزيز بن محمد» في الخامسة والعشرين من عمره عندما تحولت الدرعية من النظرة الفردية والقبلية، الى أسلوب الدعوة والشمولية الاسلامية. فوالده الامام محمد بن سعود قد أعاضه الله الضريبة التي كان يأخذها على أهل الدرعية بموارد جديدة أشمل وأكثر، وأوسع وأزكى.

وجد الفتى عبدالعزيز نفسه في أفق أرحب، ونظرة أبعد عمقا.. اذ هي ذات شقين: نظرة للدنيا التي انفتحت من جميع أبوابها، ونظرة للآخرة التي تحركها العقيدة والسعي في سبيل تمكينها من النفوس.

كانت نظرة والده —كما مر بنا— أن يوجه ابناءه لهذا الباب الواسع الذي مصراعه مفتوح بالجهاد، فأخذ بأيديهم، ونمّى مواهبهم، ومع هذا فلم ييأس عندما مات ولداه، فيصل وسعود، في يوم واحد، في احدى المعارك الحربية، لأنهما ماتا في سبيل الله.. ونظرة المسلمين عمن تكون وفاته في الجهاد، تختلف عن المواطن الأخرى، كما تتباين مع نظرة غير المسلمين.. لما تنميه تعاليم الاسلام من روح وحب للجهاد.

ولذا نراه قد هيأ ابنه عبدالعزيز لذلك الدور، ونمّى فيه حب القتال في سبيل الله، ووجهه لأسلوب القيادة العسكرية والادارية على مراحل بدأت من التمرين والتدريب حتى أصبح القائد المظفر الذي لا يشق له غبار، والموفق الذي لم يتراجع، وصاحب الرأي المحنك، والسمعة بعيدة المدى، وذلك بعد أن تصارع مع الأحداث، وأفاء منها، فاتسعت الدولة على يديه اتساعا كبيرا.

واذا كان التاريخ قد أثبت —بلا مراء— ان عبدالعزيز بن عبدالرحمن (١٢٩٧ — ١٣٧٣هـ)، رحمه الله، هو مؤسس الدولة السعودية الثالثة، ومثبت اركانها بجهوده وأعماله ومثابرته وصبره الذي لا يعرف الكلل أو الملل.. فان عبدالعزيز بن محمد هذا يعتبر هو المرسخ الحقيقي لدعائم الدولة السعودية الأولى، بجهاده وجهوده، وبما يلمسه القارىء لسيرته عند ابن غنام، وابن بشر، وما تفتحت عنه مواهب شخصيته من أعمال وأقوال خلّدها التاريخ، ورصدتها الأيام. ولذا نراه ينطلق من التجربة التي استفادها من والده، والدرس الذي أعطاه إياه، فيهيىء ابنه سعودا لهذا الدور وهو في الرابعة عشرة من عمره فقط، فيقذف به في غمار الحروب التي تريع الرجال[1].

ان التحدث عن مواهب هذا القائد، الامام عبدالعزيز، الادارية والعسكرية ليقتضي من الباحث سفرا طويلا، وجهدا واسعا:

أولا: لطول الفترة التي مكثها في الحكم (من عام ١١٧٩هـ الى عام ١٢١٨هـ) قرابة أربعين عاما علاوة على المدة التي سبقت هذا كقائد للجيوش في حياة والده.

ثانيا: لكثرة أعماله الجهادية «العسكرية» التي تولاها بنفسه

(١) راجع «عنوان المجد» ص/ ٦٥ — احداث عام ١١٨١هـ.

إبان حياة والده، ثم بعد انتقال الأمر اليه.

ثالثا: لتوجيهه لابنه سعود الذي اختار له نفس الخط الذي رسمه والده لابنائه، وحرصه على أن ينمي أولاده جميعا لهذا الاتجاه، كما هي الوجهة التي ارتضاها له ابوه:

نبني كمـــا كانت أوائلنـــا
تبنـــي ونفعـــل مثلمـــا فعلـــوا

فقد رسخ هذا المبدأ في اخوانه زيادة على أبنائه، وأصبحت سمة تحتذى.

رابعا: الاتساع الكبير الذي حصل للدولة في عهده: اتساع رقعة، ووفرة في الدخل، وسمعة في الداخل والخارج، ونموذج ادارة قوية تتسم بالعدل، وتسير وفق المنهج الاسلامي السليم.. مما أزعج من حوله ممن لا يريدون لدولة الاسلام ان تبرز على الساحة، او تنطلق من تحكيم شرع الله.. فبدأت المكائد، وتحركت الضغائن.

ومن هذا المنطلق نستميح القارئ عذرا، اذا لم نوف هذا الامام القائد حقه في موضوع كهذا، لا يتسم بالاحاطة والشمول للحيز المخصص له..

لقد تفتحت مواهب هذا القائد منذ حداثة سنه، والمواهب تبدأ علاماتها على الانسان في سن مبكرة، لأنها جزء من تكوينه الخلقي الذي هيأه الله له، وفطرة من طبائع نفسه التي تكونت فيها.

إن اول ذكر في أعماله الحربية، يمر بنا مرصودا حسبما ذكره ابن بشر، هو مع بدء الوقائع والغزوات، التي افتتحها في عام ١١٦١هـ، وهذا العام هو في نظره دخول طور جديد في حياة الدولة الفتية التي استيقظت في وسط الجزيرة العربية، لتعيد للدولة الاسلامية سالف دعوتها وجهادها من أجل إعلاء كلمة الله، والدعوة الى دين الحق والرشاد الذي ارتضاه الله لخير أمة أخرجت للناس. فابن بشر في هذه السنة يرى أن وقعة «البنيَّة» في شرقي الرياض قد شارك فيها عبدالعزيز بن محمد بأهل الدرعية وقراها، وأهل ضرما.. ولكن القيادة العامة كانت لعثمان ابن معمر، الذي جعله الامامان محمد بن سعود، ومحمد بن عبدالوهاب، رحمهما الله، أميرا حيث سار بالمسلمين.

وكلام ابن بشر هذا لا يعطينا دلالة على أن هذه أول مرة يقود فيها الأمير عبدالعزيز الجيوش، ولا أول مرة تبرز فيها مواهبه[٢]. بل نستنتج العكس، وهو أن لديه مراسا ومرانا طويلين خولاه لتسنم القيادة وما ذلك الا ان القيادة ليست عملا عاديا يصل اليه الانسان بين عشية وضحاها: فلها من الشروط والالتزامات ما يجعل الواصلين اليها قلة، وبعد تجارب ومماحكات وصولة وجولة. والمثل الشعبي عندنا يقول: «ما يقدم في القوم الا خيارهم»، بمعنى ان القيادة السياسية والحربية، والرأي

(٢) راجع «عنوان المجد» ص/٣٤.

والمشورة، كلها لا تكون الا في خيرة الرجال، الذين يتزعمون أمتهم في كل أمر مدلهم.

وعبدالعزيز بن محمد، رحمه الله، واحد من أولئك الأخيار الذين أبانت الأحداث التي خاض غمارها حربيا واداريا، صلاحيتهم وقدرتهم، وتحملهم لويلات الحروب وشدائدها.

وفي موطن آخر يذكر ابن بشر، وقبله ابن غنام، ان الامام محمد بن سعود، قد جمع ذوي الرأي للاستشارة عندما داهم ابن دواس الدرعية، وعرض عليهم الأمر الذي يحسُن أن يأخذ به.. وكان الرأي الراجح هو رأي ابنه عبدالعزيز الذي أشار بأن يخرج اليهم في موضع حدَّده[٣]. وفي هذا مدخل آخر نحو القيادة، فهي ليست بالشجاعة والاقدام، والقدرة على تقدم الجيوش، وإلهاب الحماسة في المقاتلين فقط. ولكنها أيضا في القدرة على التصرف، والمعرفة بمداخل الأمور، وسبر غور الأحداث، وهذه المشورة، أعطت عن عبدالعزيز هذا المفهوم، فهو في مستوى المشورة مع صف من عركتهم الاحداث، واستفادوا من تجارب الأيام.. ومع هذا يفوقهم بالسداد والرجاحة، وسبر الغور. وما استشارة والده للرؤساء وذوي الرأي، وعرض الأمر عليهم في رأي جماعي مطروح للتداول بعد أن حزبهم الأمر، وهاجمهم العدو، الا قدوة حسنة بالرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، عندما جابه كفار قريش في بدر، واتضح له من سبره للأحداث ان المعلومات التي وصلت اليه تنبئ عن قوة عظيمة لدى القرشيين، مع اصرارهم على القتال، علاوة على زيادة في العدد، قد تقارب الضعفين عن القوة الاسلامية.. فجمع أصحاب الرأي، وتداول الرأي معهم في العريش الذي بني له، فأخذ منهم وأعطى. وهذا الأمر هو ما يطلق عليه في العصر الحاضر اسم: غرفة العمليات، وأولئك القادة هم بمثابة اركانات الجيش بالتنظيم السائد في عصرنا هذا.

لكننا لو تتبعنا الأمير، ثم الامام، عبدالعزيز بن محمد، فسوف نراه في تلك الحروب التي خاضها، والتي تزيد على مائة وقعة، كان هو قائدها، والرجل الأول فيها، فكرا وتوجيها.

فالإمام عبدالعزيز في هذا المشوار الطويل يقتدي بالصفوة الأولى من هذه الأمة.. وفي أعماله وحروبه وسيرته.. وبرهان هذا، ما ذكره عنه كل من ابن غنام، وابن بشر من جميل الفعال، وحب للخير والاحسان، وبذل للصدقات في كل جهة يتجه اليها، وخاصة في الحرمين، أو عندما تنزل كارثة، وتأمين للسابلة، وقضاء على الفتن، ورغبة في اشاعة الأمن، وحب في مساعدة الضعيف، وكراهية للجور والتعدي. خصال هي نماذج لما يحرص عليه الاسلام، وينميها في نفوس ابنائه عملا وقدوة، فهي مما يحرك المواهب في الفرد، ويسعد الجماعة، ويوصل المحبة، ويقوي اواصر الألفة. وهذه من ابرز سمات الاسلام، وما يدعو اليه.

(٣) «عنوان المجد» ص/٥٥ — أحداث عام ١١٧٦هـ.

ولعلنا لو أردنا ان نستظهر من أعماله الحربية الطويلة، تلك الجهود التي أبرزته كقائد عسكري محنك، ورجل خبر الأمور، وسبر غور الأحداث.. فاننا نستشف من ذلك أنه:

* يهتم بدراسة الموقف، والجهة التي سيتجه اليها.. لتتكوّن لديه المعلومات المتكاملة عن:

[] القوة التي أمامه، ومعلومات عن السكان وطباعهم.
[] البيئة الجغرافية التي سيتجه اليها، ومعلومات عن الطرق التي سيسلك.. والأماكن التي تتحكم في الموقف دفاعا وهجوما.
[] اختياره الأماكن المهمة لوضع الكمين.. بين الزروع أو الأشجار، وطورا في الاودية والشعاب، أو في الممرات المهمة والجبال.

* له نظرات استراتيجية في الخطوات القتالية استمدها من والده الامام محمد، وزاد عليها بأفقه الواسع في مثل: التفاعل في القيادة، وضع الكمين الذي يحمي ظهر القوة التابعة له عند هجومها، أو مهاجمتها.. ليكون في هذا درء لها عند تكاثر الخصوم عليها.. وايهانا لقوة الخصم عندما يشعر بقوة جديدة تمد القوة السابقة وتقوي من عزيمتها.

وأحيانا يتراءى للقائد عبدالعزيز بن محمد من تفحصه للموقف أن قوته تحتاج في دعمها لأكثر من كمين حتى لا يكون الخصم قد ماثله في أسلوب الكمين.. فنراه يحتاط للأمر في بعض الغزوات فيصنع كمينين ليزيد في إمعان الحيطة، والتقوية من عزائم جنده للسيطرة على الموقف[٤].

ان وضع الكمين يعتبر من النظريات العسكرية المهمة حديثا وقديما.. وذلك أن المقاتل يختلف عن غيره ساعة المعركة.. فهو يتأثر سريعا ايجابا وسلبا، وتأثره هذا ينقلب على الموقف الذي يعيش فيه، ويؤثر في المشاركين له في الموقع، نتيجة لتحرك نقاط الضعف في نفسه، والتي تنعكس على الانفعالات ثم الحركات.

وادراك القائد عبدالعزيز بن محمد للمهمة الأساسية، وطبائع النفوس، جعلته يبحث عما يقوي عامل الضعف في جنده بشعورهم وإحساسهم، ان هناك قوة تدعمهم، وتعينهم، وتحمي ظهورهم.

والى جانب تحريكه نقاط الضعف في خصمه بملاحظة قوة جديدة تدعم الفئة المجابهة لهم في الوقت الذي يدب اليأس في صفوفهم هم، بالتأثير الوجداني مما حصل في الموقف المفاجيء.

* لدى الإمام عبدالعزيز قدرة على:

[] تجهيز الجيش، وبسرعة لا تفقد العمل الحربي أهميته ومبادرته.

(٤) راجع «عنوان المجد» ص/٤٤.

[] سرعة الحركة في الانتقال من مكان الى آخر.
[] الفراسة في فهم الرجال، واختيارهم للمواقف المناسبة. يتضح مثل هذا في القواد الذين يختارهم والرجال الذين وجههم لمهمات، أو نصّبهم في الأعمال القيادية في الدولة.
[] الهجوم ليلا، وهذه نظرة مهمة في الاستراتيجية العسكرية. ذلك أن في الهجوم الليلي فوائد لمن عرفها، وتمرس عليها..

وقد باتت هذه الظواهر عند الملك عبدالعزيز، رحمه الله، في كثير من مواقعه مثل روضة مهنا، وقصر ابن عقيل وغيرهما.

فالهجوم الليلي للعارف بالهجوم ومفاجآته، وبالدروب ومسالكها، والمنافذ وما يحيط بالموقع المقصود، مفيد جدا، لأنه يفاجئ الخصم بقوة لا يدرك كنهها، وعملية تخفى عليه أبعادها عددا وعدة. كما أن في الهجوم الليلي مباغتة غير متوقعة للخصم الذي لم يستعد ولم يتهيأ، فترتبك قواته، وتتداعى قدراته، ويمتد تأثير هذه الرهبة وصداها للآخرين، وتؤثر في معنوياتهم.

[] اغتنام الفرصة في التجهيز الواحد لأكثر من معركة، ولأكثر من موقع.. وحسبما يراه من استعداد على جنوده، وتهيئ في نفوسهم، فهو مع كونه قائدا عسكريا صلب المراس، فهو خبير بطبائع النفوس، ومتطلباتها. وهذه الخصلة من أهم سمات القائد الناجح، الذي ينقل جنوده من نصر الى عزيمة ومتابعة، فيتفاعل مع نفسيات من يتعامل معهم، ويشركهم في المشورة لما يريد أن ينقلهم اليه، فتزداد حماستهم، وتتقوى عزائمهم.

* لديه عاطفة دينية تطغى على مشاعره، ورغبة أكيدة في الاقتداء بالصفوة الأولى من هذه الأمة في أعماله وسيرته، مع اتباع المنهج التشريعي.

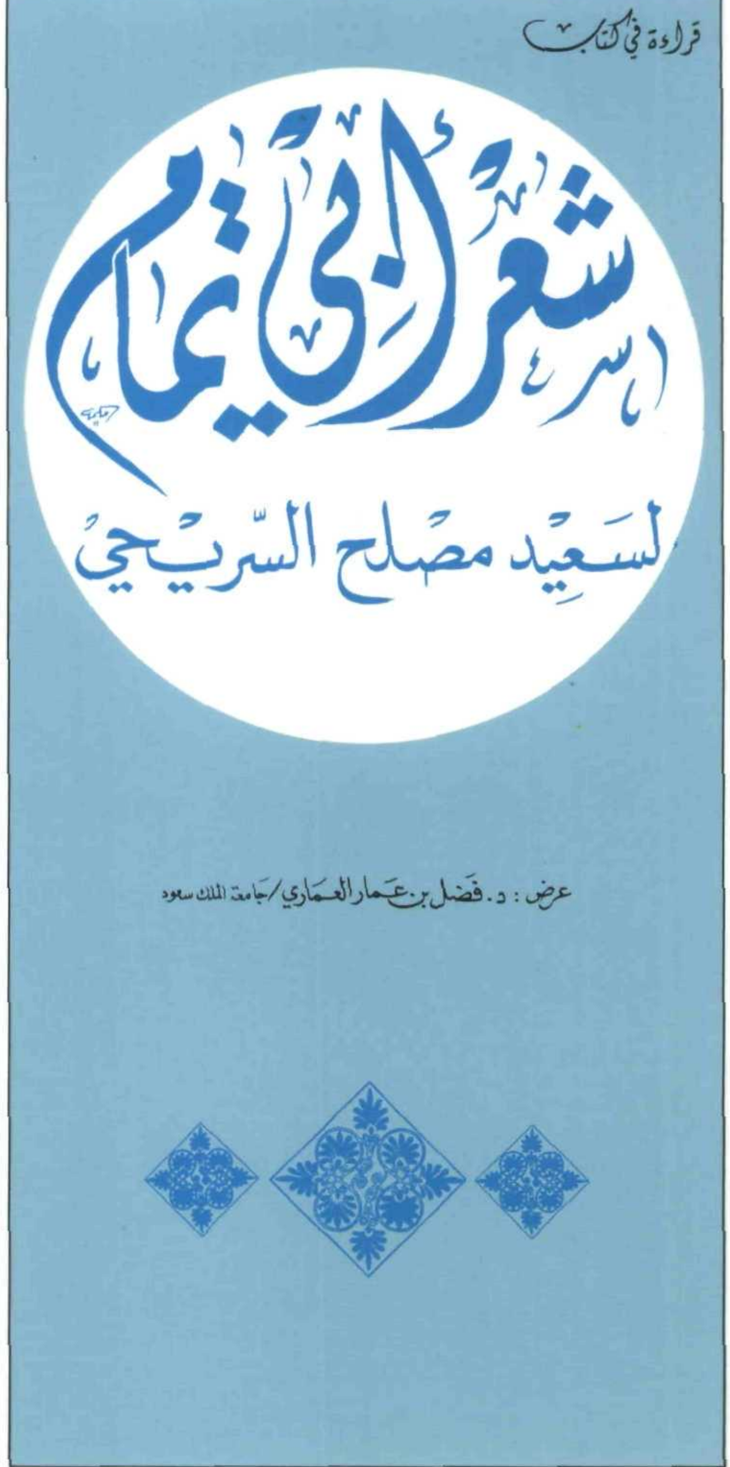
في كل سنة ذكرها ابن بشر عن حج.. نراه هو ثم ابنه سعود يتواضعان في البيت الحرام، ويعطفان على الناس، ويكثران من الصدقات، ويحسنان المقابلة للجميع. وهذه ايضا سمة ادارية ممتازة مبعثها الشعور الديني الذي يطغى على قادة المسلمين في كل عصر وزمان نموذجا فريدا، وطابعا مميزا، يستجلب افئدة الآخرين اليهم.. الى جانب ما يسلكه الله لهم في القلوب من رضىً، وما يكون لهم في النفوس من قبول..

وكلما تنامت هذه الخصلة في نفوس قادة المسلمين.. كانت مهابتهم في قلوب أعدائهم أكثر.

رحم الله الإمام عبدالعزيز بن محمد الذي قتل وهو يصلي العصر في مسجد الطريف بالدرعية من عام ١٢١٨هـ والذي ذكر ابن بشر عنه نماذج فريدة في العدل والحرص على استتباب الأمن[٥].

فقد كان كوكبا يتلألأ في سماء الجزيرة في عسكريته وأسلوبه الاداري.. حرصا ومتابعة، وتأكيدا ومثابرة. وتعتبر سيرته مدرسة يستقي من روافدها كل انسان في نفسه طموح، وفي همته تطلع□

(٥) راجع «عنوان المجد» ص/١٦٧ — ١٧٥.



انك حينما تتجشم عناء الكتابة عن كتاب، لا بد انك واجد في هذا الكتاب ما يشدك ويجذبك ويلفت انتباهك الى شيء ما فيه. قليلة هي الكتب التي تستحوذ على اهتمامات القراء من هذا الفيض الذي تدفع به المطابع. واذا علمنا بأن كتاب السريحي عن أبي تمام كتاب في صميم النقد ازداد شغفنا نحو قراءته، وحاولنا أن نقتنيه وأن نستجلي مادته ومسائله. ومع الأسف الشديد فان طبعة الكتاب الأولى أصبحت نافذة، وما زال الطلب عليه قائما، فحبذا لو أعيدت طباعة الكتاب مرة أخرى، لتعم الفائدة وتنتشر المعرفة. فالكتاب أحد الكتب الفريدة التي حاولت أن تخترق المألوف وأن تسبح في مجالات اللامتناهي واللامحدود، وقليل هم الدارسون الذين فتقوا الحجب وارتادوا المجهول، واذكر منهم على سبيل المثال د. أنس داود، يوسف اليوسف، د. كمال ابو ديب.

أما عن الدراسات حول أبي تمام، فعديدة متنوعة، ذكرها السريحي، وهي في رأيه تظل قاصرة عن منهجه. وهناك دراسة أخرى متزامنة مع دراسته نشرها د. عبدالقادر الرباعي عن «الصورة الفنية في شعر أبي تمام» وهي تنهج النهج نفسه الذي ينهجه السريحي حتى يقول: «القيمة الكبرى للصورة الشعرية في انها تعمل على تنظيم التجربة الانسانية الشاملة للكشف عن المعنى الأعمق للحياة والوجود: المتمثل في الخير والجمال من حيث المضمون».

ومع ذلك فان تركيز الرباعي كان منصبا على الربط بين ما تمثله الصورة من خير وجمال والمفهوم الاسلامي عن كل ذلك، ومن هنا كانت رؤية الرباعي واقعية نوعا ما بينما رؤية السريحي أبعد انطلاقا لأنها حاولت أن تستشرف ما وراء الصورة نفسها.

وعلى العموم، فان أحدا لن يخطىء موقف السريحي واتجاهاته التي عبرت عن نفسها صراحة في كثير من الاحيان فمن ذلك قوله:

«ومن هنا كانت الحاجة ملحة لاعادة النظر فيما اعتاد النقاد والبلاغيون عيبه على أبي تمام والتمثيل به على أنه من سقطاته وهفواته وفق منهج يتوخى تأصيل لغته الشعرية والكشف عن أبعاد الرؤية التي تتسلط على أبيات الشعر فتحركها شكلا ومضمونا حتى تخرج بها عما هو مألوف ومعتاد وتسمها بسمة التفرد والتميز والغرابة. وبالتالي انصاف أبي تمام وإعطاء شعره قيمة

حضارية تكشف ما يحتضنه من تجربة انسانية خالدة تتجاوز حدود المكان والزمان وتستعلي على كل معيارية تحاول حصر الآفاق القصوى للرؤية الشعرية في بوتقة محددة تحديدا يتجاهل أشواق الانسان وتطلعاته المترامية الى اللانهائي والمطلق» (ص/١٢).

ونجد هذا القول بصورة أخرى حيث يقول:
«لم يدرك نقاد العربية أن للشعر منطقا خاصا به وأن العلاقة بين ألفاظه ليست علاقة بين وحدات منفصلة بل علاقات عضوية جدلية بين أكوان تتجاوب وينفتح بعضها على بعض» (ص/٥٧).

ومنها قوله:
«نظرة الآمدي الى اللغة أضيق من أن تستوعب ما يحسه أبو تمام فيها من فاعلية ونشاط» (ص/٩٦).

وعلى هذا فهو ممن ينشد الغموض والغرابة والتخطي الى أبعاد أكثر رحابة وسعة مما هو مألوف شائع. انه ممن يحاكم المفهوم القديم على ضوء مفهوم جديد للشعر أكثر قدرة على التجاوب والعطاء.

وذلك لا شك موقف جيد ويرحب به في مجالات النقد. ولكني أتساءل هل شعر أبي تمام يحتمل كل تلك التعليلات والتفسيرات؟ ألم يجمع الجميع على أن شعره عقلي وسماه البعض حكما لذلك. هل من السهولة أن نأخذ منهجا ما فنسارع الى تطبيقه ضاربين بكل الجدل المثار عرض الحائط؟ ربما يكون ذلك، ولكن عند شعر أبي تمام بالذات يتوقف المرء وقفات ليست هينة. لنأخذ مثلا على ذلك قوله عن شعر أبي تمام:

إليك سرى بالمدح قوم كأنهم
على الميس حيات اللصاب النضانض

فهو يقول: صرّح ابو تمام في البيت الأول الى أن ارتباط المدح بالسرى من جهة، وارتباط المادحين بالحيات من جهة أخرى من شأنه أن يسمو بالمديح الى أفق لا يغدو فيه مجرد اشادة بفضائل الممدوح وذكر مآثره، أفق يستمد أبعاده من هذا التركيب اللغوي الذي يقترن فيه المديح بالسرى والمادحين بالحيات.

فالسرى في الشطر الأول بما يشتمل عليه من حركة اختراق للظلام واقتحام للمجهول من شأنه أن يحيل المديح الى ضرب من التجاوز والرحلة في أعماق الأشياء والانسراب تحت القشرة التي تغلف ظواهرها ومن هذه الحركة تتولد حركة الحيات في الشطر الأخير فتجانس حركتها، وهي تنسرب من مضائق الجبال، حركة القوم يسعون في ظلام الليل، فكلاهما يدفع ضيق المكان بالحركة تتجلى في سرى القوم وتتفجر في وصف الحيات بالنضانض وتعني كثيرة الحركة. وفي تكرار النون والضاد نوع من التجاذب مع الحركة المترددة للحية، وكذلك تجسدت هذه الحركة في التركيب «المورفولجي» للكلمة بسقوط الياء من «نضانيض» الذي يفرضه القياس فأكسبها هذا الحذف خفة تتجانس مع دلالتها، وتجلت في لفظ الميس وهو الشجر الذي تصنع منه الرحال وقد ورد في الأبيات بدلا من الرحال نفسها لما يوحي به لفظ الميس من دلالة على التمايل، وكأنما كان من شأن السرى والحيات ومضائق الجبال أن توقظ المادة الاولية التي تصنع منها الرحال وهي الشجر لتتناسب مع هذا الجو العام الذي تتحرك فيه ألفاظ البيت.

غير أن ورود الحيّات في هذا السياق، حين تأتي وصفا للمادحين من شأنه أن يثير شيئا من المفارقة في اللغة الشعرية لهذا البيت فقد جرت عادة الشعراء من قبل أبي تمام على أن يوصف الشاعر الهاجي بأنه حية أو أفعى لما في الهجاء من معاني الفتك والقتل المعنوي لشخص المهجو وربما ورد هذا الوصف في مقام الفخر لما ينطوي عليه الفخر من استعلاء «الأنا» وتسلطها على الآخرين، كقول اللعين المنقري في هجاء رؤبة بن العجاج:

إني أنا ابن جلا ان كنت تعرفني
يا رؤب والحية الصماء في الجبل

وقول بشار:

تزل القوافي عن لساني كأنها
حمات الأفاعي، ريقهن قضاء

فأبو تمام حين يثير هذه المفارقة في أبياته انما يمنح المديح بعدا جديدا ويفجر في لفظ الحية طاقات كامنة فيه، فالحية في سياق البيت لا ترمز الى الموت فحسب وإنما تلعب دورا مزدوجا يتعانق فيه الموت والحياة ويفضي كل منهما الى الآخر في الحية حياة ليست بالهادئة ولا المألوفة وإنما هي حياة شرسة فاتكة متسلطة تتأسس على موت الآخرين وتنبني على هلاكهم وحينما سماها العربي حية كأنما كان يجعل الحياة وقفا عليها لتميزها بها عن سواها من الأحياء، وقد كان العرب يقولون فلان حية الوادي وحية الأرض اذا كان شديد الشكيمة حامي الحقيقة ومنه قول ذي الإصبع:

عذير الحي من عدوا
ن كانوا حية الأرض

أراد أنهم ذوو إرب وشدة لا يضيِّعون ثأرا. «ومع ما في هذه العبارة من تزيد وتحميل الشعر فوق طاقته فهو يستمر قائلا:

«وعلى ذلك فالمدح في بيت أبي تمام يكتسب أفقا جديدا بحيث لا يغدو مجرد تتبع لسمات الممدوح واشادة بها بل ينطوي على شيء غير قليل من التسلط والفتك حينما يصبح تأسيسا جديدا لسمات مثالية لا تقوم الا في الشعر لأنها ترتكز على تجاوز السمات الواقعية والاستعلاء عليها.»

طبيعي أن تختلف قراءة الشعر بين الناس، ولكني أحسب أن هذا التحليل مبالغ فيه للغاية، فما يريده ابو تمام هو صورة الحركة نفسها للسارين على ظهور الابل أي قوله: إن حركة السارين تجانس حركة الحيات، ولكن ليس هناك: «دورا مزدوجا يتعانق فيه الموت والحياة»، فأبو تمام مثله مثل غيره من الشعراء يتصيَّد الصورة القريبة الشبه ولا يحلِّق في أجواء اسطورية أو غير عادية، والدليل على ذلك أنه استخدم أداة التشبيه «كأن» وبذلك ضيق حدود الخيال الى أقصى حد ولم يجعل هناك تقمصا للراحلين في شخصيات الحيات.

والأمر الآخر أن الصنعة ظاهرة في الأبيات التي ذكرها، فهي ضادية، وليس من اليسير علينا ان نتقبل الزعم بأن شاعرا حصر نفسه كلية في الموروث كان متحررا من سيطرة تلك التقاليد.

ومثال آخر لعله يقرب لنا تلك الطريقة هي قوله عن بيت أبي تمام:

لا تسقني ماء الملام فإنني
صب قد استعذبت ماء بكائي

«لا يغدو لفظ الماء مجرد اشارة الى ذلك السائل الذي لا يختلف اثنان في ادراكه، وإنما هو رمز يحتضن تجربة الانسان الاولى فالماء يحتضن الحياة كما يحتضن الموت...»

ولست أرى، حقا، ما علاقة رمز الماء البدئي بصورة أبي تمام هذه التي ما هي الا استعارة تخييلية لا أكثر ولا أقل. وابو تمام فيها لم يخرج عن المعيارية التي قوقع هو نفسه داخلها. وما حكم النقاد الاوائل الا استجابة طبيعية لمذهبه ومنهجهم. لقد تفوق ابو تمام في تفتيق المعاني والصور ولكنها ظلت في حدود الرواسم التي تمذهب هو وغيره بمذهبها. واذا شئنا أن نقول: ان ابا تمام يستجلب الماء الأزلي هنا، فهو في (الحيات) يستجلب غضب الانسان الأول على الحيات التي تربطها الاساطير عند كثير من الشعوب بالحسد والغيرة من الانسان وبأنها خالدة والانسان فان، وهو معنى لم يذكره الكاتب. فهل نستطيع وفقا لذلك أن نسجل كل خاطر لنا على أساس من مثل هذه التوجهات؟

واذا انتقلنا الى ملاحظة أخرى قد لا تتوافق مع الرؤية الأولى هو قوله: «يصبح الثناء نوعا من تجاوز المعتاد والمألوف فيستحيل الى ما يشابه الوجد الصوفي». وقوله: «لعل صورة الافتراس تنزل منزلة طقس من طقوس التطهير والتضحية». وقوله: «ان لغة الشعر تنزع بالأشياء نحو التجريد». وأحسب يقينا أن: «الوجد الصوفي»، «طقس»، «تجريد» مفهومات على النقيض تماما مما لدى أبي تمام. انه مصور يكد ذهنه ويشحذ عقله ويحاول أن يستغرق في تركيبة الصورة، ولكنه في كل حالة حاضر الذهن واع كل الوعي لعملية بنائه الشعري، ومن هنا لم يبلغ أية درجة من درجات الصوفية والحلولية. واستطيع أن أقول: ان الشعر العربي طوال عصوره لم يحقق تلك المرحلة، بل حتى الصوفيون أنفسهم كانوا مواضعات التخييل وأصبحوا يستعيدون مواصفات خاصة بينهم جعلت أشعارهم كغيرها في أحوال كثيرة.

اننا اذا شئنا أن نقول كلمة في أبي تمام فهو كما يقول السريحي:

«الشعر عند أبي تمام... ضرب من المعاناة والمكابدة ومجاهدة النفس لا يقتنع فيه الشاعر بيسير المعاني وسهل الافكار ولا ينتظر من الأبيات أن تنثال عليه انثيالا بل يعمد اليها عمدا فيظل يحاورها ويداورها حتى تستسلم له وتسلم له قيادها».

واضافة الى تلك العقلية المحورية التي لا تنأى عن حدود الامكانيات، نجد في ما أثبته عن ميل أبي تمام الى «غلبة الاسمية»، «انخفاض نسبة الأفعال»، ما يدعم وجهة القائلين بالصنعة والتصنع عند أبي تمام أي غلبة العقل على العاطفة والخيال.

ومع تقديري واعجابي بالمجهود الذي بذله الباحث فقد كنت أتمنى أن تختصر الفصول الثلاثة الأولى، فلا حاجة الى تفصيل نحن في غنى عنه.

ثم انه لو ابتعد عن محاكمات القدماء وبخاصة الآمدي في الفصول التالية، وتوجه ببحثه الى التحليل والمناقشة النصية بمفردها لتكون هي الدليل القاطع على ما يذهب اليه تاركا للقارىء حرية الاختيار لكان ذلك جميلا.

وأخيرا، فان هذا الكتاب قد اضاء اضاءات جميلة، وقد نهج نهجا قيما لا بد أن وسائل البحث العلمي المعاصر ستسر به، فهو ثمرة مخلصة للجهد الدائب، ونتيجة رائعة للطموح والتجلي □

مسيرة التعليم في المنطقة الشرقية

بقلم: نجيب محمّد القضيب / هيئة التحرير



صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد يسلم احد المتفوقين جائزته وشهادة التقدير، ويبدو عن يمين سموه، معالي الدكتور عبدالعزيز الخويطر وزير المعارف وعن يسار سموه، سعادة الدكتور سعيد عطية أبو عالي، مدير عام التعليم في المنطقة، رئيس لجنة الجائزة، أثناء الاحتفال الأول للتفوق العلمي الذي أقيم العام الماضي.

ان التعليم الحديث في المنطقة الشرقية لا يختلف من حيث الأسلوب عن التعليم الحديث في مناطق المملكة الأخرى، وهو بوجه عام يشبه، الى حد كبير، التعليم في منطقة الخليج العربي، وكذلك التعليم في كثير من الحواضر الاسلامية.

ومسيرة التعليم التي ينعم بها الجيل الحالي. ويعيشها من خلال المدارس الكثيرة المنتشرة في المنطقة والمعاهد والجامعات لم تشيد بين عشية وضحاها. انما كانت ثمرة جهود رجال امضوا سنوات عديدة في التعليم والتدريس، وكفاح طلاب تناقلوا العلم جيلا بعد جيل، وتسابقوا مخلصين في الحفاظ عليه وتدوينه. وكان بعضهم يقضي ساعاته الطوال في الدرس والتحصيل، أو يتجشم مشقة السفر وعناءه طلبا للعلم من هنا أو هناك، وكانوا يغيبون عن أهليهم وذويهم الشهور أو السنوات العديدة من أجل العلم، لم يثنهم فقر ولا مرض، ولم يفل من عزائمهم صيف لافح ولا شتاء قارس، رغم أن الزمان كان يمر عليهم وهم لا يملكون من الدنيا شيئا، حتى مهدوا الطريق لمن جاء من بعدهم، واناروا الحياة بعلمهم، حتى وصل الينا سهلا ميسرا.

فقبل حوالي خمسين عاما لم تكن وفرة الكتب بهذه الكثافة، ولم تكن الجرائد بهذه الصورة، وكان المذياع نادرا إن لم يكن معدوما، أما التلفاز فقد كان ضربا من الخيال.

لمحة تاريخية عن الحياة الفكرية في المنطقة

يزخر تاريخ المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية بتراث فكري لا يقل أهمية عن سواه من مناطق المملكة. في هذه المنطقة توجد مدينتا الاحساء والقطيف، وهما من المراكز الحضرية التي عاصرت حضارات عربية قديمة مثل الكلدانيين والكنعانيين والفينيقيين والدلمونيين. كما كانت هذه المنطقة بمثابة القلب الذي تنساب اليه وتتدفق منه تجارة العالم القديم. فهذه المنطقة كانت تتوسط بين حضارة وادي الرافدين في العراق شمالا وحضارة الهند في شرق بحر العرب، وحضارة اليمن في غرب بحر العرب، وقد ازدهرت في هذه المنطقة الزراعة والتجارة ونشطت فيها الحياة وأصبحت مركزا مهما من المراكز الحضرية في غرب جزيرة العرب.

فمصادر الأدب الجاهلي تشير الى أن المنطقة كانت تعج بالكثير من فحول الشعراء الذين اسهموا بعطائهم الفكري في اثراء الأدب خلال تلك الفترة مثل عمرو ابن قميئه وطرفة بن العبد والمتلمس والمرقش الأكبر والمرقش الأصغر والمثقب العبدي وغيرهم. ومنذ تلك الفترة وهذه المنطقة تشكل احد الروافد التي تسهم في اغناء الحياة الفكرية والحضارية في جزيرة العرب.

وتدور عجلة الزمن، وتدور هذه المنطقة في

أفلاكها، فينعكس عليها ما يصيب جزيرة العرب من مد وجزر ولكنها تبقى محافظة على كيانها المستقل وطابعها الخاص على الرغم من كل التطورات والاحداث. ومع اطلالة العصر الحديث أخذت هذه المنطقة تشهد نهضة فكرية واضحة تمتد من منتصف القرن الحادي عشر حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجريين.

ففي هذه الحقبة الزمنية تميزت هذه المنطقة بنشاط فكري واضح حيث أصبحت مركزا علميا مرموقا يتهافت عليه طلاب العلم من أقطار الخليج ومن أقاليم الجزيرة الداخلية.

بدايات التعليم الحديث في المنطقة

كان التعليم معروفا وسائدا في المنطقة الشرقية الا انه كان تعلما أهليا يعتمد على جهود فردية، فقد كان الفتيان يرسلون الى الكتاتيب، كما هو شائع ومعروف آنذاك في الحواضر الاسلامية، وكانت الكتاتيب متواضعة تعتمد على جهود معلم واحد فقط يسمى «المطوع» أو «الملا». اما المدرسة فهي عبارة عن حجرة من حجرات المنزل، ونادرا ما تكون مستقلة في بيت مخصص للتدريس. واحيانا يستعين «المطوع» بأحد طلابه المبرزين لتدريس بعض الفتيان المستجدين، أما المواد التي تدرس في تلك الكتاتيب فكانت تشمل قراءة القرآن الكريم وحفظه وتجويده، وأحيانا كانت تدرس مع القرآن الكريم مبادىء القراءة والكتابة، وتوجد بعض الكتاتيب التي تدرس الحساب ومسك الدفتر. وقد كانت هذه المواد هي المحور الذي تدور حوله حلقات الدراسة في المنطقة آنذاك.

والى جانب تلك الكتاتيب كانت هناك مدارس للوعظ والارشاد الديني وكذلك المساجد اضافة الى المجالس العلمية والمنتديات الأدبية التي تضم المشايخ والعلماء ورجال الأدب.

هكذا كان التعليم في المنطقة قبل دخول التعليم الحكومي الذي يرجع تاريخه في الاحساء الى العهد العثماني حين أنشأت الدولة العثمانية مدرسة الرشيدية سنة ١٣١٩هـ بمدينة الهفوف وانتدبت لها بعض المدرسين من الأتراك، وكان يدرس فيها اللغة العربية والتاريخ والرياضيات، وتشير بعض المصادر الى انتهاء هذه المدرسة مع استرداد الاحساء سنة ١٣٣١هـ.

ومع تطور الاحداث ودخول المنطقة في صراعات عديدة، واصلت مسيرة التعليم تقدمها وتعاقبت جيلا بعد جيل. ويتضح ذلك في قصة طريفة ذكرها الدكتور عبدالله ناصر السبيعي في كتابه «بداية التعليم الحديث في المنطقة»، مفادها أن احد الشيوخ وهو حمد بن محمد النعيم من أهالي الاحساء، لفت انتباهه تفشي الأمية وانتشارها بين سكان الحي الذي يسكن فيه بصورة تدعو الى القلق، فقد لاحظ أن نسوة الحي يتزاحمن على باب داره ليقرأ لهن الرسائل التي يبعث بها اقاربهن العاملون في منطقة الخليج، أو غيرها. وهذه الظاهرة دفعته الى التفكير في انشاء «مدرسة النجاح» سنة ١٣٤٣هـ بمدينة الهفوف.

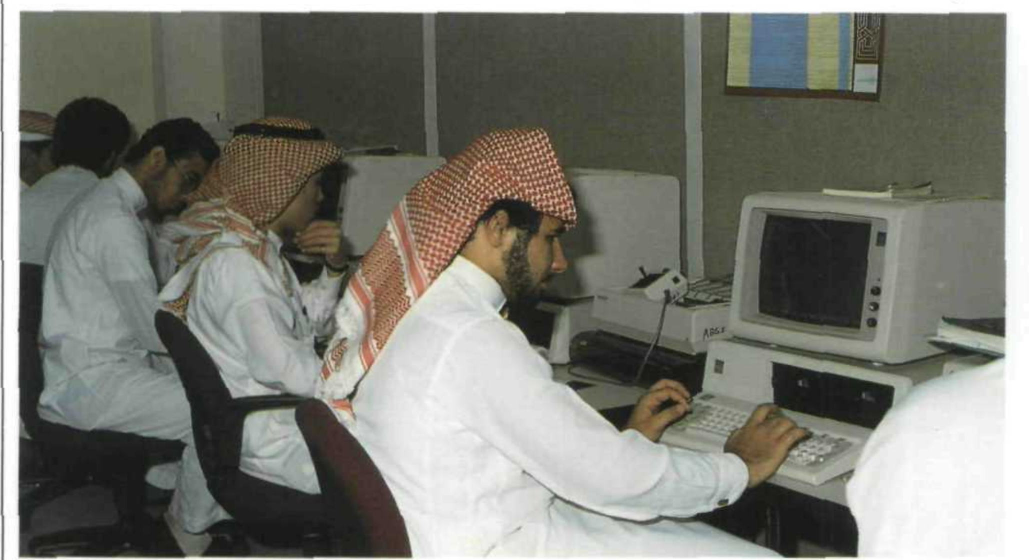
ويبدو أن هذا الشيخ الجليل كان يحس بمرارة حين يرى أهل بلدته وهم يتخبطون في ظلام الأمية، وكان يدرك ما يعانيه الناس من حسرة حين تأتيهم الرسائل من ذويهم ولا يستطيعون قراءتها ومعرفة ما فيها من أخبار.

وما كان من هذا الشيخ الا ان تحمل مسؤوليته بكل صدق وأمانة فأسس المدرسة، وبدأ يعلم فيها مبادىء القراءة والكتابة، ويبدو أن هذه المدرسة حققت نجاحا ولاقت ترحيبا من أهل المنطقة، الذين دفعوا بأبنائهم اليها، فازداد عدد الدارسين فيها حتى ضاقت بهم، ويبدو أن حلم الشيخ حمد بن محمد النعيم بدأ يتحقق وهو تعليم الصبية القراءة والكتابة، ولكن في الوقت نفسه واجهت الشيخ بعض المصاعب حيث أن المدرسة ضاقت بمن فيها ولم تعد تتسع للمزيد منهم مما حدا به الى التفكير في حل هذه المعضلة التي واجهته في بداية الطريق، فعرض الأمر على أحد وجهاء المنطقة المتحمسين لنشر العلم وهو الشيخ عبدالله بن حسن القصيبي، الذي أبدى بدوره استعداده لتقديم العون والمساعدة فاتفق الاثنان على النهوض بهذه المدرسة الفتية فجهز الشيخ عبدالله بن حسن القصيبي منزله ليكون مدرسة وتبرع للصبية بما يحتاجون اليه من أقلام ودفاتر وكتب وغير ذلك من اللوازم المدرسية، وانتقل الشيخ حمد بن محمد النعيم الى المدرسة الجديدة في سنة ١٣٤٩هـ وبعد هذا التوسع احتاج الشيخ النعيم الى من يساعده في التعليم فاستعان بطلابه الأوائل فكان الشيخ عبدالرحمن المزروع أول من هب لمساعدة استاذه في التعليم بالمدرسة الجديدة. وتشير الدلائل الى أن المدرسة حققت مستوىً طيبا شجع الشيخ عبدالله بن حسن القصيبي الى دعوة جلالة الملك الراحل عبدالعزيز آل سعود — رحمه الله — لزيارة المدرسة أثناء جولته التي قام بها للمنطقة سنة ١٣٤٩هـ، وقد أبدى الملك عبدالعزيز — رحمه الله — ارتياحه للمستوى الطيب الذي بلغه طلابها خاصة في دراسة القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية، وكان يدرس فيها أيضا الخط والحساب ومسك الدفتر.

وقد استمرت هذه المدرسة في تأدية رسالتها الى أن توفي الشيخ حمد بن محمد النعيم سنة ١٣٥١هـ فخلفه فيها الشيخ صالح بن خليف، ولكن هذه المدرسة أخذت بالاضمحلال بعد وفاة مؤسسها ولكنها أصبحت مثلا يقتدى، ونهجا يتبع في تأسيس مدارس أخرى على غرارها، وقد بقيت تلك المدارس تؤدي دورها في نشر العلم والمعرفة حتى سنة ١٣٥٦هـ حين تم افتتاح المدرسة الاميرية السعودية الأولى في مدينة الهفوف.

التعليم الحكومي في المنطقة الشرقية

تعود بدايات التعليم الحكومي في المنطقة الشرقية الى سنة ١٣٥٠هـ حين أوفدت مديرية المعارف بالرياض آنذاك اثنين من المعلمين هما: عبدالجليل الشعلان وراغب القباني ليفتتحا مدرسة في الهفوف. ويرجع السبب في افتتاح تلك المدرسة الى أن بعض الأهالي طلب من الملك عبدالعزيز — رحمه الله — أثناء الزيارة التي قام بها الى المنطقة في سنة ١٣٤٩هـ فتح مدرسة في الاحساء، فأوعز جلالته لمديرية المعارف بتلبية طلبهم، فَقَدِم المعلمان المذكوران للقيام بمهمة التعليم ولكن هذه المدرسة لم تلق قبولا من أهالي المنطقة ولم تتمكن من استقطاب أحد ويرجع السبب في ذلك، كما ينقل الدكتور السبيعي عن صحيفة «صوت الحجاز» هو أن راغب القباني في احدى خطبه في جامع الامام فيصل بن تركي في الهفوف تحدث عن فضل العلم ومنافعه ثم تكلم عن الجهل وكيف انه مخيم في هذه المنطقة، فأغضبت هذه الخطبة شيوخ البلدة وعلماءها فاعتبروها، كما يبدو،



مجموعة من طلبة الثانوية العامة، يدرسون على أجهزة الكمبيوتر، الذي أخذ يشق طريقه في التعليم الحديث.

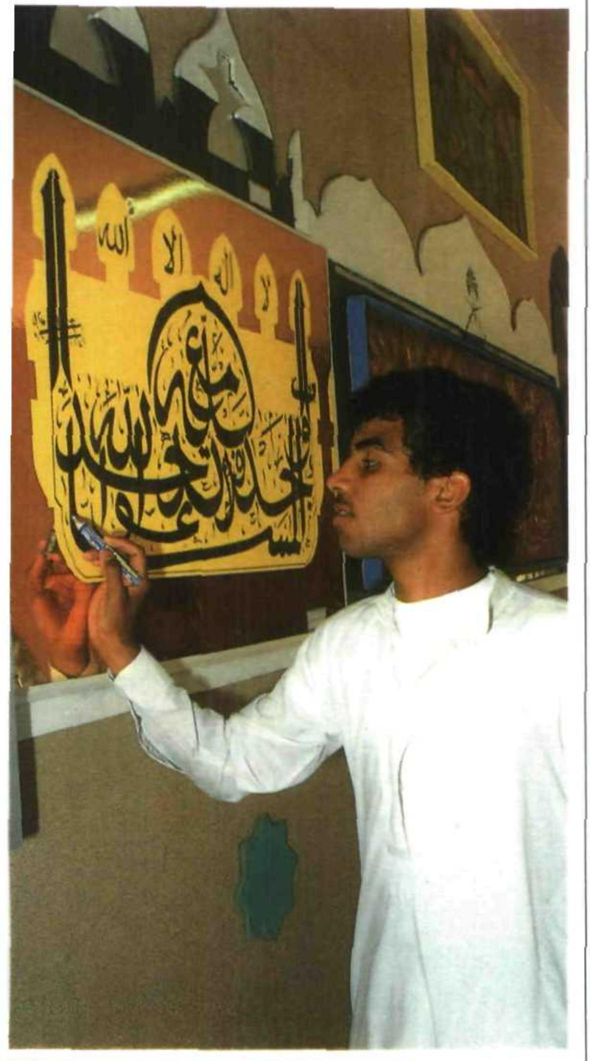
تجريحا لهم، واهانة لمكانتهم العلمية — فوقفوا من المدرسة موقفا معاديا وبذلوا قصارى جهدهم في التنفير عنها والتصدي لها فحرضوا الأهالي على ذلك وأخيرا تحقق لهم ما ارادوا.

وعلى الرغم من أن هذه البداية المتواضعة لم تتمكن من دفع عجلة التعليم في المنطقة الى الامام فان ذلك لم يحد من عزم الحكومة على افتتاح المدارس والعمل على تذليل الصعوبات التي تعوق انتشار التعليم في المملكة بشكل عام، وفي المنطقة بشكل خاص، ومن أجل ذلك رشحت الحكومة الاستاذ عبدالله قاضي للقيام بوظيفة أول معتمد للتعليم في المنطقة علاوة على عمله الاصلي وهو مدير مالية الاحساء في سنة ١٣٥٥هـ. ثم تجددت فكرة فتح مدرسة ابتدائية في الهفوف مرة ثانية. فأوفدت مديرية المعارف العامة الاستاذ محمد علي النحاس. ويبدو أن هذا الاستاذ قد ألم بأسباب فشل المدرسة الأولى، فحاول جهد امكانه ان يستفيد من التجربة الأولى، فسعى الى استشارة معتمد التعليم الاستاذ عبدالله قاضي واحد من رجال المنطقة وهو محمد بن حمد النعيم، من أجل انجاح مهمته، وعن طريق هذين الرجلين اتصل بشيوخ المنطقة وعلمائها للتفاهم معهم لتسهيل المهمة التي جاء من أجلها، وقد استغل النحاس هذه الفرصة فعرض عليهم مناهج التعليم وتفاهم معهم بشأنها، كما أنه قدم لهم تعهدا خطيا بأن تكون المدرسة تحت اشرافهم ومراقبتهم، وأن يأخذ بآرائهم، ويستعين بارشاداتهم، كما أنه سعى الى تعيين مدرسين منهم، وبهذه الطريقة استطاع ان يكسب ثقتهم فنجحت مساعيه بعد أن أبدى الجميع ارتياحهم للمواد التي سوف تدرس وهي: التوحيد، والتفسير، ملخصاً من ابن كثير والبيضاوي والجلالين، والفقة على مذهب الأمام أحمد، والعلوم العربية وتشمل الخط وقواعد الكتابة ومبادىء النحو وأشعار العرب. وكذلك الحساب. وفي سنة ١٣٥٦هـ. افتتحت أول مدرسة حكومية في المنطقة سميت «المدرسة الاميرية السعودية».

وقد التحق بها في أول الأمر أربعون طالبا ثم أخذ الاقبال عليها يتزايد حتى أصبح عددهم مائة وستين طالبا.

وقد كان ظهور هذه المدرسة ونجاحها بداية عهد جديد لنشر التعليم الحكومي في المنطقة، كما أنها مهدت الطريق لافتتاح مدارس أخرى في كل من المبرز والجبيل في السنة التالية، وفي الخبر والدمام سنة ١٣٦١هـ وفي حفر الباطن سنة ١٣٦٨هـ.

وقد بلغ عدد المدارس الابتدائية التابعة لوزارة المعارف في المنطقة الشرقية خلال السنة الدراسية ١٤٠٦/١٤٠٧هـ،٣٥٤ مدرسة بالاضافة الى المدارس الأهلية الخاصة المنتشرة في أرجاء المنطقة وكذلك المدارس التابعة للجهات التعليمية الحكومية الأخرى مثل وزارة الدفاع والحرس الوطني. كما بلغ عدد الدارسين في تلك المدارس الحكومية خلال السنة الدراسية نفسها ١٠٣١٧٨ طالبا.



التعليم الثانوي

ان ظهور التعليم الابتدائي الى حيز الوجود كان بمثابة الخطوة الأولى في مسيرة التعليم، وبطبيعة الحال كان لا بد من خطوات أخرى تعقبها، وهو التعليم الثانوي، الذي كان يطلق في بداية الأمر على المرحلة التي تعقب المرحلة الابتدائية.

واذا حاولنا أن نتعرف الى بداية التعليم الثانوي في المنطقة الشرقية نجده يرجع الى سنة ١٣٦٥هـ عندما صدر قرار مديرية المعارف بالرياض في تلك السنة بالموافقة على افتتاح أول ثانوية في مدينة الهفوف بالاحساء. وكان أول من درس فيها الاستاذ محمد مختار الزقوقي ثم الاستاذ أحمد الازهر والاستاذ مصطفى عمايم.

وقد كانت البداية متواضعة جدا، فلم يكن فيها سوى فصل واحد فقط للسنة الأولى، وفي سنة ١٣٦٩هـ، باشرت الثانوية في تدريس السنة الثانية، بعد أن انضم اليها عدد من المدرسين، وفي العام الذي أعقبه تقدمت أول مجموعة من الطلاب في المنطقة الشرقية لامتحان شهادة الكفاءة المتوسطة، وكان عدد الطلاب الناجحين فيه خمسة.

وفي سنة ١٣٧١هـ افتتحت السنة الرابعة والتحق بها بعض الطلاب، الذين حصلوا على الكفاءة المتوسطة، أما السنة الخامسة فقد تأخر افتتاحها الى سنة ١٣٧٤هـ، وبعد هذه السنة افتتحت المرحلة السادسة (القسم الادبي) وتقدم خمسة طلاب للامتحان ونجحوا جميعا، اما طلاب القسم العلمي فقد كانوا يواصلون دراساتهم خارج المنطقة الشرقية.

وخلال السبعينات من القرن الماضي أخذت المدارس المتوسطة بالانتشار في معظم مدن المنطقة الشرقية بصورة منتظمة وفي سنوات متتابعة،

ففي سنة ١٣٧٤هـ افتتحت متوسطة الدمام الاولى.

وفي سنة ١٣٧٥هـ افتتحت متوسطة الجبيل الأولى.

وفي سنة ١٣٧٦هـ افتتحت المتوسطة الأولى بالقطيف.

وفي سنة ١٣٧٨هـ افتتحت متوسطة الخبر، وكانت ملحقة بمدرسة الخبر الابتدائية.

وفي سنة ١٣٧٩هـ افتتحت متوسطة المبرز الأولى بالاحساء.

وفي سنة ١٣٨٠هـ افتتحت المتوسطة النموذجية بالهفوف.



طالب في احد المختبرات يتفحص من خلال المجهر اوراق بعض النباتات.



. . . . بعض جوانب النشاطات التي يزاولها الطلاب في المدارس والتي تنمي فيهم الابداع الفني والفكري والمهارات الفردية.

المنطقة التعليمية	المدارس		الطلاب	
	متوسطة	ثانوية	متوسطة	ثانوية
الاحساء	٥٥	١٥	١٢٢٤٠	٤٤٩٨
حفر الباطـن	١٤	٦	٢٥٧٧	٦١٠
الدمـــام	٧٩	٣٧	٢١١٠٣	٩٥٦٦

أما حفر الباطن فقد تأخر افتتاح المتوسطة فيها الى سنة ١٣٨٦هـ. وهكذا أخذ التعليم ينتشر ويوطد اركانه في المنطقة الشرقية، وخلال تلك الفترة، اخذ الطلاب يقبلون على التعليم بشكل منقطع النظير مما ادى الى افتتاح مدارس عديدة تستوعب الاعداد المتزايدة من الدارسين، وهكذا أخذ التعليم الثانوي بالتوسع بشكل مطرد مع مرور الزمن والجدول التالي يبين عدد المدارس وطلابها في المنطقة حسب احصاء السنة الدراسية ١٤٠٦ — ١٤٠٧هـ:

تعليم البنات

برزت مظاهر الاهتمام بالتعليم الحكومي في المملكة أيام عهد الملك عبدالعزيز —رحمه الله— فقد تأسست في فترة مبكرة من بداية عهده في سنة ١٣٤٥هـ مديرية المعارف التي أصبحت تتولى الاشراف على التعليم واستمر الأمر كذلك حتى سنة ١٣٧٣هـ حين تحولت مديرية المعارف الى وزارة المعارف وكان خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز أول وزير لها، وبذلك يعد من الرواد الأوائل الذين رعوا النهضة التعليمية في المملكة وأسسوا قواعدها وثبتوا اركانها. وقد ظلت قضية التعليم شغله الشاغل لأنه يؤمن بأن التعليم هو القاعدة الاساسية لكل تطور ونماء في المملكة حاضرا ومستقبلا.

وفي السنة التالية لانشاء وزارة المعارف، انشئت أول مديرية للتعليم في المنطقة الشرقية وكان الاستاذ الراحل عبدالعزيز التركي أول مدير لها.

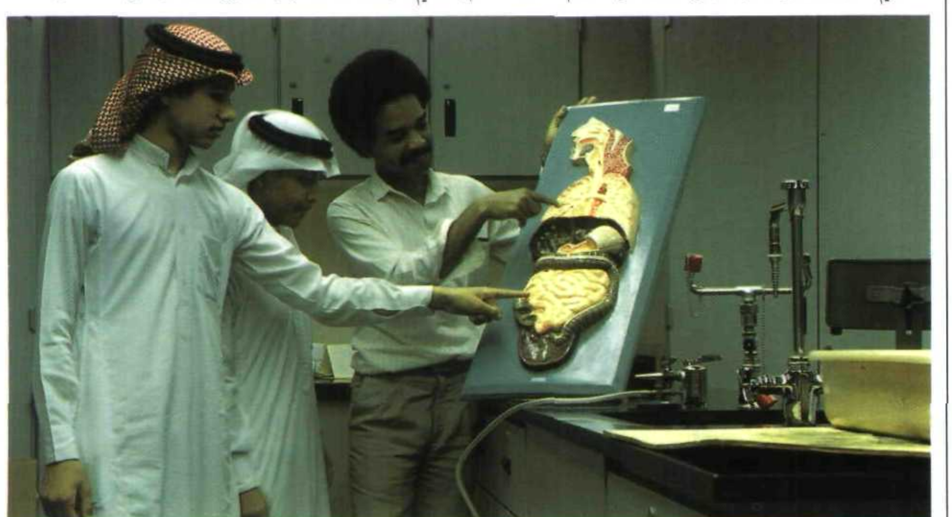
وقد تركز اهتمام التعليم الحكومي في المنطقة الشرقية على البنين فقط في بداية مسيرته حتى سنة ١٣٨٠هـ حين تأسست الرئاسة العامة لتعليم البنات، وقد باشرت الرئاسة في فتح ثلاث مدارس في الخبر والدمام والهفوف. وفي سنة ١٣٨٧هـ. افتتحت أول مدرسة ابتدائية للبنات في حفر الباطن، ثم توسعت الرئاسة في انشاء مدارس البنات في المنطقة الشرقية.

لقد كان تعليم البنات قبل تأسيس الرئاسة، في المنطقة الشرقية، يتم عن طريق الكتاتيب في منازل بعض السيدات، وكن يعلمن قراءة القرآن الكريم، وبعض أمور الدين، وقليل منهن من تعلم القراءة والكتابة، وقد كان بعض الآباء يتولى القيام بتعليم بناته بنفسه، وقد ظل تعليم البنات يسير على هذا المنوال فترة من الزمن حتى قبيل تأسيس الرئاسة العامة لتعليم البنات بفترة وجيزة حيث انشئت في المنطقة بعض المدارس الاهلية كالمدرسة النموذجية في الدمام التي تأسست في سنة ١٣٧٦هـ. وفي السنة التالية افتتحت فرعا آخر لها في الخبر.

وقبل قيام المدرسة النموذجية كانت هناك مدرسة أخرى هي مدرسة «سيدة» التي ابتدأت في حدود سنة ١٣٧٥هـ، وقصة هذه المدرسة طريفة جدا، حيث أن صاحبتها أمينة السيد كانت ترغب في تدريس احدى بناتها. ولما لم تكن هناك مدارس، فقد باشرت بنفسها القيام بالتدريس ثم استعان بها بعض الجيران لتدريس بناتهم مع ابنتها، ثم بدأ العدد يتزايد حتى وصل الى أكثر من خمسين فتاة، وكانت أمينة آنذاك تستعين ببعض الكتب لتستمد منها بعض مناهج التدريس، وقد استعانت لفترة من الوقت باحدى المدرسات لمساعدتها في تدريس اللغة الانكليزية، كما أنها أيضا استفادت من بعض الطالبات في المراحل المتقدمة، فيما بعد، لمساعدة الطالبات المستجدات، وقد بلغت هذه المدرسة رغم صغرها مستوى طيبا من التنظيم فقد كانت تلزم الطالبات بلبس زي موحد ودوام خلال فترتين الأولى صباحية والثانية بعد الظهر، واستمرت هذه المدرسة حتى سنة ١٣٧٩هـ، حيث اضطرت صاحبتها الى اغلاقها والسفر الى القاهرة للعلاج الذي استمر حوالي سنة، ثم عادت بعدها، ولكنها وجدت أن التعليم الحكومي بدأ خطواته الاولى فاكتفت بالانضمام الى أسرة التعليم، كما نشأت خلال تلك الفترة بعض المدارس الاهلية للبنات في القطيف. وتعتبر هذه المدارس البواكير الأولى لتعليم الفتاة في المنطقة الشرقية بشكل منظم، وظلت تلك المدارس تؤدي رسالتها في التعليم فترة قصيرة حتى تأسست الرئاسة العامة، فبدأ التعليم الحكومي يشق طريقه في المنطقة.

ومع مرور الوقت بدأ التوسع في انشاء المدارس، فظهرت المرحلة المتوسطة التي ابتدأت سنة ١٣٨٥هـ، بافتتاح متوسطة الدمام التي كانت عبارة عن فصل واحد ملحق بالمدرسة الابتدائية الخامسة، واخرى بالقطيف، وفي سنة ١٣٩٤هـ وصل التعليم المتوسط للبنات الى منطقة حفر الباطن.

تعليم الكبار ومحو الأمية يمثل جانبا من اهتمام الدولة العام بالتعليم، وهذا أحد الشباب الذين استفادوا من هذه الفرصة.



حصة دراسية ويبدو فيها الاستاذ وهو يشرح لطالبين أجهزة الجسم الداخلية مستعينا بنموذج مجسم.

أما المرحلة الثانوية لتعليم البنات فقد تأخرت حتى سنة ١٣٩٢هـ حيث افتتحت ثلاث ثانويات في الدمام والخبر والقطيف، اما حفر الباطن فابتدأت المرحلة الثانوية فيها في سنة ١٤٠٠هـ. وعلى الرغم من تأخر التعليم الحكومي للبنات عن التعليم الحكومي للبنين حوالي ربع قرن، فان هذا الفارق الزمني أخذ يتلاشى سريعا بعد أن أصبحت الفتاة السعودية، بشكل عام، وفي المنطقة الشرقية بشكل خاص تقبل على التعليم بكل عزم وارادة، واستطاعت ان تحقق ذاتها وتثبت جدارتها وان تواكب النهضة التعليمية التي شهدتها المملكة خاصة خلال العقدين الماضيين والجدول الآتي يبين أعداد المدارس وطالباتها في المنطقة الشرقية فقط خلال السنة الدراسية ١٤٠٦ — ١٤٠٧هـ باستثناء المدارس الخاصة والمدارس التابعة لجهات حكومية أخرى مثل وزارة الدفاع أو غيرها.

اسم المنطقة	عدد المدارس			عدد الطالبات		
	ابتدائي	متوسط	ثانوي	ابتدائي	متوسط	ثانوي
الاحساء	١٢٠	٤٤	٢١	٥٢٤٩٩	٨٢٣٠	٤٧٤٢
حفر الباطن	٤٨	٧	٤	٦٤١٩	٢٤٩٦	٢٥٩
الدمام	١٩٧	٦٤	٣٦	٥٠١١٦	١٧٤٨٦	٩٨٥٨

دور أرامكو في التعليم

تقوم الشركة بموجب اتفاقية قائمة مع الحكومة العربية السعودية منذ ١٣٧٢هـ ببناء مدارس لابناء وبنات الموظفين السعوديين وغيرهم من المسلمين. وقد شرعت ارامكو منذ ذلك التاريخ بالتخطيط لبناء عدد من المدارس الابتدائية في المنطقة الشرقية. وتعتبر مدرسة ابن الهيثم الابتدائية بالخبر باكورة هذه الاتفاقية حيث بنتها ارامكو سنة ١٣٧٣هـ وكانت في بدايتها تتكون من اثني عشر فصلا دراسيا، ثم توسعت فيما بعد وأصبحت تضم ثمانية عشر فصلا، وتستوعب أكثر من خمسمائة طالب. وخلال السنة نفسها، بنت الشركة مدرسة القادسية الابتدائية في الدمام ثم توسعت هذه المدرسة فيما بعد لتواكب التزايد المستمر في عدد الطلاب الملتحقين بها فأضيف اليها اثنا عشر فصلا دراسيا وصارت تستوعب أكثر من سبعمائة طالب.

وكما أشرنا من قبل أن الرئاسة العامة لتعليم البنات تأسست في سنة ١٣٨٠هـ، وفي السنة التالية، وقعت الحكومة مع الشركة اتفاقية جديدة تقوم الأخيرة بموجبها ببناء مدارس للبنات في الاحياء السكنية التي تمنحها لموظفيها، وبعد مضي ثلاث سنوات من هذا الاتفاق شيدت ارامكو أول مدرستين ابتدائيتين للبنات الأولى وهي «مدرسة البنات الابتدائية الرابعة» في الخبر، وتضم اثني عشر فصلا دراسيا، والثانية «مدرسة رحيمة الابتدائية للبنات» وتتكون من اثني عشر فصلا دراسيا، وبعد مضي عدة سنوات تم توسيع هاتين المدرستين لتستوعب الأعداد المتزايدة من البنات اللائي تهيأت لهن فرصة الحصول على التعليم.

بعد ذلك أخذت الشركة تتوسع في بناء المدارس للبنين والبنات لتواكب الزيادة المطردة في اعداد موظفيها من جهة، والزيادة في الاحياء السكنية التي أخذت الشركة تقيمها لموظفيها وكانت آخر مدرسة سلمتها ارامكو للحكومة هي «ثانوية الدوحة للبنين» في ربيع الثاني ١٤٠٥هـ، وبذلك يكون عدد المدارس التي بنتها الشركة وسلمتها للحكومة ثماني وسبعين مدرسة حتى الآن تنتشر في منطقة تمتد من رأس تنورة شمالا الى الاحساء جنوبا، كما أن الشركة تقوم الآن بالتخطيط لبناء عدد من المدارس في الخبر والدمام والأحساء.

وقد روعي في تصميم المدارس، وخاصة الحديثة منها، اسلوب هندسي عصري متطور يتلاءم مع مقومات الثقافة العلمية، وروح التربية الاسلامية، والتقاليد الاجتماعية، كما تجهز المدارس بالفصول الدراسية الخاصة بأساليب التعليم الحديثة مثل مبادىء علم الحاسب الآلي، والرسم الهندسي والفنون الصناعية، كما تضم بين جدرانها مختبرات للاحياء والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا، اضافة الى مختبر لتعليم اللغة الانجليزية.

الجدير بالذكر أن ارامكو تقوم بتصميم هذه المدارس بالتعاون مع المسؤولين عن التعليم في الحكومة، كما تتولى صيانتها وتجديدها، بينما تتولى وزارة المعارف مسؤولية المناهج وجميع مهام التدريس والادارة في هذه المدارس. وفي مطلع السنة الدراسية ١٤٠٦هـ/ ١٤٠٧هـ كان هناك نحو ٣١٣٠٠ من أبناء وبنات المواطنين السعوديين وغيرهم من المسلمين يتلقون تعليمهم في مدارس حكومية بنتها ارامكو.



مدرسة القادسية الابتدائية التي بنتها ارامكو بالدمام، والتي يرجع تاريخ تأسيسها الى عام ١٣٧٤هـ.

تعليم الكبار ومحو الأمية

كان الاهتمام بالتعليم في بادىء الأمر يتركز على تعليم الصغار، باعتبارهم النواة الأولى لبذور التعليم، ولكن هذا الاهتمام أخذ يتنامى بحيث اتيحت فرصة التعليم الى الكبار الذين لم يسعفهم الحظ للتحصيل العلمي في الصغر، وقد كانت باكورة تعليم الكبار في الظهران، فقبل حوالي نصف قرن أي في سنة ١٣٦٦هـ، أسست مديرية المعارف مدرسة في الظهران لتعليم الكبار، وقد كان الدافع لفتح تلك المدرسة كما يبدو توفر عدد من السعوديين العاملين في صناعة النفط، الذين يفتقرون الى التعليم، وقد اتاحت الشركة الفرصة لبعض موظفيها الالتحاق بهذه المدرسة عن طريق منحهم جزءا من وقت العمل لنيل قسط من التعليم، وقد كان الاقبال على تلك المدرسة كبيرا حيث التحق بها في سنواتها الأولى أكثر من ١٤٠ رجلا.

ثم خطت مديرية المعارف خطوة جديدة في تشكيلها الاداري سنة ١٣٦٩هـ، اذ استحدثت قسما جديدا خاصا بمحو الأمية، ثم تطور هذا القسم وأصبح يسمى فيما بعد «ادارة الثقافة الشعبية». وفي السنة نفسها، افتتحت مدرسة الهفوف في الاحساء وكانت أول مدرسة ليلية حكومية في المنطقة، وقد كان الاقبال عليها قد فاق كل التوقعات.

وفي سنة ١٣٧٣هـ قامت وزارة المعارف بحملة واسعة لمحو الأمية فافتتحت مدرسة مسائية في الظهران التحق بها أكثر من ثلاثمائة مواطن، ثم تضاعف العدد، خلال سنتين، أكثر من ثلاث مرات، حتى انه تجاوز الألف. وخلال السبعينات من السنة نفسها انتشرت مدارس محو الأمية وتعليم الكبار في المنطقة الشرقية حتى بلغ عددها في منطقة الدمام في نهاية سنة ١٤٠٧هـ (٥٤) مدرسة يدرس فيها ٤٤٧٢ مواطنا، اضافة الى ١٣ مدرسة أخرى تابعة لجهات حكومية يدرس فيها ١٣١٧ مواطنا.

ويكمن الهدف، الذي يرمي اليه المخططون والمنفذون لبرامج تعليم الكبار ومحو الأمية، في رفع مستوى ادراك الفرد اجتماعيا واقتصاديا، وادراج أكبر عدد ممكن من الأفراد في اطار التنمية الشاملة وجعل السواد الأعظم منهم مواطنين عاملين منتجين. ولذلك يعتبر تعليم الكبار ومحو الأمية مظهرا من مظاهر التنمية الاجتماعية عن طريق تحسين الطاقات البشرية، ورفع مستواها وزيادة تحصيلها الفكري وقدراتها العملية في بناء الوطن ودعم مشاريعه الاقتصادية.

وتعليم الكبار ومحو الأمية، في المنطقة الشرقية، جزء لا يتجزأ من اهتمام الدولة العام بهذا الموضوع ففي عام ١٣٩٢هـ صدر قانون حدد مدة عشرين سنة لمحو الأمية وذلك في عام ١٤١٢هـ وقد قسمت هذه الخطة الى ثلاث مراحل، الأولى لمدة سنتين وخصصت للدراسة والحصول على المعلومات ومعرفة الاستعداد المادي والبشري، والثانية لمدة سبع عشرة سنة، خصصت للتنفيذ، والمرحلة الثالثة لمدة سنة واحدة للتصفية.

كما كونت لجنة عليا لمحو الأمية وتعليم الكبار برئاسة معالي وزير المعارف لوضع الخطط العامة ومتابعة سير أعمال البرامج.

جائزة الأمير محمد للتفوق العلمي

تعتبر جائزة صاحب السمو الملكي الامير محمد بن فهد، أمير المنطقة الشرقية، للتفوق العلمي على مستوى طلاب وطالبات المرحلة المتوسطة والثانوية في المنطقة الشرقية، تجسيدا حيا لطموح الشباب نحو المستقبل والسير المتواصل على دروب العلم. من هذا المنطلق انبثقت هذه الفكرة العلمية الحية.

ان هذه المبادرة الكريمة التي تعهدها ورعاها صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز من أجل تكريم الطلاب المتفوقين، انما تعكس ملامح التطور التي شهدتها مسيرة التعليم في المملكة عبر رحلتها الطويلة.

وصاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد يؤمن بأن مستقبل أية أمة يعتمد على ما يحققه شبابها من تفوق وابداع في المجالات العلمية، فهو مذ كان شابا يافعا، كان يتملكه التفكير في المستقبل كلما قرأ عن نصر علمي حققه العرب والمسلمون في غابر مجدهم، وفي هذا الصدد يقول سموه «وهكذا كانت تداعى أمجادنا العلمية الى ذاكرتي ويمتد بي التفكير الى المستقبل، وفي هذا الاطار قررت تخصيص جائزة مالية للتفوق العلمي، ورأيت أن أخص بها اخواني طلاب مدارس التعليم العام في المنطقة الشرقية مع ثقتي الكاملة فيهم، وان التنافس والتسابق من أجل تحصيل علمي عال سوف يؤدي بهم الى تفوق متميز ويوصلهم الى ابداع خلاق، يعيد لبلادنا مكانتها، ويرد لأهلنا أمجادهم في ظل التعاليم الاسلامية... وانني اتطلع واتمنى أن تكون هذه الجائزة فاتحة خير وبركة الى التفوق العلمي الذي يخدم الانسانية جمعاء، ويرتقي بأمة العرب والاسلام الى ذرى التقدم والنماء».

وقد أقيم الاحتفال الأول لهذه الجائزة في ١٢ صفر ١٤٠٧هـ في قاعة المؤتمرات الدولية بمقر امارة المنطقة الشرقية، وقد دعي اليه عدد من اصحاب السمو الملكي الأمراء ومعالي وزير المعارف الدكتور عبدالعزيز الخويطر وعدد كبير من المفكرين والأدباء والمربين، اضافة الى أعيان المنطقة ورجال التربية والتعليم وبعض أولياء أمور الطلبة، وقد ألقى صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد كلمة في ذلك الاحتفال استهلها بقوله «الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي، الذي حث على طلب العلم وجعل العلماء ورثة الأنبياء». ثم تحدث سموه عن أهمية التعليم وتفوق الشباب الطموح واثره الايجابي على الأمم عبر العصور وقال: «ان الأمم تتفاخر بشبابها، وتحيا وتتقدم بعقولهم وكلما قلبنا سفر التاريخ البشري وجدنا الشباب يحتل الصدارة على صفحات التاريخ، وكلما فتشنا عن أسباب التقدم والرقي وجدنا اسراره تكمن في عقول الشباب، واذا استعرضنا أمجاد أمتنا الاسلامية في ميادين الفكر والعمل، في أوقات الحرب والسلم نجد الشباب وراء كل ابداع، وخلف كل تقدم».



جانب من المدعوين ورجال التعليم والتربية واعيان المنطقة الذين حضروا حفل التفوق العلمي.

ثم بين دور الشباب في حياة هذه الأمة، فهم الذين حملوا راية الاسلام، ونشروه في ارجاء الدنيا، واقاموا على ضوء تعاليمه حضارة انسانية متوازنة تمتع الناس تحت ظلالها بالأمن والعدل، وجنوا ثمار التقدم، كما ركز سموه في كلمته على دور الشباب وأهميته، وما ينتظره من مهام جسام اذا تسلح بالعلم، قائلا: «في ضوء هذه الحقيقة التاريخية التي المحت اليها، وبثقة مطلقة في شبابنا، وبالأمل المتنامي في تفوقهم وابداعهم قررت تخصيص جائزة رمزية للتفوق العلمي، تدفع بطموحات الشباب الى الأمام، وتستثير مكنونات قدراتهم وتنمي افكارهم بما سيعود على بلادنا بالخير والنماء والتقدم...».

ثم تطرق الى الجائزة وقال: «انها لا تعني المكافأة، ولكنها تعني الطموح نحو المستقبل الواعد لامتنا وتعني السير على دروب العلم والتقدم»، ثم استطرد سموه قائلا: «عندما نحتفل اليوم بفوز عدد من أبنائنا وبناتنا بجائزة التفوق العلمي فاننا نكرم فيهم ويهم الجد والاجتهاد والمثابرة في سبيل تحصيل علمي يفتح آفاق المعرفة امامهم، وأمام زملائهم، فهنيئا لهم بالفوز، وشكرا لهم على ما بذلوه من جهود».

وقد تحدث في تلك المناسبة أيضا معالي الدكتور عبدالعزيز الخويطر، وزير المعارف الذي ألمح الى أن ازدهار العلم يعتبر دليلا على نضج الأمم، والسعي لنشره اشارة بارزة على تمتعها بالعقل، والاهتمام به علامة بارزة على طموحها لتتسنم ذروة العز والسؤدد. فالعلم زينة الأمم، ونور يهديها الى طريق الصواب، به يصلح المجتمع ويصل الى أهدافه، فهو يختصر طريق الانجاز ويساعد على اتقان العمل، وهو زينة للجهد، ووسيلة لبلوغ القصد.

وقد تطرق معاليه الى الانجازات الضخمة التي حققتها الدولة في مجالات التعليم بمختلف فروعه ومستوياته ومناهجه ومراحله، والمح معاليه الى أن الدولة قد صرفت عبر السنوات الماضية ما يقرب من مئة ألف مليون ريال لهذا الغرض النبيل، وقد أشاد معاليه بسمو الأمير الذي تبنى فكرة هذه الجائزة، وبارك اهدافها النبيلة حيث قال «اذا جئت هذه الليلة تضع لبنة من لبنات التشجيع في صرح التعليم الشامخ في مملكتنا الحبيبة، اخترتها بنفسك فانك تقتفي اثر والدك الذي نمّى فيك ملكة حب العلم واهله، وهي ملكة مضيئة مشرقة، مصدر فخر واعتزاز لمن يتصف بها، ومصدر خير وبركة لمن يجني من ثمرتها».

كما ألقى سعادة الدكتور سعيد عطية أبو عالي، مدير عام التعليم بالمنطقة الشرقية، ورئيس لجنة الجائزة كلمة جامعة لخص فيها الأهداف النبيلة لهذه الجائزة، والتي انعكست آثارها على صعيد التنافس العلمي الشريف بين الطلاب، حيث لمسها عن قرب في مختلف المدارس، فالجائزة حفزت الطلاب على المضي قدما للمزيد من العلم، متوجين ذلك بالتفوق العلمي الذي يطمح اليه الجميع، وقال في كلمته «ان اهتمام الانسان بالعلم في هذا القرن فاق ما سبقه من اهتمامات على مستوى الأفراد والجماعات، في سالف العصور، والمملكة العربية السعودية تعيش هذا السباق دون كلل أو ملل، فالوطن يعيش العصر بكل جوانبه التقدمية في ضوء الدين الحنيف، وغدا التعليم هما وطنيا ونشاطا اجتماعيا، منذ قيام المملكة على يد موحدها جلالة الملك عبدالعزيز، رحمه الله.»

ثم تحدث عن الجائزة وعن نبل هدف سمو أمير المنطقة الشرقية مشيدا بدعمه السخي، واريحيته الخلاقة في هذا المضمار حيث قال «ها نحن الليلة يا صاحب السمو، نلتقي بك ومعك في واحد من مهرجانات العلم التي تنظم حياتنا العامة، نلتقي بك الليلة وانت تكرم النابغين، وتبارك جهودهم، وتدفع



شعار الجائزة.

صورة تذكارية تجمع الطلبة المتفوقين.

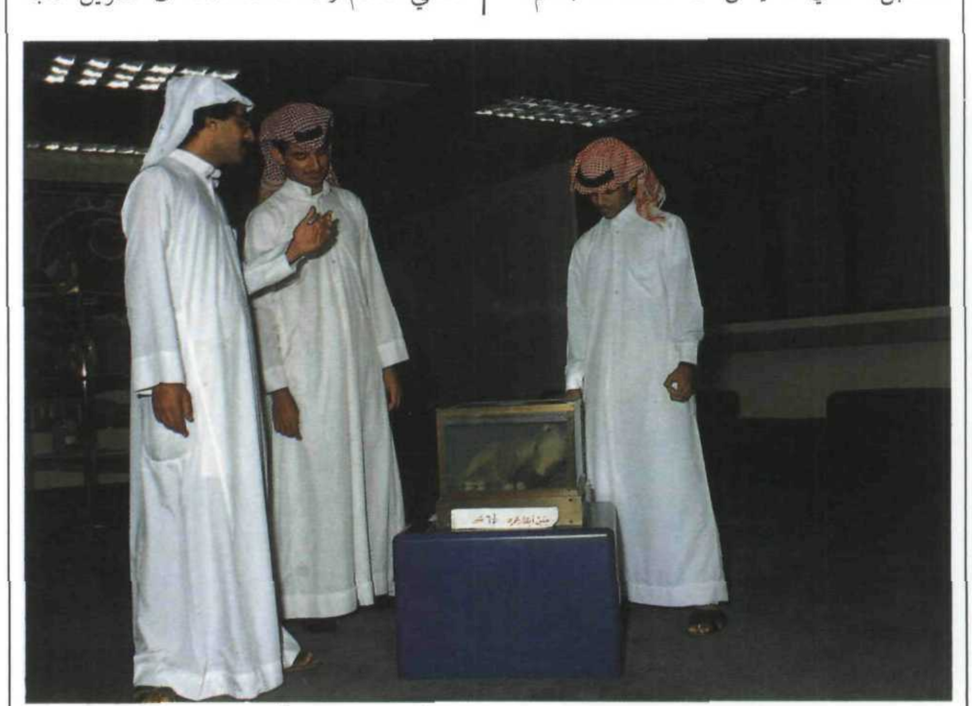
بطموحاتهم نحو المستقبل، وهكذا انت بجائزتك وبتوجيهاتك وارشاداتك رائع في فكرك، عميق في رؤيتك، انساني في نزعتك، حفي بالعلم والتعليم واهله. لقد اسهمت جائزتك في رفع مستوى التحصيل العلمي، واعطت المنافسة الشريفة بعدا جديدا حتى غدا التفوق والابداع حديث المجالس، وموضوع الاعلام المنظور والمسموع والمقروء، ويتوج هذا الاهتمام حضور هؤلاء من الصفوة يكرمون النابهين بك وبحضورك، وسيحضرون معك رؤى المستقبل، الذي لا يمكن أن نضمنه الا بالعلم».

أضواء على جائزة هذا العام

كانت جائزة العام الماضي البذرة الأولى التي ارتفعت منها شجرة وارفة يتفيأ بظلها الطلاب، ويتسابقون لجني ثمارها الخيرة، وخلال هذا العام ارتفعت الشجرة في سماء العلم، ونزلت جذورها الى أعماق المعرفة. بفعل الرعاية الدائمة، والعناية المتواصلة. فتوسعت الجائزة، بعد أن كانت موزعة بين عشرين طالبا يمثلون المرحلتين المتوسطة والثانوية، في منطقتي الدمام والاحساء، اضافة الى عشرين طالبة يمثلون المرحلتين ذاتهما، اما في هذا العام فسوف يتم توسيع الجائزة اذ سوف تتضاعف قيمتها من مائتي الف ريال الى أربعمائة الف ريال، كما سوف تستحدث جوائز عديدة، وقد أقر صاحب السمو الملكي الأمير محمد النظام الجديد للائحة جائزة التفوق العلمي، وفي هذا الصدد يقول سموه: «ان هذه الجائزة جاءت تجسيدا لتطلعات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، حفظه الله، في تشجيع العلم وطلابه»، كما أشار أيضا الى «ان الملك فهد رائد التعليم الأول في المملكة يدعم باستمرار كل عمل خير يهدف الى خير الوطن والمواطنين، وما هذه الجائزة الا ثمرة من ثمار تطلعاته الخيرة». كما قال سموه: «ارجو أن تحقق هذه الجائزة اهدافها النبيلة في التنافس الشريف للتفوق والنبوغ في المجالات الدراسية والعلمية، وان ينتفع بها الوطن الغالي». وفي اطار اقرار النظام الجديد للائحة جائزة التفوق العلمي، تم توسيع المجال الجغرافي للجائزة لتشمل منطقة حفر الباطن الى جانب الاحساء والدمام فضلا عن توسيع المجال العلمي للجائزة لتشمل مسارات التعليم التي تنتهي بمؤهل دراسي وهي جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، وجامعة الملك فيصل، وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية في الاحساء، وكليتي العلوم والآداب للبنات بالدمام ومراكز العلوم والرياضيات للبنين والبنات في المنطقة والمدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية، ومدارس تحفيظ القرآن الكريم بجميع مراحلها، والمعاهد العلمية المتوسطة والثانوية بالدمام والاحساء وحفر الباطن، ومدارس محو الأمية ومعاهد التعليم الخاص، والمدارس الثانوية المطورة، والمدارس التجارية، والمعاهد الصناعية والصحية ومعهد البريد ومعاهد اعداد المعلمات».

وعلى صعيد الاهتمام بمجال البحث العلمي، فقد خصصت جوائز لأفضل بحث علمي وادبي على مستوى جامعات المنطقة وكليات البنات، بالاضافة الى جوائز تخصص لأفضل بحث يقدم لمعهد البحوث بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

وعلى الرغم من قصر عمر هذه الجائزة، فانها قد حققت في العام الماضي الخطوة الأولى لانطلاقها نحو مجالات أوسع وآفاق أرحب □



جنين بقرة حيث تتم دراسته للتعرف الى تطور نموه والأمراض التي يمكن أن يتعرض لها.

الشعر اليثربي الجاهلي
بين الريادة والاحتذاء

بقلم: د. محمد العيد الخطراوي / المدينة المنورة

إذا كان الوصول الى لغة أدبية موحدة في العصر الجاهلي، استطاع أن يذلل كثيرا من النواحي الشكلية للشعر، ويقارب بين بيئاته المتباينة، فانه يبقى في المعاني والصور مجال كبير للابداع والتجديد والاستقلال، فلكل معانيه الخاصة التي يتناولها ويعمل فيها فكره وذهنه ويستولد بعضها من بعض، ولكل ريشته التي يرسم بها مشاعره واحاسيسه، ويقدم بوساطتها رؤيته للوجود وما في الوجود، فالتباين اذن في هذا المجال وارد ومطلوب، وبغيره نكون قد حكمنا على الشعور بالموت وعلى المعاني بالجمود، هذا مع ايماننا بانفتاح باب التأثر والتأثير بين أبناء الأمة الواحدة، وبين أدب أمة وأدب أمة أخرى.

ولقد كانت البيئة اليثربية في العصر الجاهلي بيئة مفتوحة على الغير بكل معاني الانفتاح، تحتك مع غيرها في جميع حالات الحرب والسلم، ولذلك انعكس هذا الاحتكاك على شعرها تأثر وتأثيرا، ريادة واحتذاء، ولا شك أن هذا التأثر أو التأثير لم يكن يتم بطريقة متعمدة، أو على الأقل من الشعراء الكبار، لأن ذلك مما يعيب، وإنما كان يتم نتيجة للمخالطة والحفظ، وهذه أمثلة توضح مدى تأثيرهم في غيرهم وتأثير غيرهم فيهم، أو توارد خواطرهم على المعاني الواحدة والألفاظ الواحدة. قال ابن الخطيم (شاعر يثربي):

أكثّر أهلي من عيال سواهم
وأطوي على الماء القراح المبرَّدِ

وهو يشبه قول معاصره عروة بن الورد، الذي زار يثرب أكثر من مرة واحتك بشعرائها، حيث يقول:

أقسِّم جسمي في جسوم كثيرة
وأحسو قراح الماء والماء بارد

ولا نستطيع أن نجزم بالسابق منهما الى هذا المعنى، ولم نجد في المراجع ما يسعف بشيء من هذا.

قال ابن الخطيم في معرض الغزل:

صفراء أعجلها الشباب لداتها
موسوعةٌ بالحسن، غير قطوب

أي سبقت لداتها في الشباب..

وقال عبدالله بن قيس الرقيات بعد ذلك، (وهو شاعر أموي):

شبت أمام لداتها
بيضاء، سابغة الغديره

قال العدوي: قوله: (صفراء)، أراد أن لونها يضرب الى الصفرة، كما قال ابو زبيد، يعني أبا زبيد الطائي: حرملة بن المنذر، وهو شاعر جاهلي ادرك الاسلام ولم يسلم:

أشربت لون صفرةٍ في بياض
وهي في ذاك لَدنةٌ غيداء

قال ابن الخطيم في تصوير حركة الحراب والرماح في الطعن والنزع:

تراهن يخلجن خلج الدِّلا
ء تخلج النَّزع أشطانُها

وهو شبيه بقول عنترة:

يدعون عنتر والرماح كأنها
أشطان بئر في لبان الأدهم

وهو كثير في شعرهم.

قال ابن الخطيم[1]:

رددنا الكتيبة مفلولة
بها أفنها، وبها ذانها

وهو يلتقي بقول كناز الجرمي[2]:

رددنا الكتيبة مفلولة
بها أفنها، وبها ذابها

من أبيات بائية، وقد يخطيء بعضهم فينسبها الى قيس بن

(١) ديوانه ص/٤٣.
(٢) «معجم الشعراء» للمرزباني ص/٣٥٣.

الخطيم، يخلط بينها وبين قصيدته النونية التي أتينا منها بالبيت السابق.

قال ابن الخطيم:

ديار التي كادت ونحن على منى
تحل بنا، لولا نجاء الركائب

قال الخالديان[٣]: قال الحاتمي: أخذ هذا المعنى أخذا خفيا من امرىء القيس في قوله:

وقد اغتدي والطير في وكناتها
بمنجرد «قيد الاوابد» هيكل

وهو قوله: «نجاء الركائب».

وفي قوله: «كادت تحل بنا» قالا: «معناه: انا كنا محرمين فكدنا بنظرنا اليها أن نحل، فيفسد احرامنا، وشبيه بهذا قول الشاعر:

وتستوقف الركب العجال بطرفها
فما أحد يمضي من القوم أو تمضي

وقال حسان في قصيدة اسلامية:

ديار التي كادت ونحن على منىً
تحل بنا، لولا نجاء الرواحل

وفي قول ابن الخطيم:

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة
بدا حاجب منها، وضنّت بحاجب

قال العسكري[٤]: قالوا: أحسن ما قيل في الوجه من الشعر القديم قول قيس بن الخطيم: «تبدت لنا كالشمس...» البيت. مأخوذ من قول النمر بن تولب:

فصدت كأن الشمس تحت قناعها
بدا حاجب منها وضنَّت بحاجب

وهو أحسن ما قيل في إعراض المرأة. ونقله الى موضع آخر —أي ابن الخطيم— وزاد فيه، فقال:

كان المنى بلقائها فلقيتها
ولهوت من لهو أمرىء مكذوب
فرأيت مثل الشمس عند طلوعها
في الحسن، أو كدنوّها لغروب

(٣)«الأشباه والنظائر»١: ٢٤ للخالدين — تحقيق الدكتور السيد محمد يوسف— لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨.
(٤)«ديوان المعاني»١: ٢٢٩ لأبي هلال العسكري — مكتبة القدس بمصر ١٩٥٢م.

قال ابن الخطيم:

رجال متى يدعوا الى الموت يرقلوا
اليه كإرقال الجمال المصاعب

وقال النابغة وهو شاعر له صلة وثيقة بيثرب، زار بها سوق الجسر، وهي سوق تجارية أدبية في العصر الجاهلي، والقى بها نونيته المعروفة، قال:

اذا استُنزِلوا للطعن عنهن أرقلوا
الى الموت ارقال الجمال المصاعب

وفي شرح قول ابن الخطيم:

لو أنك تلقي حنظلا فوق بيضنا
تدحرج عن ذي ساحه المتقارب

قال ابن السيد البطليوسي[٥]: وصف تضايقهم في الحرب وشدة تلاصقهم، لكثرة عددهم، حتى لو ألقى الحنظل على بيضاتهم لمشى عليها ولم يسقط الى الأرض، وكان الناس يعدون هذا من الاغراق والمحال الذي لا يمكن، حتى قال ابن الرومي:

فلو حصبتهم بالسقيط سحابة
لظل على هاماتهم يتدحرج

يقول: لو نزل على رءوسهم برد لم يسقط الى الأرض فكان ذلك أشنع في المحال من قول قيس، ثم قال أبو الطيب المتنبي:

يمنعها أن يصيبها مطر
شدة ما قد تضايق الأسل

فزاد في الاغراق والمحال.

وحول قول ابن الخطيم:

اذا ما فررنا كان أسوا فرارنا
صدود الخدود وازورار المناكب

قال الخالديان[٦]: ثم قال في ذكر الفرار ما لم يقله أحد جودة وحسن لفظ وصحة معنى. ثم قالا: وهذا البيت والبيت الذي بعده، مأخوذ من قول الأعشى في يوم ذي قار:

ما في الخدود صدود عن وجوههم
ولا عن الطعن في اللبات منحرف

ولكن هذا الأخذ الذي يشيران اليه، بعيد جدا كما هو ظاهر.

قال قيس بن الخطيم:

(٥)«الاقتضاب في شرح أدب الكتاب»ص/٤٤٢ للبطليوسي — تحقيق عبدالله البستاني.
(٦)«الاشباه والنظائر»٢٧ — ٢٨.

اذا قصرت أسيافنا كان وصلها
خطانا الى أعدائنا فنضارب

وقد تعاقب على هذا المعنى عدد كبير من الشعراء بين آخذ ومأخوذ منه، واختلف متتبعو المعاني في مؤسس هذا المعنى، فذهب قوم الى أنه ابن الخطيم، وذهب آخرون الى أنه الاخنس بن شهاب التغلبي، وقيل: هو ضرار بن الخطاب الفهري القرشي، وقيل أيضا: كعب بن مالك الخزرجي الانصاري. اما الثلاثة الأوائل فقد تنازعوا البيت السابق على اختلاف في الروي. وأما كعب فقال:

نصل السيوف اذا قصرن بخطونا
قدما، ونلحقها اذا لم تلحق

وقال ابو مخزوم النهشلي:

اذا الكماة تنحوا أن تنالهم
حد الظباة، وصلناها بأيدينا

وقال حناك بن سنَّة العبسي —وهو بكسر المهملة وتخفيف النون، وآخره كاف، وسنة بفتح السين المهملة، وتشديد النون— قال:

أبني جذيمة نحن أهل لوائكم
وأقلكم يوم الطعان جبانا
كانت لنا كرم المواطن عادة
نصل السيوف اذا قصرن خطانا

وقال أبو قيس بن الاسلت الأوسي، من شعراء يثرب البارزين في العصر الجاهلي:

والسيف ان قصره مانع
طوله يوم الوغى باعي

وقال ودَّاك بن نميل المازني:

مقاديم وصالون في الروع خطوهم
بكل رقيق الشفرتين يمان

وقال نهشل بن حرى:

فتى كان للرمح الأسن محطما
طعانا، وللسيف القصير مطيلا

وقال عبيدالله بن الحر الجعفي:

اذا أخذت كفي بقائم مرهف
وكان قصيرا، عاد وهو طويل

وقال نابغة بني الحارث بن كعب، واسمه يزيد بن ابان:

واذا السيوف قصرن بلغها لنا
حتى تناول ما تريد: خطانا

وقال عبدالرحمن بن سلامة الحاجب:

ويوم تقصر الآجال فيه
نطاوله بأرماح قصار

وقال آخر:

تطيل السيوف المرهفات لدى الوغى
خطانا اذا ارتدت خطى وسيوف

وقد أخذه مسلم بن الوليد، وزاد فيه وأجاد، فقال:

ان قصر السيف زادتنا الخطى عددا
أو عرد السيف لم يهمم بتعريد

وروى الخالديان في شرح ديوان مسلم انه اخذه من قيس بن الخطيم
قال ابن الخطيم:

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا
كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

وقال عمرو بن كلثوم:

كأن سيوفنا منا ومنهم
مخاريق بأيدي لاعبينا

قال ابن الخطيم:

كأنا وقد أجلوا لنا عن نسائهم
أسود لها في عيص بيشة أشبل

قال الخالديان[7]: أخذ مروان بن أبي حفصة المصراع الأخير فقال:

بنو مطر يوم اللقاء، كأنهم
أسود لها في غيل خفان أشبل

(٧) «الأشباه والنظائر» ١ : ٢١.

قال ابن الخطيم:

وما لمعت عيني لغرة جارة
ولا ودعت بالذم حين تبين

وقال عروة بن الورد:

وان جارتي ألوت رياح بيتها
تغافلت حتى يستر البيت جانبه

قال الشريف المرتضى[8]:

فأما أبيات قيس هذه في الطيف، فقد سبق فيها الى كل معنى غريب عجيب، وهو قدوة في هذا المعنى لكل من جاء بعده وتبع أثره، والأبيات:

أنّى سربتِ وكنت غير سروب
وتقرب الأحلام غير قريب
ما تمنعي يقظي فقد تؤتينه
في النوم غير مصرَّد محسوب
كان المنى بلقائها فلقيتها
فلهوت من لهو امرىء مكذوب

ومنه أخذ البحتري:

هجرتنا يقظى وكادت على مذ
هبها في الصدود تهجر وسنى

قال حسان بن ثابت في الفخر:

نبيح حمى ذي العز حين نكيده
ونحمي حمانا بالوشيج المقوم

وهو شبيه بقول السموأل بن عادياء:

وننكر ان شئنا على الناس قولهم
ولا ينكرون القول حين نقول

وأكد ضياء الدين الموصلي[9] أن حسان سرق هذا البيت لفظا ومعنى من قول أوس بن حجر:

نبيح حمى ذي العز حين نكيده
ونحمي حمانا بالوشيج المقوَّم

(٨) «طيف الخيال» للشريف المرتضى ص/٣٥

(٩) «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ١: ١٢٤.

واستبعد أن يكون من قبيل توافق الخواطر، وقال: ان هذا النوع من السرقة يسمى: نسخا.

قال حسان:

ولنا اذا ما الأفق أمسى كأنما
على حافتيه ممسيا لون عندم
لنطعم في المشتى ونطعن بالقنا
اذا الحرب عادت كالحريق المضرَّم
وتَلقى لدى أبياتنا حين نجتدَى
مجالس فيها كل كهل معمَّم

وهو في هذا يقارب قول زهير في كلمته التي لم يلحق بها في المدح، اذ يقول:

وان جئتهم ألفيت حول بيوتهم
مجالس قد يُشفَى بأحلامها الجهل

ووافق في ذكر المشتى واحمرار حافتي الأفق طرفة بن العبد حين يقول:

ونحن اذا ما الغيم أمسى كأنه
سماحيق[10] ثَربٍ وهي حمراء حُرجُف
تبيت إماء الحي تطهى قُدورَنا
ويأوي الينا الأشعث المتجرِّف[11]

وبعد فنحن لا ندعي أننا من خلال العرض السابق قد استوعبنا كل ما يتصل بموضوعنا، فذلك ما لا يتأتى لعجالة مثل هذه أن تحققه، فمن أراد المزيد من ذلك فليرجع لكتابنا (المدينة في العصر الجاهلي — الحياة الأدبية) ومع ذلك فانني على ثقة بأن ما قدمناه هنا قادر على أن يعطي القارىء صورة واضحة لمدى تأثير شعراء المدينة المنورة (يثرب) في العصر الجاهلي وتأثرهم، فقد كانوا سباقين لبعض الصور والمعاني، اخذها منهم غيرهم، ونسجوا على طريقتها، فكان لهم بذلك فضل السبق وشرف الريادة، وكانوا في بعضها الآخر آخذين من غيرهم محتذين خطاهم، ولا ضير في ذلك، فالبيئة اليثربية —كما قلنا— لم تكن بيئة مغلقة على نفسها، ولم تكن في الوقت نفسه بيئة قاصرة عاجزة عن الابتكار والابتداع، تأخذ ولا تعطي، وتمثل دائما دور المسبوق اللاحق التابع لغيره، بل كانت بيئة متفاعلة مع ما حولها من البيئات الشاعرة، تأخذ وتعطي، وتتسابق مع غيرها في مضمار الخلق والابداع، انطبعت اشعارها بالسمات العامة للشعر الجاهلي، وتميزت في الوقت نفسه بسمات خاصة تعرف من خلالها، فلا تختلط بغيرها، ولا يخطئها البحث والدرس. ولعل من أجَلِّ هذه الخصائص نشأة فن النقائض فيها دون البيئات الشعرية الأخرى، وهي خصيصة جديرة بأن تقدم في اطار منفرد إن شاء الله □

(١٠) السماحيق: جمع سمحاق، وهو الغيم الرقيق. الثرب: رقائق دهن البطن يشبه المنديل.

(١١) الاشعث: سيء الحال، المتجرف: المعدم.



عندما صدرت مجلة قافلة الزيت (القافلة) حاليا عام ١٣٧٣هـ كانت الساحة الثقافية شبه خالية اللهم الا من بعض ومضات تلمع هنا وهناك متخذة من بعض المجلات الصادرة في البلاد العربية كالأديب والعرفان والأمالي في لبنان والرسالة في مصر والهدف والقرى في العراق ميدانا للمشاركة، ورافدا من روافد المعرفة.

وكان المهتمون بالنشر والمشاركة الأدبية قلة يعدون على الأصابع. الا أنهم مع قلتهم وضعوا تلك اللبنات الفكرية الناضجة للأجيال القادمة وفي مقدمة هؤلاء الشاعر المفكر الراحل خالد الفرج (ت ١٣٧٤هـ) الذي اهتم بتأسيس أول مطبعة في المنطقة الشرقية (المطبعة السعودية) ونشر ديوانه بدمشق ورسالة في اصلاح الحروف الهجائية. والى جانب هذا المفكر الكبير كان هناك الأستاذ عبدرب الرسول الجشي، والاستاذ الشاعر حمد الراشد آل مبارك اللذان كانا يراسلان الصحف الأدبية ويكتبان فيها.

وكان صدور كتاب (الأدب في الخليج العربي) عام ١٣٧٧هـ لمؤلفه الأستاذ عبدالرحمن العبيد فتحا جديدا في مجال التعريف بأدب منطقة الخليج العربي ثم اتبعه الشيخ محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن العبدالقادر باصدار كتابه (تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء القديم والجديد) حيث احتوى جزؤه الثاني على صفحات مشرقة من التاريخ الأدبي بمنطقة الاحساء. وبعد ذلك جاء كتاب (ساحل الذهب الاسود) لمؤلفه الشاعر محمد سعيد المسلم والذي احتوى كماً جيداً من أدب القطيف والمنطقة الشرقية.

ولقد كانت هذه الكتب ومؤلفوها اضاءات ساطعة على طريق المعرفة، راسمة الخطوط العريضة لمن جاء سالكا هذا الطريق، الذي لم يكن ممهدا ولا مفروشا بالورود. لذلك عندما صدرت (قافلة الزيت) تعامل معها الناس بحذر. فقد رأى فيها المثقفون الواعون انها مجلة دعائية. ورأى فيها آخرون أنها مجرد مجلة مليئة بالصور والألوان تصلح للتسلية فكانت هذه النظرة اليها سببا في عدم مشاركة أقلام المثقفين على قلتهم، فكانت تعتمد في مادتها على الاقلام الواعية في البلاد العربية خاصة من لبنان ومصر، حيث كانت تستكتب خيرة الكتاب وأقدرهم في مجالاتهم لتقدم للقاريء أفضل مادة تشبع نهمه وتزيده ثقافة ومعرفة.

ولم تكن الحالة العلمية على وجه مرض، فالطبقة العاملة في الشركة آنذاك كانت في دور الاعداد والتأهيل. والتعليم النظامي لم يتعد طور التعليم الثانوي الذي كان مقتصرا على مدرسة الهفوف

الثانوية وكان لفتح المعهد العلمي بالاحساء عام ١٣٧٢هـ دور هام في المشاركة الفكرية بما كان ينظمه من ندوات ومحاضرات يشارك فيها اساتذة المعهد وطلابه.

والى جانب هذا وذاك صدور مجلة (صوت البحرين) وهي أقرب نقطة الى المنطقة الشرقية. واهتمام مجلة صوت البحرين بأخبار المنطقة وفتح صفحاتها لأقلام المثقفين من أبنائها مما جعل جمهرة المثقفين يهتمون بهذه المجلة ويولونها اهتمامهم. وعلى صفحاتها برزت بعض الأسماء كالدكتور راشد المبارك ومحمد سعيد الخنيزي وعبدالله بن علي الخنيزي وابن الشاطىء وفتى الصحراء وغيرهم.

وفجأة صدرت جريدة (أخبار الظهران) عام ١٣٧٤هـ وترأس تحريرها الاستاذ عبدالله الملحوق ويديرها الاستاذ عبدالكريم الجهيمان. ومجلة (الاشعاع) لصاحبها ورئيس تحريرها الاستاذ الشاعر سعد البواردي عام ١٣٧٥/١/١هـ وهي مجلة أدبية اجتماعية شهرية.

كان صدور هذه الدوريات حافزا لصدور مجلة (الخليج العربي) بالاحساء فصدر منها ستة اعداد فقط خلال عام ١٣٧٦هـ وبتاريخ ١٣٧٧/١/١هـ انتقل مقرها الى الخبر واصدرتها جريدة اسبوعية.

وبهذه الاصدارات اتسعت الرقعة الثقافية وتعددت روافدها.. ودخل الميدان العديد من الأقلام الجادة الجيدة العطاء. ومن هذه الأقلام — على ما أذكر — عبدالرزاق الريس، والشاعر عباس مهدي خزام، والشيخ يوسف يعقوب، ومروان الطاهر، وسيف الدين عاشور، ومحمد العلي، وشكيب الأموي، وعبدالعزيز مؤمنة، والراحل لقمان يونس، والأديب عبدالعزيز القاضي، وعبدالسلام العمري، وعبدالوهاب حسن المهدي، وعبدالرحمن المنصور، وعبدالله الحقيل وعشرات غيرهم.

ثم بدأت المرحلة الثالثة من هذه المسيرة المباركة بصدور جريدة (اليوم) الجريدة اليومية ذات مساحة تتسع للعديد من الأقلام. وكان افتتاح جامعة الملك فهد للبترول والمعادن. وجامعة الملك فيصل مما زاد في ذلك التفاعل الفكري بين أبناء المنطقة والمناطق الأخرى. اذ تفاعلت المشارب الفكرية واتسعت الاهتمامات والنظرات المتباينة لتصب في رافد الثقافة بهذه المنطقة. ولعل ما يسجل بالفخر والاعتزاز أن كثير من أبناء هذه المنطقة يعملون بهذه الحقول المعرفية التي اوجدت من أجلهم. وان يكون العدد الأكبر منهم من أبناء مناطق المملكة المختلفة، مما زاد التفاعل الانتمائي بين أبناء البلد الواحد. الى جانب العديد من أبناء البلاد العاملين في حقول استخراج البترول وتكريره وتوزيعه والذين اتيحت لهم فرص التعليم فواصلوا حتى حازوا أعلى الدرجات العلمية. اضافة الى الخبرات المكتبية والمهارات المتطورة التي تواكب روح العصر. وتتعامل مع التقنية الحديثة ومن ثم تخضع الآلة لارادة الانسان لتقدم له ما يريد من خدمات في ميادين البحث العلمي والاقتصادي والاجتماعي. فكان الطريق سالكا لاشراك العديد من أدباء ومفكري المنطقة الشرقية في المهرجانات والمواسم الثقافية بحضور له سماته ودلالالته.

ولقد برز جيل جديد اخذ يحتل مكانة في الساحة الأدبية ليصب في بوتقة العطاء متميزا ومبرزا جوانب التطور الفكري الذي تفتح على جوانب الثقافة العالمية ليغترف من روافدها. وليطالع عشاق الثقافة والأدب بذلك الناتج الذي يصور مرحلة النضج. سواء عن طريق النشر أو عن طريق المشاركة في الامسيات الشعرية والندوات الأدبية التي تحتضنها بعض الجهات وفي مقدمتها الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون مع متانة العقيدة ورسوخها في سويداء القلوب.

ولعل من المفيد هنا أن أشير الى بعض الأدباء الذين كان لهم القسط الوافر في اثراء الصحافة المحلية بالعديد من البحوث والمقالات والرواية والشعر.. ففي مجال الشعر نجد العديد من الشعراء الذين اسهموا بشكل فعال في اثراء هذه الناحية وفي مقدمتهم الشاعر علي الدميني وقد أصدر ديوانا يحمل عنوان (رياح المواقع) ركب فيه موجة الحداثة.

ومن ذلك الشاعر عدنان السيد محمد العوامي الذي نلتقي بشعره حيث الالتزام بالوزن والقافية لكنه جديد في الروح.. جديد في اختيار الكلمات. فعندما تتابع معه تناغمه مع جزيرة (تاروت) تراه يسوق لها ذلك الغزل الواله:

هنا. هنا كان فردوس ولهت به
علقت دنياه مرجا معشبا وربى
ونخلة في حنان الرمل غافية
تذود عن هدبها الأقمار والشهبا
حتى اذا سار بي دربي فسول لي
هجران شطك ظلا وارفا وصبا
نسيت ملعب احبابي ومزرعتي
ورحت احتضن القصدير ملتهبا
والآن عدت فهل القاك حانية؟
تستقبلين حبيب الامس منتحبا
اتيت احمل اوصابي على كتفي
مدّي يديك فاني مثقل تعبا
(تاروت) هل تهب الشطآن عاشقها
هنية بعد أن ضاعت مناه هبا
هل تختفي افرع (الماجي) بمن غزلت
مداخن التبغ في اجفانه سحبا

ومثل شاعرنا العوامي نجد أحمد المعتوق الذي يحاول أن يرسم صورة بالغة الروعة لصحراء بلاده. وهو يعاني من ألم الاغتراب.. فيقول من قصيدة (لحن من الصحراء).

اختاه: فرقد يحن فوق سورنا
ينام يستريح عند شرفتي
وسائدي يضمها ويرقب النداء
ولن تبوح رملتي بسرها
ولن ينام فوق ساعدي لوهلة قمير
ظفائري لعروة نذرتها
قلادة النجوم في يديه اذ يطل لموسم اللقاء
وتسهر الأقمار في ردائه.. ويمرح الضياء
وهودجي ثرية بقبة السماء
أذوب مثلما تذوب نغمة بحضنه بساعديه
مثل ضبية بربوة الصباح

اما الشاعر فضل العماري فانه يتجه اتجاها فلسفيا أقرب للصوفية عندما يحاور نفسه ويخاصمها ويطلب منها الا تغتر بوعود الأيام تمضي ويأتي غيرها لأن لا خلود الا في الدار الآخرة كما في قصيدة له بعنوان (خصام) يقول منها:

عجبت لأمس كيف كان صباحه
وكيف مضى يومي وما أنا عالم
حسبت سنيني كلها فوجدتها
بها الأنس نزر كما مر حائم
وان نداماي القريبين قلة
وان فراشي حوله البؤس جاثم
فأدركت أن النجم ما عاش لامعا
وفيه ضنى أو في الفؤاد مآثم

وهناك الشاعر محمد حمد الصويغ ذلك الشاعر الغزلي فهو لا يترك مناسبة الا ويعبر عما يجول بوجدانه ويرسم دقات قلبه في كلمات رشيقة كما يقول من قصيدة (لولاك):

انا لولاك.. والحياء رفيقي
ما تغربت.. او أسفت رحيقي
كيف أعدو.. وراء ظلي طليقا
وأنا الآن.. قد أضعت طريقي

ويخاطب الشاعر الشاب محمد طاهر الجلواح محبوبته ويناديها ذلك النداء المنطلق من الأعماق معطيا لها لقبا اختاره لها (احلى قصيدة) يقول فيها:

أنت! من أنت؟ وما أنت وماذا؟ ينطق النبل بعينيك الوودوده
آه.. لو تستنطقي بعض فؤادي.. ثم ترميه كما ترمي الجريده
كدت من فرط الهوى فيك أنادي بين جيراني واحبابي العديده
كلما يشغلني في سير عمري روعة فيك واشواقي البعيده
اطلقي نفسك يوما في حياتي يا حياتي.. يا اماني السعيده
ودعي الدنيا لقلبينا تناجي قصة لم ترووها أم عنيده

وهناك العديد من الشعراء الذين برزوا الى الميدان لا يسع المقام للاستشهاد بشيء من انتاجهم لئلا يطول البحث ومنهم الشاعر فهد النفيسة والشاعر أحمد الملا والشاعر سعد البراهيم والشاعر عبدالله الرومي والشاعر عبدالرحمن عثمان الملا وغيرهم كثير.

أما في مجال البحث الأدبي والنقد فقد برز العديد من الكتاب نذكر منهم د. محمد بن عثمان الملا ود. عبدالواحد الحميد ومحمد رضا الشماسي وشاكر الشيخ وعبدالرؤوف الغزال ومحمد الدميني..

وعندما نلتفت الى الابداع في الفن القصصي نجد عبدالعزيز مشري وعبدالله السالومي وجبير المليحان يمثلون هذه الساحة دون منافس.

وفي ميدان التأليف نجد الاستاذ عبدالرحمن العبيد يبذل جهودا مضنية لمواصلة البحث للخروج ببحوث متميزة.. فعلاوة على كتابه القديم الجديد (الأدب في الخليج العربي) فقد صدر له ديوان (موكب الفجر) وكتاب (اصول المنهج الاسلامي).. كما نجد الدكتور علي الدفاع الاستاذ بكلية العلوم بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن يواصل جهوده لكتابة تاريخ العلوم الاسلامية والعلماء المسلمين. وقد أصدر في هذه الناحية عددا من الكتب ولا يزال يواصل كتاباته العديدة في الصحف المحلية حول هذه المواضيع.. اما الدكتور محمد الهرفي فلا يزال يستخلص العبرة من التاريخ الاسلامي ويكتب العديد من البحوث الأدبية الاسلامية بلغة عصرية متميزة.. وقد صدر له في هذه الناحية ما لا يقل عن عشرين كتابا.

ولا شك أن الفترة التي عاشتها مجلة القافلة (٣٥) لم تمض دون أن تترك بصماتها على الحياة الثقافية.. ولوكان الأمر غير ذلك لما رأينا هذا الزخم في الانتاج الهادف دون اسفاف يرسم للأجيال القادمة صورة حية لما شهدته بلادنا من نهضة شاملة في جميع الميادين ويرسم لهم طريق المستقبل مستمدا العبرة من الماضي علهم يسيرون على هديه □



طاقة الرياح في المملكة العربية السعودية

بقلم: د. جاسم محمد الانصاري / جامعة الملك فهد للبترول والمعادن

تعددت الدراسات والبحوث حول ايجاد مصادر بديلة أو مكملة للطاقة الاحفورية التقليدية. فلقد أظهرت الدراسات حول الطاقة الشمسية أنه بالامكان الاستفادة بصورة مباشرة من الأشعة الشمسية في توليد الكهرباء أو التدفئة والتبريد وتسخين المياه الى غير ذلك من التطبيقات الأخرى. كما أن طاقة الرياح تعتبر من أحد المصادر الغنية التي يمكن الاستفادة منها في توليد الطاقة. ولقد حبى الله المملكة العربية السعودية مساحات هائلة من الأراضي الشاسعة المسطحة والمرتفعة وكذلك آلاف الأميال من الشواطىء الممتدة على ضفاف الخليج العربي والبحر الأحمر مما يجعل فرص الاستفادة من طاقة الرياح أمر في غاية السهولة.

لقد عرف الانسان منذ أقدم العصور طاقة الرياح فاستفاد منها وسخرها لأغراضه الزراعية كضخ الماء وطحن الحبوب من خلال اختراعه واستخدامه لطواحين الهواء البدائية. وقد تميزت تلك الطواحين الهوائية بكبر حجمها وعدم فعاليتها ورداءة المواد المستخدمة في صنعها، وأما الآن وبفضل البحوث الكثيرة التي أجريت في هندسة الطيران وديناميكية الهواء فانه امكن تطوير نماذج متعددة لهذه الطواحين من حيث المواد الداخلة في التصنيع وكذلك في كفاءة الاداء من أخشاب وجلود وأقمشة الى المواد البلاستيكية والزجاجية والكربونية، بالاضافة الى المعادن الخفيفة.

وقد ساعدت هذه الدراسات على تطوير هذه الأجهزة ولكننا ننظر الى الدراسات والبحوث المستقبلية والتي ستؤدي ان شاء الله الى زيادة فاعلية هذه الأجهزة بحيث تزيد في كفاءتها.

هناك عنصران اساسيان يتحكمان في تنفيذ أي برنامج يهدف الى تسخير طاقة الرياح وهما:

١ــ تقييم مصادر طاقة الرياح.

٢ــ ايجاد الانظمة المناسبة لتحويل طاقة الرياح.

تقييم مصادر طاقة الرياح

أصبح من الضروري تقييم حجم طاقة الرياح لتقرير امكانية استخدام هذه الطاقة كطاقة بديلة أو مكملة من عدمها، ومن خلال التقييم، يمكن التوصل الى قرار حول استخدام هذه الطاقة، ليتم هذا العمل على مراحل بدءاً من دراسة المعلومات ذات الصلة بالارصاد الجوية، لتحديد سرعة واتجاه الرياح على مدار السنة. ويمكن الحصول على المعلومات المتعلقة بالارصاد في المملكة العربية السعودية من جهات حكومية مختلفة مثل مصلحة الأرصاد، شركة الزيت العربية الامريكية (ارامكو)، وزارة الزراعة والمياه بالاضافة الى جهات عالمية مثل مركز الامم المتحدة للمعلومات المناخية ومنظمة الأرصاد الجوية العالمية.

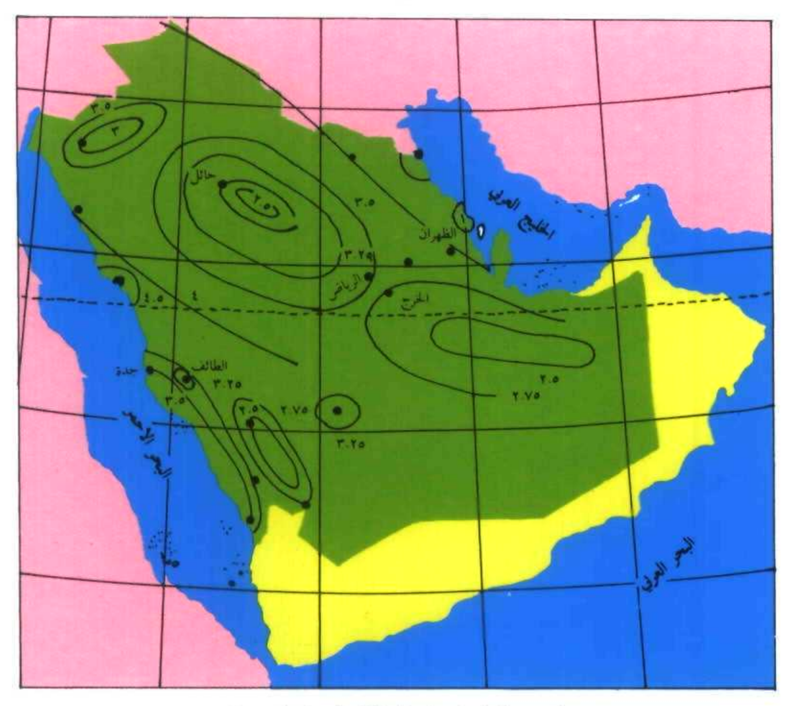
ان معظم هذه المعلومات تتضمن بيانات خاصة بالأشعة الشمسية، وكذلك سرعة واتجاه الرياح، ودرجات الحرارة والرطوبة والضغط. وقد أوضحت بعض هذه البيانات أن هناك علاقة بين طاقة الرياح والطاقة الشمسية، حيث أنه كلما زادت الأشعة الشمسية المتوفرة على منطقة ما قلت طاقة الرياح. علما أنه لا يجب أن تؤخذ هذه العلاقة على أنها حقيقة تنطبق بشكل قاطع على جميع ارجاء المعمورة. وعليه يجب قياس هذه الأشعة الشمسية ورصد سرعة واتجاه الرياح في مناطق المملكة، لنتمكن من ايجاد العلاقة الصحيحة والتي تنطبق بصورة عامة على مناطق المملكة، لنتمكن من ربط هذين المصدرين الحيويين للطاقة ومن ثم ايجاد المصدر أو المصادر المكملة لها ومن ثم تدخل هذه المعلومات في الحاسب الآلي وتحلل وتصنف وينتج عن هذا ايجاد جداول تظهر سرعة واتجاه الرياح في كل منطقة من مناطق المملكة. على سبيل المثال يبين الجدول (١) هذه المعلومات لمنطقة الظهران في الجزء الشرقي من المملكة العربية السعودية.

الجدول (١) يمثل سرعة الريح (م/ثانية)
خلال شهري يوليو واغسطس ١٩٨٥ لمدينة الظهران

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
١٠,٢	١٠,٠	٥,٤	٥,٩	٩,٣	٨,٥	٦,٠
٦,٥	٦,٩	٨,١	٩,٠	٥,٣	٥,٥	٦,١
٥,٩	٤,٥	٤,٢	٥,١	٤,٠	٥,٤	٥,٥
٣,٥	٦,٧	٧,٣	٦,٦	٦,٠	٦,٥	٥,٨
٥,٦	٢,٧	١,٩	٣,٩	٤,١	٥,٦	٥,١
٢,٥	٣,٦	٣,٣	٣,٢	١,٩	٣,٧	٣,٧

وترسم الخرائط المتعددة والتي تبين اتجاه وسرعة الرياح في جميع مناطق المملكة على مدار السنة. كما هو موضح في الشكل (١). ويجب ملاحظة أن كل حلقة من الحلقات ترمز الى سرعة معينة للريح فعلى سبيل المثال، الحلقة المرتبطة بالرقم ٣ تعني أن سرعة الريح ٣ متر في الثانية، وقد تكون بعض هذه الحلقات غير مكتملة وهذا ناتج عن عدم توفر المعلومات المناخية لتلك المنطقة.

شكل (١) معدل سرعة الرياح في المملكة العربية السعودية



معدل سرعة الرياح في المملكة العربية السعودية

ايجاد الانظمة المناسبة لتحويل طاقة الرياح

ان أنظمة تحويل طاقة الرياح حسب المصطلح العلمي يقصد بها الطواحين الهوائية الافقية أو العمودية المحور. والحديث عن هذه الطواحين يستوجب اعطاء نبذة علمية مبسطة عن كيفية عملها والمبدأ الذي بنيت عليه.

تتشكل هذه الطواحين حسب كيفية المحور المثبتة عليها مراوحها. فمثلا الشكل رقم (٢) يبين الطواحين الأفقية المحور بينما تبين الأشكال (٣) و(٤) الطواحين العمودية المحور، مع ملاحظة أن اختلاف الاشكال ينتج عن اختلاف الاستعمالات والتصاميم المبنية عليها.

ويمكننا حساب الطاقة الكامنة في الرياح حسب المعادلة التالية:

الطاقة الكامنة في الرياح (ط) = كثافة الهواء (ك) × مساحة الدائرة التي نصف قطرها (ل) × مكعب سرعة الرياح.

$$ط = ك .\ م س^{3}$$

الشكل (٢)

الطواحين الهوائية

افقية المحور
الشكل (٢)

(ل)

عمودية المحور (٣)

عمودية المحور(٤)

ك = كثافة الهواء تعادل ١٢٥٠ جرام/متر٣
م = مساحة الدائرة التي نصف قطرها ـــل ـــ
س = سرعة الرياح

هل يمكن استخلاص هذه الطاقة بالتمام؟ الجواب قطعا بالنفي نظرا لأن بعضا من هذه الطاقة يهدر في تحريك المروحة ومن ثم ادارة العمود المحوري الذي يدير المولد الكهربائي. والطاقة المستخلصة ترتبط بكفاءة الجهاز. وتعرف كفاءة الجهاز بأنها القدرة على تحويل طاقة الرياح الى طاقة كهربائية او ميكانيكية يمكن الاستفادة منها.

ولقد دلت التجارب التي أجريت بهذا الصدد على أن الطاقة التي يمكن استخلاصها من الرياح بواسطة الطواحين الهوائية المحورية المركز تعادل ٥٠٪ على أحسن تقدير. ومعنى ذلك أن الطاقة المهدرة تعادل ٥٠٪ وكذلك فان الطاقة الميكانيكية في تحولها الى طاقة كهربائية تفقد ما بين ١٠ الى ٢٠٪. وينتج عن ذلك بأن ما يمكن تحويله من طاقة الرياح الى طاقة كهربائية يعادل ٣٠ الى ٤٠٪.

وبالنظر الى المعادلة السابقة: «الطاقة = المساحة. الكثافة. (السرعة)٣.» نجد أن كثافة الهواء عادة تكون ثابتة لا تتغير، وكذلك مساحة المروحة أو الطاحونة الهوائية، ثابتة وتبقى السرعة، ونقصد بسرعة الرياح على أساس أنها العامل المتغير، ويلاحظ ان الطاقة تزداد تبعا لمكعب السرعة. وعلى سبيل المثال عندما تزداد السرعة (من ١ الى ١٠) امتار في الثانية فان الطاقة تزداد من واحد الى ألف.

ويتحتم علينا أن نورد ملحوظة هامة هنا الا وهي أنه لا يجب أن يأخذنا الاعتقاد بأنه كلما زادت السرعة زادت الطاقة لأن غالبية الطواحين الهوائية تصنع لتعمل في كفاءة عالية عند سرعة





معينة للرياح، وتبعا لذلك فان الطواحين الهوائية عند تعرضها لتيار هوائي، تقوم بتوليد الطاقة الكهربائية وتزداد هذه الطاقة كلما زادت سرعة الرياح الى أن تصل هذه الطاقة ذروتها عند سرعة معينة صممت لها الطاحونة الهوائية. واذا ما زادت الرياح عن تلك السرعة فان الطاحونة تبعا لتصميمها تحيد عن الاتجاه المباشر للرياح، وهذا بدوره يقلل من دورانها.

كذلك يلاحظ بأن مساحة المروحة الهوائية لا تتناسب طرديا مع كمية الطاقة الكهربائية المولدة، أي اننا قد نرى بأن بعض المراوح الصغيرة تولد طاقة أكبر من بعض المراوح الكبيرة، وهذا يتبع تصميم المولد الكهربائي المرتبط بالطاحونة الهوائية.

العوامل المؤثرة في استخلاص الطاقة من الرياح

قبل ذكر العوامل يستحسن مناقشة السؤالين التاليين:

— ما هي المسافة الدنيا المطلوبة بين الطواحين الهوائية لتركيب مجموعة منها؟

— كم مترا مربعا من الأرض لكل متر مربع من الهواء مطلوب لعمل الطاحونة الهوائية بصورة فعالة.

عند مناقشة السؤال الأول فان ما نتحدث عنه هو أنه في حالة وجود طاحونة هوائية خلف أو بجانب طاحونة أخرى فان ذلك يعني أن الرياح الساقطة على الطاحونة الثانية تكون ذات فعالية أقل، لأن معظم الطاقة الكامنة فيها قد استخلصت نتيجة سقوطها على الطاحونة الأولى. والاجابة على السؤال الثاني ليس بالسهل لعدم توفر المعلومات والقياسات المبدئية لسرعة الرياح مع اختلاف ارتفاع الطاحونة الهوائية عن سطح الأرض، ولضمان عمل الطاحونة بصورة فعالة يتوجب أن تقام ابراج تثبت عليها الطواحين الهوائية، بحيث تكون بعيدة عن أي عائق يحد من سرعة الرياح بالاضافة الى ترك مسافة بين الطواحين الهوائية، بحيث لا تتأثر سرعة الرياح أثناء هبوبها في منطقة الطواحين. أما العوامل المؤثرة على استخلاص الطاقة من الرياح فهي:

— استمرار وديمومة هبوب الرياح أو عدمه.

— اختلاف سرعة الرياح تبعا للوقت حيث أنها تزداد وتتناقص خلال الشهر واليوم والساعة والدقيقة.

— الغبار والأتربة الموجودة في الهواء تؤثر على المراوح وبالتالي تقلل من فعاليتها وحسن أدائها.

— الموقع: يستوجب البحث عن مناطق مرتفعة وبعيدة عن أي عوائق طبيعية أو غير طبيعية مما يحد من سرعة الرياح التي تهب على الطاحونة الهوائية. كذلك يجب أن لا تكون في طريق وسائل النقل الجوي أو تكون بالقرب من تجمع الطيور مما يؤدي الى ارتطامها بها. ويجب أن تكون بعيدة عن المناطق السكنية حتى لا تتأثر نتيجة الضوضاء التي تحدث عند دوران المحرك.

— التكاليف الداخلة في انشاء وتثبيت الابراج والحوامل لأجهزة تحويل طاقة الرياح.

وأخيرا لقد دلت القياسات الميدانية التي أجريت لقياس سرعة واتجاه الرياح في بعض المناطق في المملكة على إمكانية تشييد الطواحين الهوائية والتي تعرف بأنظمة تحويل طاقة الرياح □



بقلم: د. أحمد جمال العمري / جدة

هو أبو الثناء، شهاب الدين، السيد محمود أفندي الألوسي البغدادي. ولد في سنة ١٢١٧هـ، في جانب الكرخ من بغداد. وكان — رحمه الله — شيخ العلماء في العراق، جمع كثيرا من العلوم، حتى أصبح علاّمة في المنقول والمعقول، فهّامة في الفروع والأصول، ومفسرا لكتاب الله الكريم. أخذ العلم عن فحول العلماء في عصره، وكان عالما باختلاف المذاهب، مطلعا على الملل والنحل، سلفي الاعتقاد، شافعي المذهب، وكان يميل الى آراء الإمام أبي حنيفة النعمان. وقد توفي سنة ١٢٧٠هـ، ودفن مع أهله في مقبرة الشيخ معروف الكرخي.



خلف الألوسي ثروة علمية كبيرة منها:

* «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني».
* «حاشيته على القطر»، كتب منها الى موضع الحال، وقد أتمها — بعد وفاته — ابنه نعمان الألوسي.
* «شرح السلم في المنطق».
* «الاجوبة العراقية على الاسئلة الايرانية».
* «درة الغواص في أوهام الخواص».
* «النفحات القدسية».
* «الفوائد السنية في علم آداب البحث».

منهجه في التفسير

يقول العارفون بفضله: ان تفسير الألوسي «روح المعاني» قد أفرغ فيه الرجل علمه، وبذل جهده، حتى أخرجه للناس كتابا جامعا لآراء السلف، رواية ودراية، مشتملا على أقوال الخلف بكل أمانة وعناية، فهو جامع لخلاصة كل ما سبقه من التفاسير، فنراه ينقل عن تفسير ابن عطية، وتفسير أبي حيان، وتفسير الزمخشري، وتفسير ابي السعود، وتفسير البيضاوي، وتفسير الفخر

الرازي، وغيرها من كتب التفسير المعتبرة.. وبذلك كان منهجه تكامليا انتخابيا يجمع فيه من كل تفسير بطرف..

فهو اذا نقل عن تفسير ابي السعود يقول: قال شيخ الاسلام.

واذا نقل عن تفسير البيضاوي يقول: قال القاضي.

واذا نقل عن تفسير الفخر الرازي، يقول: قال الامام.

وهو اذ ينقل عن هذه التفاسير، ينصِّب نفسه حكما عدلا بينها، ويجعل من نفسه نقَّادا مدققا، ثم يبدي رأيه حرا فيما ينقل، فتراه كثيرا ما يعترض على ما ينقله عن أبي السعود، أو عن البيضاوي، أو عن أبي حيان، أو عن غيرهم. كما نراه يتعقب الفخر الرازي في كثير من المسائل، ويرد عليه، على الخصوص، في بعض المسائل الفقهية، انتصارا منه لمذهب ابي حنيفة، ثم انه اذا استصوب رأيا لبعض من ينقل عنهم، انتصر له ورجحه على ما عداه.

وللألوسي مواقف رائعة ضد المخالفين لأهل السنة، ذلك أنه سلفي المذهب، سني العقيدة، ولهذا نراه كثيرا ما يتصدى لآراء المعتزلة، والشيعة والخوارج، وغيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهبه. فهو عند تفسيره لقول الحق سبحانه: ﴿**الله يستهزيء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون**﴾ (البقرة ١٥) يقول بعد كلام طويل: «وإضافته — أي الطغيان — اليهم، لأنه فعلهم الصادر منهم، وبقدرهم المؤثرة باذن الله تعالى، فالاختصاص المشعرة به الاضافة، إنما هو بهذا الاعتبار، لا باعتبار المحلية والاتصاف، فانه معلوم لا حاجة فيه الى الاضافة، ولا باعتبار الايجاد استقلالا من غير توقف على اذن الفعال لما يريد، فانه اعتبار عليه غبار، بل غبار ليس له اعتبار، فلا تُهَوِّلَنَّك جعجعة الزمخشري وقعقعته.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة، ولهم عذاب عظيم**﴾ (البقرة ٧). نجده يطيل بما لا يتسع لذكره المقام هنا، من بيان اسناد الختم اليه، عز وجل، على مذهب أهل السنة، ومن ذكر ما ذهب اليه المعتزلة في هذه الآية، وما رد به عليهم، وفنَّد به تأويلهم الذي يتفق مع مذهبهم الاعتزالي[٢].

وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضُّوا اليها وتركوك قائما، قل: ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة، والله خير الرازقين**﴾ (الجمعة ١١).

يقول: وطعن الشيعة لهذه الآية الصحابة — رضي الله تعالى عنهم — بأنهم آثروا دنياهم على آخرتهم، حيث انفضوا الى اللهو والتجارة، ورغبوا عن الصلاة التي هي عماد الدين، وأفضل من كثير من العبادات، لا سيما مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وروي أن ذلك قد وقع مرارا منهم، وفيه أن كبار الصحابة، كأبي بكر، وعمر، وسائر العشرة المبشرين لم ينفضُّوا، والقصة كانت في أوائل زمن الهجرة، ولم يكن أكثر القوم تام التحلي بحلية آداب الشريعة بعد، وكان قد أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر، فخاف أولئك المنفضون اشتداد الأمر عليهم بشراء غيرهم ما يقتات به لو لم ينفضوا، ولذا لم يتوعدهم الله على ذلك بالنار ونحوها، بل قصارى ما فعل — سبحانه — أنه عاتبهم ووعظهم، ونصحهم. ورواية أن ذلك وقع منهم مرارا — إن أريد بها رواية البيهقي في «شعب الايمان عن مقاتل بن حيان»، انه قال: بلغني — والله تعالى أعلم — أنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات.. فمثل ذلك لا يُلتفت اليه، ولا يعوَّل عند المحدثين عليه، وإن أريد بها غيرها فليبين وليثبت صحته، وأنّى بذلك؟ وبالجملة: الطعن بجميع الصحابة لهذه القصة التي كانت من بعضهم في أوائل أمرهم سفه ظاهر وجهل وافر[٣].

اهتمامه بالمسائل الكونية

والباحث المدقق في «روح المعاني»، يلاحظ أن الالوسي يستطرد الى الكلام في الأمور الكونية، ويذكر كلام أهل الهيئة، وأهل الحكمة، ويقرُّ منه ما يرتضيه، ويفنِّد ما لا يرضيه، واذا أردنا مثالا على ذلك، فلننظر الى تفسيره لقوله تعالى: ﴿**والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، وكل في فلك يَسبَحُون**﴾[٤] (يس ٣٨ — ٤٠).

اهتمامه بالمسائل النحوية

ومن خلال تفسيره نرى أن الرجل يهتم اهتماما كبيرا بالمسائل النحوية، ويتوسع في ذلك أحيانا الى حد يكاد يخرج به عن وصف كونه مفسرا. ونظرة فاحصة في «روح المعاني» نجد أنه لا يكاد يخلو موضع من ذلك.

توسعه في المسائل الفقهية

نجد الالوسي يفرد للمسائل الفقهية حيزا كبيرا خاصة اذا تكلم عن الآيات التي تتصل بالأحكام، فهو لا يمر عليها الا اذا استوفى مذاهب الفقهاء، وأدلتهم مع عدم التعصب لمذهب

(١) روح المعاني ج/١ ص/١٦٠.
(٢) روح المعاني ج/١ ص/١٣١ — ١٣٤.
(٣) روح المعاني ج/٨ ص/٩٤.
(٤) انظر روح المعاني ج/٢٣ ص/١١ وما بعدها.

بعينه. فمثلا عند تفسيره لقول الحق ــ تبارك وتعالى: ﴿ **ومتعوهن على الموسع قَدَرُه وعلى المقتر قَدَرُه متاعا بالمعروف حقا على المحسنين** ﴾ (البقرة ٢٣٦). يقول ما نصه:

«وقال الأمام مالك: المحسنون المتطوعون، وبذلك استدل على استحباب المتعة وجعله قرينة صارفة للأمر الى الندب، وعندنا ــ هي واجبة للمطلقات في الآية، مستحبة لسائر المطلقات. وعند الشافعي، رضي الله عنه، في أحد قوليه: هي واجبة لكل زوجة مطلقة اذا كان الفراق من قبل الزوج إلا التي سمى لها وطلقت قبل الدخول. ولما لم يساعده مفهوم الآية، ولم يعتبر العموم في قوله تعالى: ﴿ **وللمطلقات متاع بالمعروف** ﴾ لأنه يحمل المطلق على المقيد. قال بالقياس: وجعله مقدما على المفهوم، لأنه من الحجج القطعية دونه.

وأجيب عما قاله مالك، بمنع القصر المحسن على المتطوع، بل هو أعم منه ومن القائم بالواجبات، فلا ينافي الوجوب، فلا يكون صارفا للأمر عنه مع ما انضم اليه من لفظه حقا»[٥]

وخير دليل على عدم تعصب الألوسي لمذهب بعينه، البحث الذي أفاض فيه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء** ﴾ (البقرة ٢٢٨) حيث نجده ــ بعد أن يذكر مذهب الشافعية، ومذهب الحنفية، وأدلة كل منهم، ومناقشاتهم يقول:

«وبالجملة، كلام الشافعية في هذا المقام قوي، كما لا يخفى على من أحاط بأطراف كلامهم، واستقرأ ما قالوه، تأمل ما دفعوا به من أدلة مخالفيهم»[٦].

حرصه على ابراز الاسرائيليات ونقدها

والألوسي حريص على تبيين الاسرائيليات، شديد النقد لها، موضحا ومفندا للأخبار المكذوبة، التي ملأ بها كثير من المفسرين تفاسيرهم، وظنوا أنها صحيحة، مع السخرية منهم أحيانا.. فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ **ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا** ﴾ (المائدة ١٢).. نجده يقص علينا قصة عجيبة عن عوج بن عنق، يرويها عن البغوي، ولكنه بعد أن ينتهي من سردها يقول:

«وأقول.. قد شاع أمر عوج عند العامة، ونقلوا فيه حكايات شنيعة، وفي فتاوي العلامة ابن حجر، قال الحافظ العماد بن كثير: قصة عوج وجميع ما يحكون عنه، هذيان لا أصل له، وهو من مختلقات أهل الكتاب، ولم يكن قط على عهد نوح، عليه السلام، ولم يسلم من الكفار أحد. وقال ابن القيم: من الأمور التي يعرف بها كون الحديث موضوعا، ان يكون مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه، كحديث عوج بن عنق، وليس العجب من جرأة من وضع هذا الحديث وكذب على الله تعالى، انما العجب ممن يدخل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير وغيره، ولا يبين أمره. ثم قال: ولا ريب أن هذا وأمثاله من صنع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام واتباعهم.»

ثم مضى الألوسي في تفنيد هذه القصة بما حكاه عن غير من تقدم من العلماء الذين استنكروا هذه القصة الخرافية[٧].

وعند تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿ **ويصنع الفلك وكلما مرَّ عليه ملأ من قومه سخروا منه** ﴾ (هود ٣٨). نجده يروي أخبارا كثيرة عن نوع الخشب الذي صنعت منه السفينة، وفي مقدار طولها وعرضها وارتفاعها، وفي المكان الذي صنعت فيه، ثم يعقب على كل ذلك بقوله:

«وسفينة الاخبار في تحقيق الحال فيما أرى لا تصلح للركوب فيها، اذ هي غير سالمة عن عيب، فالحري بحال من لا يميل الى الفضول، ان يؤمن بأنه، عليه السلام، صنع الفلك حسبما قص الله تعالى في كتابه، ولا يخوض في مقدار طولها وعرضها وارتفاعها، ومن أي خشب صنعها، وبكم مدة أتم عملها، الى غير ذلك مما لم يشرحه الكتاب، ولم تبينه السنة الصحيحة»[٨].

تعرضه للقراءات والمناسبات وأسباب النزول

والألوسي في تفسيره ــ روح المعاني ــ كثيرا ما يعرض لذكر القراءات، ولكنه لا يتقيد بالمتواتر منها، كما أنه يعنى بإظهار وجه المناسبات بين السور، كما يعنى بذكر المناسبات بين الآيات، ويذكر أسباب النزول للآيات، التي انزلت على سبب، وهو كثير الاستشهاد بأشعار العرب على ما يذهب اليه من المعاني اللغوية.

وجملة

القول: فروح المعاني للألوسي ليس الا موسوعة تفسيرية قيمة، جمعت جل ما قاله علماء التفسير الذين تقدموا عليه، مع النقد الحر، والترجيح الذي يعتمد على قوة الذهن، وصفاء القريحة، وهو وإن كان يستطرد الى نواح علمية مختلفة، مع توسع يكاد يخرجه عن مهمته كمفسر، إلا أنه متزن في كل ما يتكلم فيه، مما يشهد له بغزارة العلم على اختلاف نواحيه، وشمول الاحاطة بكل ما يتكلم فيه □

(٥) «روح المعاني» ج/٢ ص/١٥٤.
(٦) «روح المعاني» ج/٢ ص/١٣٠.
(٧) انظر تفسيره ج/٦ ص/٨٦.
(٨) «روح المعاني» ج/٢ ص/٤٥.



القافلة و (٣٥) سنة

بقلم: الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين / جدة

مجلتنا الفتاة «القافلة» أكبر الظن أنها ما تزال، بحق، في ميعة الصبا، فخمسة وثلاثون ربيعا عمر.. وان كان حافلا، فما زال هذا السن أو العمر في مرحلة الصباء وشاهدي شيخ المعرة.. الذي يقول:

وما بعد مر الخمس عشرة من صبا
ولا بعد مر الأربعين صباء

هذا العمر المديد للقافلة.. خليق بوقفة متأنية، وقد لا تتاح هذه الوقفة لمثلي كما ينبغي، ولعلي أقدم المامة عن «القافلة» فيها غنى.

لقد تعاقب على تحريرها بعض الزملاء والأصدقاء خلال رحلتها الحافلة بما قدمت للقارىء، ورغم أنها مجلة للعاملين في الزيت.. منذ بدأت «ارامكو» حتى اليوم. غير أن مسلك المجلة لم يتغير، فهي تتبع سياسة ثابتة.. أشبه بالرواسي، وكنت أريد أن اشبهها بالبنوك ونظامها، ولكني أدركت أن المصارف.. تدركها الهزات، وأنا أريد أن أمسك «الخشب».. وانا أتحدث عن قافلتنا والمحافظة التي تعيشها.. خلال هذه الحقبة من الزمن، لأنها التزمت سياسة حيادية.. ومحايدة، لا تتزحزح عنها ولا تحيد، وهو مسلك مريح.. بالنسبة الى الذين يديرون المجلة.. ادارة وتحريرا، لا يريدون دوارا يزعجهم، ولا وقت لموظف في شركة أو مؤسسة.. يشغل بعناء مسؤولية النشر وعقابيله وهمومه.

قد أكون مع هذا الاتجاه بنسبة ما، اوافق على المبدأ، ولكني لا أبالغ في التحفظ الى الحد الذي امارس به سلطتي، فأضيق الخناق على الكلمة الأدبية الناقدة من فرط الحساسية والتخوف المفرط كذلك، فالاعتدال مطلب اساسي في الحياة، والرأي المعتدل بالرأي المماثل.

أنا واثق.. أنني حين أكتب الى القافلة اليوم، وهي تطفيء خمسا وثلاثين شمعة. في ليلة جديدة وزفاف جديد، أو تجديد زفاف واحتفاء به، لبث الروح المعنوية، ولتجديد أيام الذكريات والحب في ميعة الصبا. المجلة لا تريد مني ولا تنتظر أن أقول غير الحق، وهي ليست في حاجة الى اطراء.

للحق.. ان منهاج التعامل كريم من جانب المجلة.. خلال رحلتها، وهو اليوم أفضل من الأمس، أدبا وخلق تعامل عاليين، لا أريد أن أمدح الأخ عبدالله حسين وأسرة التحرير.. ولكن هذا الذي ألمسه عند كل لقاء، ونحن نادرا ما نلتقي، وعند اللقاء.. اجد الالحاح والرجاء في الاسهام بالكتابة، وأنا لا أنكر على رئيس التحرير ذلك، فأنا مارست هذا من قبل في عهود ثلاث: الأضواء والرائد والعدد الاسبوعي من عكاظ[1].

والحق ان الكاتبين مقصرون.. مع القافلة ومع غير القافلة، وان دفع بعضنا هذا التقصير باعذار لا تحد، الا أنه يظل تقصيرا، وتلجأ المجلة الى المحاولات.. حتى يدركها الاملال.. من عدم الاستجابة. ومجلتنا رصينة.. محافظة في مسارها الواضح السليم، جميلة طباعة واخراجا وتنسيقا ملتزمة بزيها وابوابها لا تجنح الى التقلبات في تغيير ابوابها، وإنما هي ملتزمة، والالتزام مريح ومجد.

وسرني أخيرا.. أنها أخذت تقدم دراسات في كل عدد عن اعلامنا وادبائنا المحليين.. بتتبع ودقة، وهذه خطوة نحمدها لها، لأنها جديرة بالاهتمام. والقافلة في أبوابها.. متنوعة الموضوعات، أدبية ودينية وعلمية، الى جانب الابواب الثابتة الطبية، وأخبار الزيت، والجديد في الحياة الحافلة بالمتغيرات. كما حافظت على جودة ورقها الصقيل وتلوينها واخراجها منذ بدايتها المبكرة.

ما عسى أن يقول أب لابنته.. وقد جاوزت شرخ الشباب فبلغت أشدها، أو ماذا يقول عنها، سوى أن يدعو لها بمزيد من النجاح والسداد، ومزيد من الرقي والازدهار. وقد لا يكفي هذا في منطق الواقع، بل لا بد أن يشد من عضدها.. ويقف معها، ويدعو الآخرين القادرين الى مثل ذلك، اتباعا لذلك التوجيه الكريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعينيني على دعائي بكثرة السجود».

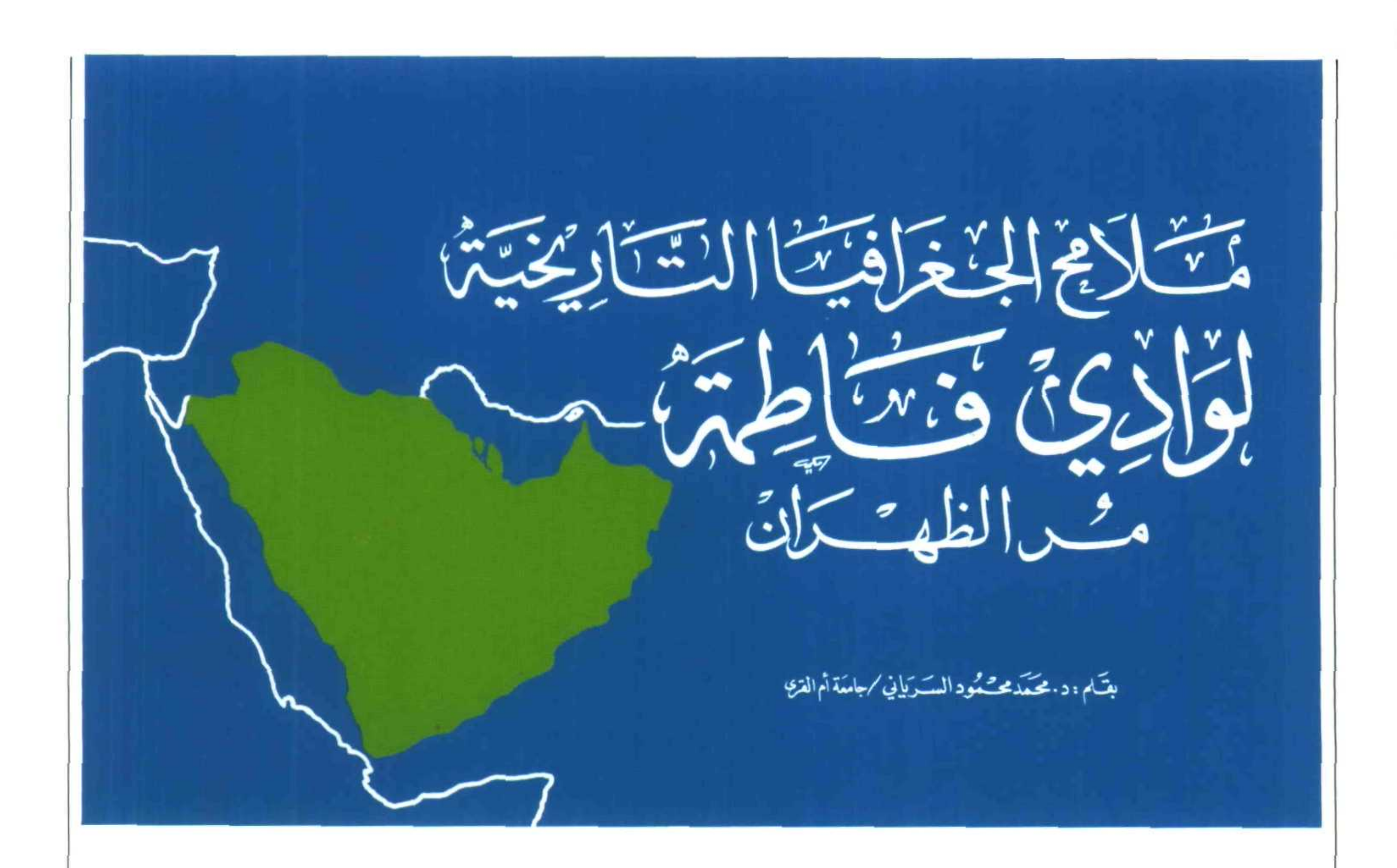
إن أكثر من ثلث قرن في عمر مجلة ثقافية.. من غير عثرات —والحمد لله— يعد نجاحا، يستحق وساما على صدر من يديرها ويلتزم بهذه السياسة الثابتة، فلا تجرفه التيارات، ولا يتحول عن الخطة المرسومة لهذه المطبوعة، وهذا ما حفظ لها البعد عن الاعاصير. غير أني أقول: انني لا أحب الجمود لهذه المطبوعة.. وسواها، لأن الحياة تتغير وتتطور، وان كانت مخصصة —أعني المجلة— لقطاع العاملين في الزيت.. فهم وقطاع آخر يتابع تطور الحياة من حوله، ويريد أن ينعكس ذلك.. في الوسيلة التي تخصه، فيجد فيها ما يريد أو بعض ما يريد. والمجلة فاعلة ان شاء الله ذلك، لأنها تهدف الى التثقيف والافادة من اصدارها، فهي ليست عبثا.. ولكنها وسيلة تنقل وتخدم وتقدم المعرفة الى ذويها.

ومهما يكن من شيء، فاني أهنيء «القافلة» وأسرتها الفاضلة ومن سبقها في سني البداية.. ثم بقية المراحل، حتى قطعت هذا الشوط الناضج من حياتها.. في خطواتها المتتابعة، فهي قد بدأت في ظروف مبكرة.. بالقياس الى حياتنا الصحافية، ولكنها بداية مدروسة ومبرمجة.. مع غيرها من برامج التوعية والتثقيف والترفيه في ارامكو.

مزيد من التهاني لقافلتنا الجادة في المسير نحو المعرفة، ومزيد من الانتشار والتوفيق. مع خالص التحية لأسرة تحريرها وادارتها، وكذلك كاتبيها الأوفياء، فهم حقيقون بالتهنئة والتقدير، لأن وقفاتهم مع «القافلة» تستحق الشكر، فهم ذبالتها التي يوقدها زيتها، فكانا معا.. هذا الابصار المضيء على طريق الكلمة الجميلة المنمقة.. والهادية والموجهة —بكسر الجيم— في سمت رفيق والتزام مسلك سوي.. مزيد من التهاني والتبريكات، والله المستعان □

---

١ — صحف كنت أشارك فيها واصدرها الى ١٣٩٩هـ في جدة.



تسمية الوادي

لهذا الوادي أسماء عديدة أهمها وادي فاطمة، وادي مر، وادي الشريف[1]. ويحلو للبعض أن يسميه الوادي الأخضر[2] لكثرة مزروعاته، كما أطلق عليه بعضهم اسم الوادي الأحمر نظرا لتوفر خامات الحديد في بعض نواحيه[3]. غير أن الدارج من هذه الأسماء هو وادي فاطمة، وهي تسمية لا تطلق على جميع الوادي وإنما على جزءه الأدنى فقط. «فاذا وصل الوادي عين (أبو حصاني) — حيث آبار العين العزيزية — سمي وادي فاطمة عند الحاضرة ووادي الشريف عند البادية»[4]. وقد خاض الكثيرون في سبب تسميته بهذا الاسم، فمن قائل ان هذا الوادي كان لفاطمة الزهراء[5]. وهذا القول لا تؤيده الحقائق التاريخية

(١) عبدالله علي عبدالحميد الحسيني — مر الظهران «وادي فاطمة» العرب، ج/٤، السنة السادسة ص/٢٥٥.

(٢) هي تسمية أطلقها على الوادي بعض رجالات الصحافة (انظر المرجع السابق — نفس الصفحة).

(٣) تسمية أطلقها أحد طلبة كلية العلوم في مقال نشره عام ١٣٨٣هـ وذلك لما يوجد به من مناجم الحديد في جبلي ضاف ومكسر وغيرهما مثل الشميشي وسدر (انظر المرجع السابق — نفس الصفحة).

(٤) عاتق البلادي — أودية مكة المكرمة — المنهل، ج/٤، السنة ٣٨، المجلد ٣٣، ١٣٩٢هـ ص/٤٥٥.

(٥) الجزيري — درر الفوائد — ص/٥٦٥ نقلا عن حمد الجاسر — العرب — ج/١، السنة الثامنة، ص/٤٥ — ٤٦، وانظر ايضا عبدالله علي عبدالحميد — مرجع سابق).

فالمعروف أن فاطمة الزهراء لم تقم في هذا الوادي. وآخرون يقولون ان هذا الوادي هو وادي الأشراف أبناء فاطمة الزهراء، فكان يقال وادي أبناء فاطمة، فحذفت كلمة أبناء وبقيت وادي فاطمة. وكما يقول عبدالله عبدالحميد الحسيني أن هذا تعليل غير كاف لأنه يعتمد على الناحية اللفظية فقط.

وقد أورد الاستاذ عبدالعزيز الرفاعي رواية يعزو فيها سبب التسمية الى السيدة فاطمة الطبري وهي عالمة محدثة من أسرة كانت تقيم بمكة المكرمة. وكانت هذه المحدثة تقضي أياما في وادي مر في مزرعة لها. وان ذلك الوادي — على مرور الأيام — عرف بها فأطلق عليه وادي فاطمة[6].

ويشير الاستاذ حمد الجاسر في معرض تعقيبه على هذه الرواية الى فاطمة بنت الشريف أمير مكة ثقبة بن رميثة التي كانت كثيرة الرئاسة والحشمة واليسار ملكت عقارا كثيرا جدا بوادي مر وغيره.. وكانت تقري الأضياف وتكرمهم، وتحسن الى النازلين عندها. وقد توفيت في ٢٨ رمضان سنة ٨٢٧هـ ودفنت بالمعلاة ولم تخلف بعدها مثلها في الرئاسة والحشمة[7].

(٦) عبدالعزيز الرفاعي — العرب — ج/٨، السنة السادسة، ص/٦٧٢.

(٧) حمد الجاسر — العرب — ج/٨، السنة السادسة ص/٦٧٢ نقلا عن كتب العقد الثمين ٨/٢٧٨.

ويذكر الاستاذ الحسيني فاطمتين أخريين احداهما فاطمة بنت سعد الخزاعية التي هي أم قصي ابن كلاب أحد أجداد الرسول صلى الله عليه وسلم، والأخرى فاطمة الخزاعية — وينفي أن تكون نسبة الوادي للأولى بحجة أنه لو كان ذلك صحيحا لورد الاسم في المراجع القديمة لا سيما وأن التسمية حديثة عهد لم ترد في المصادر التاريخية الا في وقت متأخر. بينما يرجح الاستاذ الحسيني أن تكون الخزاعية الثانية هي التي نسب اليها الوادي بحجة أن خزاعة هي من أقدم القبائل التي سكنت هذا الوادي واستوطنته ولا تزال باقية في احدى قراه. وهذا لا يمنع كما يقول الحسيني من أنه برزت احدى فواطم هذه القبيلة في الجاه أو الثروة أو الجمال او الشجاعة فنسب هذا الوادي اليها[(٨)].

واذا استبعدنا فاطمة الزهراء ابنة الرسول الكريم وفاطمة بنت سعد ام قصي بن كلاب بقي لدينا ثلاث فواطم هن فاطمة الطبري وفاطمة بنت الشريف ثقبة وفاطمة الخزاعية وليس بين أيدينا ما يرجح واحدة على الأخرى. فالثلاث فواطم والثلاث ملكن عقارا في الوادي ويبدو أن الثلاث كن على جانب كبير من الشهرة والصيت. غير أن أكثرهن شهرة على ما يبدو هي فاطمة بنت الشريف ثقبة بن رميثة. فهي أبنة امير مكة ثقبة بن رميثة (ت — ٧٦٢هـ) كان قد تزوجها الشريف أحمد ابن عجلان أمير مكة (ت — ٧٨٨هـ) ومات عنها فتزوجها الشريف علي بن عجلان ومات عنها (ت — ٧٩٧هـ) فتزوجها الشريف حسن بن عجلان. وقد تولى هؤلاء الثلاثة امارة مكة وكان موطنهم قبل تولي الامارة في هذا الوادي وربما يكون في هذه الشهرة التي تمتعت بها هذه المرأة التي هي ابنة أمير مكة زوجة ثلاثة من أمراء مكة وأم لأمير رابع، وهي من الأشراف سكان الوادي وقضت شطرا كبيرا من حياتها فيه ما يجعلنا نميل الى الاعتقاد بأنها ربما تكون هي التي اعطت هذا الوادي اسمه الحالي — وادي فاطمة —.

ويلقي الاستاذ عاتق البلادي الضوء على سبب تسميته بوادي الشريف فيقول ان الشريف أبا نمي الذي ولي مكة ستين سنة (٩٣٢ — ٩٩٢هـ) قد امتلك جل وادي مر الظهران. فخلف ثلاثة أبناء منهم الشريف بركات، جد الأشراف ذوي بركات وأن نصيب بركات كان من (الدخان) الى حداء. ولهذا سمته البادية بوادي الشريف، ولا يزال جل هذا الوادي عند الاشراف ذوي حسن وذوي عبدالكريم وهما أبناء بركات[(٩)].

(٨) عبدالله علي عبدالحميد الحسيني — مرجع سابق.

(٩) عاتق البلادي — أودية مكة المكرمة — مرجع سابق.

2. Wohaibi, Hijaz in the writtings of the Arab Geographers P.P. 151-156.

وانظر أيضا:

ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص/١٣١، ابن رسته: الاعلاق النفيسة ص/١٧٨ والمسعودي: التنبيه والاشراف ص/٢٩٤، المقدسي: أحسن التقاسيم ص/١٠٥، اليعقوبي: البلدان ص/٣١٣، ٣١٦، ٣٤١.

3. Wohaibi, op. cit/p. 152.

أما الأسماء القديمة التي وردت لهذا الوادي فهي (مر الظهران)، (بطن مر) و(وادي مر) و(مر)، فقد أورد الدكتور الوهيبي أن ابن خرداذبة وابن رسته وقدامة والمسعودي والمقدسي والادريسي ذكروا المنطقة باسم (بطن مر) وتحدث عنها اليعقوبي تارة باسم مر الظهران، وأخرى باسم بطن مر[(١٠)].

ويفرق عرام بن الأصبغ بين (مر الظهران) و(مر) فيقول أن (مر) هو القرية وأن الظهران هو الوادي. ويصف (مر) بأن به عيونا كبيرة ونخلا وجميزا وهو لأسلم وهذيل وغاضرة. ويتابعه على ذلك ناصر خسرو[(١١)]. والبكري وياقوت[(١٢)] اللذان يؤكدان أن (الظهران) هو الوادي و(مر) هي القرية. ويضيف ياقوت أن القرية تضاف الى الوادي فيقال (مر الظهران).

وعند وصفه لمر يقول الاستاذ عاتق البلادي[(١٣)]: المرات في الحجاز ثلاثة (مر الظهران) وهو واد قلما يوجد في أودية الحجاز مثله خصوبة ومياها وكثافة سكان، و(مر) آخر من روافد الأول يصب في مر الظهران بعد اجتماع النخلتين (رافدان يتكون منهما الوادي وهما نخلة الشامية ونخلة اليمانية). و(مر) وادي رابغ وكان يسمى (مر عنيب).

الجغرافيا التاريخية للوادي

لقد كان مر الظهران مرعى للعماليق الذين كانوا يستوطنون مكة[(١٤)]، قبل قدوم قبيلة خزاعة الى هذا الوادي من اليمن، عقب حادث سيل العرم. وتعتبر قبيلة خزاعة الأزدية اليمانية[(١٥)] من أوائل من استوطن في هذا الوادي، ولما قويت شوكتها فيه استولت على مكة واستوطنتها بعد أن قضت على قبيلة جرهم ونفتها من مكة.

غير أن هذه القبيلة عادت في حالة جزر الى مر الظهران أيام قصي بن كلاب، حيث بقيت في الوادي الى أن جاء الاسلام. وكان يجاورها في الوادي قبل الاسلام قبائل بني بكر وهذيل. أي أن الوادي كانت تسكنه ثلاث قبائل: هذيل في صدره شرقا، وخزاعة في وسطه، وكنانة في أسفله غربا[(١٦)].

(١٠) معجم ما استعجم ص/٧٨٧ ومعجم البلدان

(١١) معالم مكة التاريخية والأثرية ص/٢٥٨.

(١٢) الأزرقي: أخبار مكة ص/٨٨.

(١٣) نفس المصدر ص/٩٤.

(١٤) عاتق البلادي: مرجع سابق، ص/٢٦٢.

(١٥) ذكر الاستاذ حمد الجاسر نقلا عن ياقوت ان العزى كانت بواد من نخلة الشامية يقال له حراض بازاء الغمير عن يمين المصعد من مكة الى العراق (أنظر مجلة العرب ج/١٠، السنة السابعة ص/٧٤٧) ويذكر الجاسر أيضا في عدد آخر من مجلته الغراء (العرب ج/١، السنة الثامنة ص/٣٩) عند حديثه عن نخلة الشامية نقلا عن معجم البلدان أيضا برواية ابن الكلبي ان اللات كانت بواد من أودية نخلة الشامية يقال له حراض. وقد حدد نفس المكان الذي حدده للعزى.

(١٦) هي سوق للعرب في الجاهلية كانت تقوم في العشر الأواخر من ذي القعدة. كانت مجنة بمر الظهران، وقد اختلف الباحثون في موقعها فبعضهم يقول أنها الجموم والبعض الآخر يرجح بلدة بحرة. كما قال بعضهم أنها بئر الأطوي. (أنظر عاتق البلادي: معالم مكة التاريخية والأثرية ص/٢٤٥ — ٢٤٧).

لقد كان الوادي محطة عبور لقوافل التجارة قبل الاسلام، ثم أصبح محطة لقوافل التجارة والحجيج بعد الاسلام. وقد شهد الوادي احداثا هامة في تاريخ العرب والاسلام. فمن هذا الوادي مر صاحب الفيل في طريقه لهدم الكعبة. وفي هذا الوادي لقيه عبدالمطلب. وفي أعالي هذا الوادي بنخلة كان صنم العزى[١٧]، وفيه كان يعقد سوق مجنة[١٨]. ومر به الرسول الكريم عندما كان يعمل في التجارة قاصدا الشام، ومر به مهاجرا الى يثرب، كما مر به في عمرة القضاء، وعقد بالقرب منه صلح الحديبية. وبه أقام صلى الله عليه وسلم مع جيشه في طريقه الى مكة في الليلة التي فتح مكة في صبيحتها[١٩]. وهناك جيىء له بأبي سفيان بن حرب[٢٠]، كما مر به في حجة الوداع. وفي أعالي الوادي بنخلة قتل عامر بن الحضرمي[٢١] ومن أجله كانت بدر، كما عسكرت في أعالي الوادي بنخلة أيضا قبيلة هوازن يوم حنين[٢٢].

لقد استمر الوادي طوال العهود الاسلامية طريقا لقوافل الحجيج. فمن أسفل الوادي كانت تمر قوافل الحج المصري والشامي. ومن أعاليه كانت تمر قافلة الحج العراقي، وكان بعض سكان الوادي يخفرون الحج العراقي اذا قدم بلادهم[٢٣].

لقد كان كثير من أمراء مكة يقيمون في وادي مر[٢٤]. وكذلك كان كثير من الخارجين على أمير مكة يقيمون فيه انتظارا للانقضاض على امارة مكة[٢٥]. وكانت المعارك كثيرا ما تدور في جنبات هذا الوادي بين هؤلاء وهؤلاء.

لقد كان الوادي كثير الزراعة والخصب لا يعرف الجدب لكثرة ماء العيون المنتشرة في جنباته من أعالي الوادي شرقا الى نهايته غربا. وقد زعم بعضهم أنه كان بالوادي في الأزمنة الغابرة نحو **٣٦٠** عينا دمر معظمها. ويذكر الاستاذ حسين عبدالله باسلامة (**١٢٩٩ — ١٣٦٤هـ**) **٤٤** عينا كانت باقية في عهده. ويذكر الاستاذ عاتق البلادي انه ادرك منها نيفا وثلاثين عينا[٢٦] لم يبق منها الا بضع عشرة عينا. والواقع ان معظم ما تبقى من هذه العيون قد جف نهائيا.

لقد كانت الزراعة تقوم على المصاطب الموجودة على جنبات الوادي، وهو ما يعرف بالخيوف. والخيف هو ما ارتفع عن موضع السيل من الأرض. ولقد كان من الخيوف بوادي مر ما يربو على عدد العيون الموجودة فيه. وقد ذكر الأستاذ رشدي ملحس ان مر الظهران كان به **٣٦** خيفا درس أكثرها لجفاف ماء العيون المحيطة بها. وما القرى التي سُكِنَتْ في هذا الوادي الا خيوف قامت عليها الزراعة واستوطن الناس بجانبها. وقد ذكر الاستاذ حمد الجاسر[٢٧] العديد من هذه الخيوف والتي لا نرى وجودا لها مثل خيف السلام وخيف ابي الخز. كما لا يزال بعض هذه الخيوف قائما مثل البحرين، والحميمة والريان وسروعة. وكثيرا ما كانت هذه الخيوف تدعى بأسماء أفخاذ القبائل التي تستوطنها مثل خيف بني شديد وخيف بني عمير وخيف بني راجح. وفي بعض الأحيان تكون بأسماء الأشخاص الذين يمتلكونها مثل خيف أبي الخز وخيف منصور وخيف يحيى[٢٨]. ويكفي للتدليل على أهمية الزراعة بالوادي أن الزيمة وحدها كانت تغل بخمسة آلاف دينار وفيها الموز والحناء وأنواع البقول المختلفة على ما يرويه الجاسر[٢٩].

ولقد كان لاضطراب حبل الأمن في العهود المتأخرة، بالاضافة الى الصراع العنيف الذي كان بين أمراء مكة، والذين جلهم كان يمتلك عقارا في الوادي، الأثر الأكبر في خراب كثير من الخيوف وهجر الزراعة وانسداد العيون. ولقد كان الخارجون على النظام يلتجئون الى الوادي فتكون النتيجة هي احراق أرضهم وقطع نخيلهم والاستيلاء على ممتلكاتهم.

غير انه مع استتباب الأمن في الربع الثاني من القرن الحالي توسعت الزراعة في الوادي، وأصلحت بعض الخيوف، وزاد الاعتناء بالعيون، وحفرت الآبار، وتوسعت الرقعة الزراعية. غير أن سحب المياه الى جدة ومكة قد اثر كثيرا على تقليص المساحة المزروعة نتيجة لجفاف الكثير من العيون وسحب بعضها لاغراض الشرب، الأمر الذي نجم عنه خراب الكثير من المزارع في الوادي. الا أن مشروع التحلية في جدة قد قلل من كمية الفاقد من مياه الوادي لاغراض الشرب. وباكتمال مشروع تحلية مياه الشعيبة التي ستغذي مدينة مكة المكرمة والطائف سيستغنى نهائيا عن سحب المياه من الوادي وستعود الخضرة الى ربوعه وسيزداد باذن الله تدفق مياه العيون والآبار مؤذنا بمستقبل زراعي حافل□

---

(١٧) في نفس المكان الذي اقام فيه الرسول ﷺ في مر الظهران مسجد لا تزال اطلاله باقية يسمى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ويسميه أهل المنطقة مسجد الفتح. وقد جاء في كتاب المناسك وأماكن طرق الحج والزيارة للحربي «أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر في الظهران وبجانبه بركة الماء من عين العقيق. وهو قدر رمية الحصاة من طريق الحاج. وعين العقيق هذه قد نضب ماؤها منذ زمن وهي تقع الآن شمال مركز التنمية الاجتماعية بوادي فاطمة وعلى مسافة كيلومتر واحد (انظر الحسيني — العرب ج/٤ ص/٦).

(١٨) يذكر الحسيني أن المكان الذي وقف به أبو سفيان يشاهد جنود المسلمين قاصدة مكة وهم يمرون به قبيلة بعد أخرى يعرف الآن باسم الضيق حيث يضيق الوادي جنوب شرق الجموم. وهو المنعطف الذي يأتي بعد الجسر مباشرة (انظر — العرب ج/٤، س/٦ ص/٢٥٥ وما بعدها).

(١٩) البكري — معجم ما استعجم ص/١٣٠٤.

(٢٠) الوادي الذي عسكرت فيه هوازن اسمه وادي يدعان يصب في نخلة اليمانية (أنظر حمد الجاسر العرب ج/١، س/٨، ص/٣٧ نقلا عن تاج العروس ٧٦/١٩).

(٢١) حمد الجاسر — العرب ج/١، س/٧، ص/٧٤٠، ٧٤٤.

(٢٢) نفس المرجع : ص/٧٤٥.

(٢٣) نفس المرجع : ص/٧٤١، ٧٤٥، ٧٥٠.

(٢٤) معالم مكة التاريخية والأثرية ص/٢٥٨.

(٢٥) حمد الجاسر — العرب ج/١١، س/٧، ص/٨١٧.

(٢٦) نفس المرجع ج/١٠، س/٧، ص/٧٤٣، ٧٤٩، ٧٥٠.

(٢٧) حمد الجاسر — العرب ج/١١، س/٧، ص/٨٢١.

(٢٨) نفس المرجع ج/١٠، س/٧، ص/٧٤٣، ٧٤٩، ٧٥٠.

(٢٩) حمد الجاسر — العرب ج/١١، س/٧، ص/٨٢١.

الثّراء الحقيــقي

بقلم: الأستاذ أحمد محمود مبارك / الاسكندرية



كان نشيطا على غير العادة.. نأى عن كاهله ثقل الشعور بالخمول الذي لازمه منذ احالته للمعاش.. عامان مرا كالقرون. وكيف لا!؟ وقد ظل خلال هذه الفترة ينتقل من مقهى الى مقهى محاولا قتل الملل «بالنرد» واسترجاع ذكريات الشباب الذي ولى وأيام المجد الوظيفي مع أقرانه. لكن لا المقهى ولا النرد ولا هؤلاء الذين يوارون أساهم خلف نظاراتهم الطبية السميكة، ولا حتى صفحات الجرائد التي تأتي كل يوم بغرائب الأحداث ومسلسلات التلفاز العديدة. لا هذا ولا ذاك أزاح عن كاهله ثقل الشعور بالخمول والملل.

اليوم فقط يشعر بنشاط وأمل.. يقف أمام المرآة في الصباح الباكر ليتأكد من هندامه. ذكره هذا الموقف بمثيل له منذ أربعين عاما حينما أعد أوراقه وارتدى بذلته الجديدة وخرج لمقابلة مدير الشركة التي عمل بها حينئذ كاتبا للحسابات وودعها منذ عامين وهو مدير لادارتها المالية.. الآن يحس بنبض الشباب يعود الى عروقه بعد تصلبها «يا فرج الله». انها فرصة لأقضي بها على خمول الشيخوخة ولأرفع المستوى المادي المتدهور لهذه الأسرة المسكينة. ابن عاق تزوج فور تخرجه في الجامعة واستلام وظيفته واختفى في مسكن بعيد وندرت زياراته لنا لم يساهم معي يوما في نفقات الأسرة واحتياجات اخته. اخته التي طلقت بعد عامين من زواجها وعادت اليَّ بطفلتها وآلامها دون أن تكفيها هي وطفلتها تلك النفقة الضئيلة التي يرسل بها مطلقها بعد أن نجح في خداع المحكمة واخفى مصادر ثرائه ودخله الحقيقي والأخرى طالبة الجامعة التي تزداد نفقاتها يوما بعد يوم.. يا له من ابن عاق اني اذكر انه لم يسهم معي حتى في شراء الدواء لأمه التي انهكها المرض وهي لم تزل في الخمسين من عمرها.. آه يا لك من سيدة وفية كم تحملت وتعبت من أجلنا جميعا.. أحس بخطوات زوجته الوانية تقترب منه. اعتدل ناحيتها. واجهته ابتسامتها. اقتربت منه وربتت على كتفه ودعت له بالتوفيق. خرج وهو يتلو بصوت خفيض «رب اشرح لي صدري ويسر لي امري».

* * *

حقيبته الجلدية القديمة بها «دوسية» يحتوي على المستندات وشهادات الخبرة الخاصة به. اخرجها بحذر وقدمها للسكرتير قائلا له بأدب:

— محمود عبدالكريم. مدير حسابات سابق. كنتم قد اعلنتم عن طلب رئيس حسابات من المحالين على المعاش وتقدمت بطلب عن طريق البريد.. ثم تلقيت خطابا يستدعي حضوري لمقابلة المسئولين بشركتكم..

ابتسم له السكرتير بود ودعاه للجلوس. وحادثه لحظات وهو يتفحص الاوراق عن طبيعة عمله السابق وخبراته ثم استأذنه للتوجه الى مكتب المدير العام.. عاد اليه بعد دقائق واخبره أن المدير العام مستعد لمقابلته.. نهض وسار بخطوات مضطربة ووقف أمام الباب مترددا ثم دخل تعتريه رجفة خفيفة.. قابلته بسمة المدير المرحبة فهدأت من رجفته. وجلس حيث دعاه المدير للجلوس.. وسادت فترة صمت اعادت اليه اضطرابه. ركز نظراته على سقف الحجرة الانيقة. محركا شفتيه بالدعاء بينما شغل المدير بالتمعن في الاوراق.

ثم فوجيء بنبرة عالية مملوءة بالدهشة تصدر من المدير

— استاذ.. استاذ محمود.. محمود عبدالكريم.. !

نظر أمامه مستطلعا في حيرة. ورأى المدير يتمعن فيه.. فتمعن هو في وجه المدير.. جحظت عيناه. عينا المدير تشعان بالود والدهشة بينما تشع عيناه هو بنظرات الدهشة المذعورة.. سنوات طويلة صحت من رقادها. وهاجمت ذاكرته فأربكته ووترت اعصابه.. فوجيء بالمدير قريبا منه. يقف بجواره مبتسما، أراد النهوض. لم تساعده قدماه المرتعدتان. ساعده المدير على النهوض وضمه الى صدره وهو يقول:

— استاذ محمود. عمي. عمي محمود انها مفاجأة سارة..

كان المدير يتكلم لكن عنف الدهشة اطاح بقدرته على متابعة كل كلامه.. لم يدر لحظات بما حوله. وجد نفسه جالسا على مقعد آخر والمدير بجانبه وشرابا مثلجا يقدم له.. كان العرق رغم الحجرة المكيفة الهواء. طال كلام المدير وطال صمته هو. ولم تدع له الدهشة التي ما زالت تسيطر عليه القدرة على التركيز والاستماع.. كل ما نفذ الى ذهنه من بين حُجُب الدهشة أن المدير أبدى ان شركته يشرفها أن تستفيد بخبرته. وان له أن يحضر لاستلام العمل بدءا من الغد وبالراتب الذي يحدده.. ثم استفسارات أخرى عن أحواله وأحوال أسرته.. وقبل خروجه من حجرة المدير الرائعة التجهيز تعلقت عيناه بلوحتين معلقتين على الحائط المكسو بالورق الملون قرأ على احداهما «وبشر الصابرين» وعلى الأخرى «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب».

* * *

تزاحمت الذكريات في رأسه قاده هجوم الذكريات ومفاجأة هذا الصباح الى الحي الذي ولد فيه ومنه تزوج وعاش مع زوجته وفيه انجب أولاده.. وظل به هنيئا سعيدا هو وأسرته الى أن تركه منذ ستة أعوام حينما أصبح مديرا عاما. انه الآن يعبر شوارعه وازقته متجها الى مسجد الشيخ القباري. الذي أمضى سنوات طويلة من عمره يصلي فيه.. كان وقت صلاة الظهر قد حان.. حدث نفسه. «كم مرة عاهدت نفسي بأن أزور الاصدقاء هنا وأصلي في مسجد القباري ولم أف. سبحان الله. هأنذا أفعل الآن ما لم يكن ببالي هذا الصباح.. تجول بعينيه.. لا أحد يعرفه من بين الجالسين في المسجد.. ترى اين الأصدقاء والجيران.. سمع صوت المؤذن،انه ليس غريبا عليه. هو الشيخ جمعة. احس براحة.. جال ببصره مرة أخرى. بعض الوجوه التي دخلت الى المسجد مع صوت المؤذن ليست غريبة عليه لكنه لا يتذكر الاسماء. لم يكونوا من الاصدقاء القريبين.. ألقى نظرة جانبية الى الوجوه الجالسة في الصف الأول في مواجهة القبلة.. كان الشيخ بكري يجلس هناك.. ترى أين انت يا شيخ بكري؟ وكيف حالك؟.. بعد الصلاة توجه مسرعا الى الشيخ جمعة. فوجيء الرجل برؤيته ومضت عيناه الكليلتان بالسعادة.. خرجا من المسجد ويداهما متشابكتان. أصر الشيخ جمعة على أن يذهب معه الى منزله.. لم يعترض ولكنه أبدى له أنه يرغب في أن يتجول في شوارع الحي ويستطلع أحوال الاصدقاء والجيران. يريد أن يرى مسكنه القديم.. افهمه الشيخ جمعة انه سيحدثه عن كل شيء.. وسيخرج معه للتجول بعد أن يتناولا طعام الغداء في منزله.

بدأ الحديث بأن عاتب الشيخ جمعة صديقه القديم على غيبته الطويلة عن الحي والأصدقاء.. ثم دار الحديث بينهما بعد تناول الغداء حول أحوال الاصدقاء والجيران.. وعبس وهو يستمع من صديقه الشيخ جمعة الى وفاة الشيخ بكري امام المسجد منذ ثلاثة أعوام ثم تبعه الى رحمة الله صديقهما الحاج محمد الطيب.. الرجل الصالح.. الذي كان يجيد تفسير آيات القرآن الكريم وحفظ الاحاديث الشريفة اجادة تامة وكان يخصص جزءا كبيرا من وقته لتعليم الناس أمور دينهم وتفقيههم في الدين. وابتسم الشيخ جمعة وهو يقول له..

— أتدري. لقد بارك الله له في ابنه. علي.. الدكتور علي.. لقد سافر ابنه الى اوروبا بعد تخرجه في الجامعة.. وفور مغادرتك الحي، وهناك نال درجة الدكتوراة في الاقتصاد. في زمن قياسي وعمل خبيرا باحدى الشركات هناك. رأيناه في جنازة والده. كان قد اخطر بمرضه فحضر بعد أن حصل على اجازة قصيرة.. واخبرنا بانه سينهي اعماله بالخارج ويعود.. والآن عاد. وأنشأ شركة كبيرة لصناعة الملابس الجاهزة.. فتح الله عليه. لأنه شاب تقي طيب من أسرة طيبة ردد كلمات صديقه وقطرات من الدموع تنساب من عينيه. وكلمات مشعة قرأها صباح اليوم تتجمع في ذاكرته «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب».

* * *

حينما عاد الى منزله مع بوادر المساء. أجلت زوجته التعبير عن قلقها لتغيبه طوال هذه الفترة. ابصرته منهكا. وأبصرت على شفتيه

ابتسامة. علمتها سنوات العشرة الطويلة مع زوجها انه كثيرا ما يبتسم امام الصعاب. فتركته الى أن أبدل ملابسه وعاد من الحمام. وطالعته بابتسامة لم تستطع اخفاء ما بها من قلق وقالت:

— كل شيء نصيب يا محمود. نحمد الله على نعمه. انت أديت واجبك. طوال عمرك تكدح. من أجلنا وآن لك أن تستريح. لست أدري لماذا تصر على العمل وانت بالمعاش الآن أترانا محتاجين الى هذه الدرجة؟

اتسعت بسمته وتمعنت في بريق السعادة بعينيه. وبدت حائرة.. ربت على كتفها وقال:

— لا تتوقعي السوء يا زوجتي العزيزة.. لقد يسرها الله. انها اخبار سارة.. ثم تحرك مسرعا الى غرفة نومه. وكأنه يلهب لهفتها.. تحركت خلفه متهللة. واكتسى وجهها بنضارة فجائية. اقتربت منه تناشده الافصاح. اجلسها بجواره وقال وعيناه سارحتان فرحتان:

— قال لي صاحب الشركة. ان الشركة يسعدها أن أعمل لديها بدءا من غد وبالمرتب الذي أحدده أنا.

نظرت في عيني زوجها كما لو كانت غير مصدقة. فاسترسل:

— وسأذهب الى الشركة غدا باذن الله. انه شاب صالح متدين مكافح صاحب هذه الشركة حينما عرفته توقعت أن يطردني ولكنه ذو أصل طيب لقد رباه والده رحمه الله تربية صالحة.

ازدادت حيرة الزوجة ولهفتها. تمتمت بكلمات غير واضحة. ازدادت بسمته اتساعا ثم قال:

— لا تتعجبي ولا تتعجلي ستعرفين الآن كل شيء. لا تحسبيني اهذي. لقد سألني عن احوالك واحوال اولادنا.. أنت تعرفينه وتعرفين عائلته.. انه الاستاذ. بل الدكتور علي الطيب، ابن صديقي الراحل الحاج محمد الطيب. جارنا القديم عليه رحمة الله.. انه صاحب الشركة ومديرها..

اتسعت عينا زوجته.. بادرها:

— لا تتعجبي هكذا. اني لا أبالغ أنا نفسي كدت أشك فيما رأيته وسمعته.. لقد عرفت اليوم كل شيء. يا له من يوم.. أعرف الآن ما يدور بذهنك.. أجل اذكر انه جاء مرارا ليخطب نوال قبل زواجها ورفضته لفقره، كان متخرجا في الجامعة، ويشغل منصبا صغيرا، لم أفكر وقتها في غير ذلك.. لم أفكر في اخلاقه وتدينه وصداقتي لوالده الصالح. وأصله الطيب، كنت موافقة وتجادلينني على ان اتراجع عن رفضي، كم قلت لي، انه شاب تقي والفقر لا يعيبه. اننا فقراء يا محمود، وهو شاب امام مستقبل ونحن نعرف أهله جيدا. ثم أن نوال موافقة عليه.. لكني كنت مشغولا بالتفكير في الآخر. رجل الأعمال. الذي اغراني بماله. وزوجتها له. ضاربا عرض الحائط باعتراضها واعتراضك وكلامك وكلام الناس عنه. ثم كانت النتيجة، انه عذبها وطلقها وقضى على مستقبلها.

كان يتكلم بعصبية شديدة، يجلس وينهض. وهي تتابعه بوجه تكسوه مشاعر عديدة متضاربة، ولكنها كانت تشفق عليه، على أعصابه في تلك اللحظات من الشعور بالندم البادي عليه.. شرعت في الكلام بصوت حنون.. لكنه قاطعها واسترسل.

— لقد ظلمته وظلمتها أسأت اليه أفهمته وأفهمت والده انه فقير. وكأنني كنت أذمه.. كم كنت قاسيا وضالا.. ابتلع والده رحمه الله اهانتي لهما ونظر اليَّ كما لو كنت رجلا غريبا عنه. أجل اني اتذكر الآن هذه النظرات.. واتذكر حديثك لي. واتذكر نظرات ابنتنا حينما ارغمتها على الزواج بمن طلقها وعذبها.. كنت. كنت كالأعمى. وقتها كنت أعمى، مغرورا، جاهلا.

قامت زوجته والدموع تملأ وجهها وضمته اليها بحنان وقالت له بصوت حان دامع خفيض.

— كل شيء نصيب يا محمود.. قم.. قم واغسل وجهك.. دع عنك هذه الذكريات.. لقد أعدت لك نوال عشاء فاخرا وثمة أمر جديد. سأحدثك عنه أنا ونوال بعد العشاء.

* * *

تناول العشاء مع زوجته وابنتيه وشعور بالبشاشة يشملهم. واسرعت الابنة الصغرى بعد العشاء متوجهة الى حجرتها للاستذكار. وبقي هو وزوجته وابنته الكبرى. ومع رشفات الشاي الذي أعد بسرعة قالت الزوجة مبتسمة:

— صباح اليوم — بعد خروجك بساعة.. زارتنا جارتنا زوجة الاستاذ سعيد. طالبة يد فاطمة لابنها محمد الذي تخرج من الجامعة في العام الماضي. قالت انه قد عين مدرسا منذ شهر ويريد أن يخطب فاطمة وينتظر حتى تتخرج في الجامعة. ويكون نفسه ماديا، ثم يتم عقد القران. كان ذلك في وجود نوال. قلت لها سأعرض الأمر على والدها وعليها. وحدثت فاطمة في الأمر بعد عودتها من الجامعة فملأت الفرحة وجهها.

أجاب وهو يقرأ نظراتهما:

— خيرا. اعلم ما تفكران فيه.. ادري انه شاب فقير وان والده رجل فقير مثلنا. وان امام هذا الشاب سنوات ليكون نفسه ماديا. المهم انه شاب عاقل صالح يعرف الله. أنا أعرفه واعرف والده. انهما من أسرة محافظة طيبة السمعة ومتدينة.. مبارك. مبارك علينا جميعا.

قال هذه العبارات ثم نظر في وجهي زوجته وابنته. وجد البشاشة ناطقة في وجه الزوجة اما ابنته فرأى في عينيها رغم وميض الفرحة نظرات عاتبة تنبعث من ماض قريب. نهض واحتضن ابنته وضمها الى صدره مرات. وهو يهمس بصوت وانٍ دامع.

— سامحيني يا نوال. سامحيني يا ابنتي. غدا يعوض الله صبرك خيرا.. كنت مخطئا في حقك وحقه. كنت أجهل معنى الثراء الحقيقي □

قوافل

على الأفق الباسم الناضر … وفوق الثرى الحالم العاطر
وملء الروابي وقد هومت … على نفحات الشذا الغامر
وبين السفوح، وفي قلبها … يرفّ شعاع الضحى السافر
تراتيم حب، عميق المدى … ترفرف كالحلم الناضر
واغرودة، فوق ثغر الحياة … ترحب، بالموكب الطاهر!

* * *

وفي المهمه القفر، حيث السراب … تضل وراء خطاه الركاب
وينتحر الورد من يأسه … على الشوك، والشوك رمز العذاب
وحيث الصحارى، بلا طعم … يلذ، ولا مورد يستطاب
وحيث الأعاصير جبارة.. … ترج الجبال، وتطوي الهضاب
هنالك حيث تموت الحياة … على لفحات الجحيم المذاب!

* * *

هنالك يزهو محيا الصباح … على نغمة الطير بين البطاح
وتبدو الجبال وفي صمتها … حنين، لدنيا الهوى والمراح
وتستيقظ البيد، مغمورة … بنفح الورود، وعطر الأقاحي
تحيي القوافل، ملء الربى … تموج، وملء السهول الفساح
ويحتضن القفر نسم حنون … يضمد بالبرء، ثغر الجراح!

* * *

وفي فلوات النفوس التي … تجوز الحياة، على العاصفة
تعيش على أمل شارد … وتمشي على لجة، راجفة
وتحيا بأحلامها، في السماء … وفي القيد لما تزل راسفة
يطل عليها شعاع التقى … فتأتلق الأنجم الكاسفة
وتمضي مع الركب، نحو الخلود … وفوق الشفاه المنى عازفة



النُّور

شعر
محمد هاشم رشيد/المدينة المنورة

وفي البلد الطاهر الأقدس — مثار الصبابة، في الأنفس
تطوف عليه رؤى الظامئين — وتمرح، في روضة السندس
وتأتي إليه وفود الحجيج — لتنهل لكن، بلا أكؤس
حقائق تحيي النفوس جميعًا — ويذكرها، كلّ من قدسي
وفجر تحوّم فيه القلوب — عرايا، ومن نوره تكتسي!

* * *

وعند المشاعر .. حيث الجلال — الرهيب، ترقرق فيه الجمال
تهيم القوافل، في عالم — بعيد عن الأرض، فذّ المثال
وتسبح في عيلم، زاخر — يعانقها باسمًا، في دلال
وتختال بين الورود الجنان — وتفترش العشب تحت الظلال
وترنو إلى الأفق اللانهائي — في أمل ضارع، وابتهال

* * *

وفي ليلة عانقتها الحياة — وتاقت إلى فجرها الكائنات
تضم الوجود، بأحلامها — وتشرق فيها المنى الحالمات
وتبسم فيها جفون النجوم — حنينًا إلى الأعين الباسمات
أطلّ الصباح على عالم — رضيّ القلوب، وضيء السمات
مضى هائمًا في ركاب السماء — بأجنحة النور، يطوي الحياة

* * *

سعيدًا .. بأضوائه المشرقة
مشيدًا .. بأنوائه المغدقة
بعيدًا .. عن الشعلة المحرقة
قويًا .. على كل ما في الحياة!!

نظرات تشريعية حول المرأة

بقلم: الأستاذ أحمد محمد جمال / مكة المكرمة

خلال حواري مع الطلاب المسلمين — في بريطانيا قبل سنوات معدودة — كان طالب باكستاني يوجه الي هذا السؤال: لماذا يدفع الرجل صداقا للمرأة عندما يريد الزواج منها؟ وهل هي سلعة تباع وتشترى بالمال؟

فأجبت الطالب السائل: ان المرأة ليست سلعة للبيع والشراء، كما أن المهر أو الصداق ليس ثمنا للزواج منها، وانما هو هدية رمزية من الخاطب لمخطوبته، كدليل للرغبة في الزواج وهو الرباط المقدس بين الزوجين.

ولا أدل على ذلك من قوله عز وجل في القرآن الكريم: ﴿**وآتوا النساء صدقاتهن نحلة**..﴾ أي عطية واجبة للمرأة كي تطيب نفسها بعشرة الزوج وقوامته عليها، ونلاحظ أن الاسلام لم يحدد للصداق حدا أدنى ولا حدا أعلى، كما أنه لم يشترط أن يكون مالا.

فقد تزوجت امرأة — في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وبعلمه — على نعلين، وتزوجت أخرى بشيء من القرآن كان يحفظه الخاطب، كما جعلت ام سليم مهرها اسلام ابي طلحة.. وقد كان كافرا عندما خطبها.

ان العشرة الزوجية بين الرجل والمرأة.. لا تقدر بثمن مهما علا أو غلا، ومهما بلغ من الملايين. وماذا تساوي الملايين بجانب السكن والمودة والرحمة، وتبعُّل المرأة لزوجها ورعايتها لأولادها؟

ان الملايين — مهما كثرت وتعددت — لا تمنح صحة أو عافية، ولا تحقق سعادة وراحة بال.. كما تفعل الزوجة الصالحة

التي تسعد زوجها، وترشد أطفالها، وتقيم أسرة هانئة. وصدق الرسول الكريم فيما قال عليه الصلاة والسلام «**الدنيا متاع.. وخير متاعها الزوجة الصالحة**».

وحسب المرأة تكريما.. وارتفاعا بها عن أن تكون مجرد سلعة أو متعة: ان الاسلام حرم نكاح زوجات الآباء، وحلائل الابناء، والخالات والعمات والاخوات وبنات الاخوة والأمهات والاخوات من الرضاع.. بالاضافة الى أن في الزواج بهن تخليطا وتغليطا لأنساب الأقرباء.

وفي القرآن سورة كاملة من طوال السور سميت باسم (سورة النساء) لاشتمالها على الكثير من حقوقهن وواجباتهن.. عدا ما ذكرن فيه من سور أخرى.

وفي الحديث: «**مسكين رجل ليست له امرأة، وان كان كثير المال. ومسكينة امرأة ليس لها زوج وإن كانت كثيرة المال**».

وحدَّثني أحد طلابي بالجامعة أنه يعجب من حديث نبوي يقول فيه صلى الله عليه وسلم: «**يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب الأسود**»، ووجه عجبه: أن الاسلام كرم المرأة تكريما عظيما، وساواها بالرجل في الحقوق والواجبات، وفي الثواب على الأعمال الصالحات.. فكيف يسوِّي بينها وبين الحمار والكلب الأسود في قطع الصلاة؟

واستمهلت الأخ المستنكر لهذا الحديث حتى أراجع ما قيل حول هذه المسألة ثم أجيبه بما أرجو أن يكون شافيا لصدره، ومزيلا لعجبه..

الواقع ان الأئمة الفقهاء اختلفوا في قطع المرأة وغيرها لصلاة المصلي، والاكثرية ذهبت الى أن الصلاة لا يقطعها شيء، وهم الأئمة مالك وابو حنيفة والثوري والشافعي.. استنادا للحديث الذي يرويه أبو داود، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «**لا يقطع الصلاة شيء**» ولِمَا تحدثت به عائشة رضي الله عنها أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يصلي في بيتها وهي معترضة بينه وبين القبلة. وهو أثر عن عائشة متفق عليه، ولأثر آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أقبل راكبا على حمار أتان، والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بمنى الى غير جدار، فمر بين يدي بعض الصف.. فلم ينكر عليه أحد — وهو أثر متفق عليه أيضا.

وهناك أثر ثالث عن الفضل بن العباس رضي الله عنهما رواه ابو داود، وجاء فيه قوله: «أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في بادية، فصلى في صحراء ليس بين يديه سترة، وحمار لنا وكلبة يعبثان بين يديه، فما بالى ذلك».

وذهب الحنابلة الى الأخذ بحديث أبي هريرة الذي يرويه مسلم وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب» ورواية أخرى لأبي ذر جاء فيها وصف الكلب بأنه (الأسود) وانه سأل رسول الله عليه الصلاة والسلام: لماذا الكلب الأسود وحده دون الأحمر والاصفر فأجابه الرسول: بأن «الكلب الاسود شيطان» وقد روى حديث ابي ذر مسلم وابو داود.

وقد ذكر صاحب «الشرح الكبير» اعتراض السيدة عائشة على الحديث وقولها: «عدلتمونا بالكلاب والحمر» أو في رواية أبي داود: «بئسما عدلتمونا بالحمار والكلب».

كما أن هناك رواية ثالثة — في المسألة — عن ابن عباس.. اضاف فيها الى الكلب والحمار والمرأة: الخنزير والمجوسي واليهودي انهم يقطعون الصلاة اذا مروا بين يدي المصلي!

وبعد كتابتي ما سبق أردت أن اعرف تعليق الامام النووي — في شرحه لصحيح مسلم — فوجدته يكتفي بنقل قول لابن الملك: أن البعض يذهب الى قطع الصلاة لظاهر الحديث.. ولكن الجمهور على عدم بطلانها، وقد أولوا «القطع» بالنقص لشغل القلب بهذه الأشياء».

كذلك نجد في شرح سنن أبي داود المسمى «عون المعبود» نقلا عن الحافظ الترمذي: أن العمل عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من التابعين.. قالوا لا يقطع الصلاة شيء — وذهب الطحاوي وغيره الى أن حديث ابي ذر وما وافقه منسوخ بحديث عائشة وغيرها الخ.

هذا ما وصلت اليه في المسألة.. ولا شك أن مذهب الأكثرية هو الأرجح.. وبخاصة بعد اعتراض السيدة عائشة منذ ذلك التاريخ مما يدل على أن هناك ترجيحا قديما بين الروايتين أو ربما كان هناك نسخ لاحداهما بالأخرى □

العلاقات الإنسانية

ركن هام في التنظيم الإداري الحديث

بقلم: د. سلامة أحمد الشواف / الرياض

بدأت الحركة العلمية في التنظيم الاداري — Scientific Movement بتوجيه جل اهتمامها نحو البحوث والتجارب التي تنصب على تحسين الكفاية الانتاجية، مثل دراسة الحركة والوقت والحوافز المادية، وتحليل العمل وتوصيف الوظائف، مما ساعد على التوصل الى الاركان العلمية للتنظيم الرسمي — Formal & Official Organization واستنتاج القواعد واللوائح والنظم والجزاءات والقرارات التي تحدد الصلات الرسمية والاختصاصات والمسؤوليات والواجبات بين الوظائف في الأجهزة والمنظمات.

وقد اتضح فيما بعد من خلال تطبيق تلك الأسس العلمية الجديدة قصورها وتركيزها على الجوانب المادية الآلية — Mechanistic واهمال الجوانب الانسانية المعنوية والكفاية البشرية — Humanistic، وتولد عن ذلك مشاعر الغبن والاستغلال، وبدأت مقاومة هذه التطبيقات بين العمال والموظفين تأخذ مظاهر جديدة عرفت باسم التنظيم غير الرسمي — Informal Organization والتي يمكن الاستدلال على ملامحها من خلال بعض المواقف والتصرفات مثل:

- مقدرة الجماعة على تحديد العمل وحمل افرادها على التقيد والالتزام بمعدل ساعات وكمية عمل معينة.
- مقدرة الجماعة على أن تضع لنفسها برنامجا وتجبر افرادها على اتباعه كأن توحي اليهم بعدم نقل أي معلومات الى الادارة تضر بالزملاء حتى لا ينظر الى أحد الأعضاء بأنه مخالف أو تقول لهم اهملوا التمسك بالرسميات ولو اتحدنا لاستطعنا أن نجبر الادارة على احترامنا والتهادن معنا.
- تستعمل الجماعة في محادثاتها نفس الكلمات والتعبيرات ذات الاستعمال العام ولكن نفس هذه الكلمات قد تعطي لهم مدلولا ومعنى خاصا لا يفهمه الا هم.
- تثير الجماعة في حديثها امورا تكون قد جرت بينهم ويشعر معها أي شخص من خارجها انه غريب عن هذا الجو.

لقد كانت هذه المواقف وأمثال هذه التصرفات حافزا لاعادة النظر في أركان التنظيم ومراعاة مثل هذه التصرفات وأخذها في الحسبان، واعطاء الجانب الانساني والعلاقات الانسانية ثقلا واهتماما.

ولا يعني الاهتمام بالجانب الانساني في العمل تدليل العاملين والموظفين كما يعتقد البعض خطأ، وإنما يعني ايجاد جو من العلاقات الانسانية الطيبة الهادفة والموجهة والبناءة التي تراعي أنسب الظروف للعمل.

ويعتبر إلتون مايو — E. Mayo من أول الباحثين المعاصرين الذين تنبهوا الى هذا الجانب الانساني في العمل من خلال تجاربه وابحاثه، ثم تابع فريق من الباحثين بجامعة ميتشجان الامريكية خطوات مايو وركزوا ابحاثهم على العلاقة بين المشرف والمرؤوس في أنواع مختلفة من مواقف العمل وتأكد لهم:

- ان العلاقات الانسانية الطيبة لا تتعارض مع حسن الادارة ولا مع عامل الربح.
- ان مفهوم العلاقات الانسانية لا ينبع من عامل الشفقة او الانسانية فحسب بل انه يعكس مبادىء علمية سليمة لأن نوع الاشراف الملائم لطبيعة العمل والذي يراعي احتياجات العاملين يؤدي الى زيادة الانتاج والربح.

* ان الهدف ليس في الزيادات العارضة للانتاج وإنما هو في الانتاجية المستمرة والدائمة — Sustained Productivity

يتضح من هذا أن التنظيم الرسمي العلمي وحده لا يكفي للنجاح في العمل وانه لا بد من التأكيد على دور العلاقات الانسانية كركن هام في انجاح التنظيم وتأديته لرسالته. فما هي الدعائم التي تساعدنا على احداث التنظيم الانساني الجيد؟

إن محاولة استخلاص تلك الدعائم والأسس ليس بالمهمة السهلة، ولكنها فيما أرى تستحق كل ما يبذل فيها من جهد ووقت لأن فائدتها ونفعها يعم الملايين من البشر ويعين الأجهزة والمنظمات على تحقيق أقصى قدر من الكفاية الانتاجية والكفاية البشرية بأقل قدر من النفقات والجهد والوقت.

وفيما يلي نتناول بعض الدعائم والأسس التي ينبغي مراعاتها والأخذ بها لتوفير جو العلاقات الانسانية وتنميتها بين العاملين في الأجهزة الحكومية والأهلية:

أولا: ضمان حسن اختيار وتوظيف جهاز العمل للتأكد من صلاحية اداء الافراد لدورهم في المنظمة، وهذا يستدعي:

* تحليل العمل الذي يقوم به كل فرد — Job Analysis .
* توصيف العمل وتوفير المعدات اللازمة له ومعرفة الوقت الذي تحتاجه عملياته — Job Description .
* وضع الفرد الكفء في الوظيفة المناسبة، فلا تكون الوظيفة فوق مستواه فيملها ولا تكون أقل من كفاءته فيحتقرها أي أن تكون عملية شغل الوظائف دقيقة قدر الامكان.

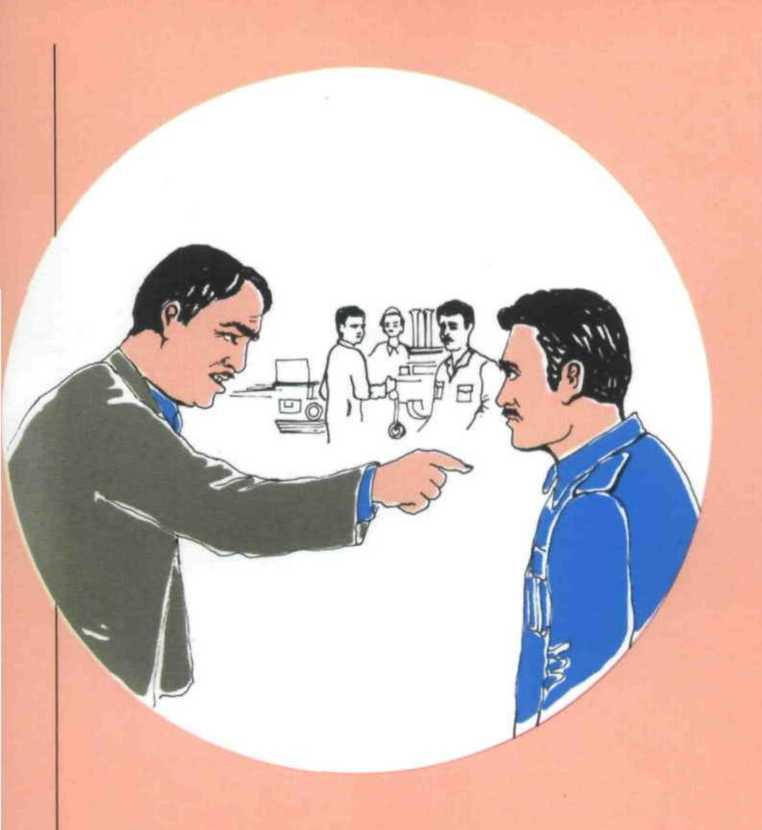
ثانيا: ان تكون أساليب التنظيم واللوائح التي تأخذ بها وتطبقها المنظمة ذات أثر طيب ينعكس على رفع الروح المعنوية للجماعة ويزيد من تحمسها وربط افرادها بالعمل، ويتطلب ذلك:

* وضع أهداف المنظمة في لوائح وقرارات واختصاصات محددة تناسب كفاءة وتخصص كل شخص.
* توضيح طريقة التنفيذ والوسائل المادية والمالية والادارية التي يمكن استخدامها موزعة حسب الزمن والبنود.
* ربط الاشخاص ببعضهم بوسائل اتصال سليمة وتحديد العلاقات بين الوظائف بحيث يدرك كل واحد حدود وظيفته وعلاقته مع غيره الى اعلى أو أدنى.
* وضع مقاييس واضحة تمكن من قياس نقاط الضعف والقوة، ويمكن الاعتماد عليها في متابعة وتقييم انتاج العاملين.

ثالثا: ان تكون الادارة قوة دافعة للعاملين بتهيئة جو العمل المناسب من اضاءة وتهوية وهدوء مع تتبع حالة العاملين الشخصية في داخل بيئة العمل وخارجها.

رابعا: أن نهتم بتجديد وانعاش معلومات الافراد ونطلعهم على كل جديد بأسلوب متطور يختلف عن أسلوب الحفظ والتعلم النظامي النظري. ويحسن أن يتم ذلك في صورة مناقشة وتبادل الرأي والمعلومات وحلقات البحث والندوات.

خامسا: أن تراعى الاختلافات الفردية فلا نعامل الجميع معاملة واحدة.



سادسا: ان يتحقق مبدأ المنفعة المتبادلة بمعنى أن المنظمة أو المؤسسة عليها أن تفيد العاملين وتحرص على تأمين حقوقهم، سواء بالأجر الطيب أو السكن المريح أو التغذية أو تنظيم اوقات الفراغ والاجازات، بنفس مستوى حرصها على تأديتهم لعملهم على الوجه الأكمل، أي أن الجهة يجب أن تستفيد وتفيد بمقياس عادل.

سابعا: ان تراعى الكرامة الانسانية في المعاملة، فينبغي أن نعامل الفرد باحترام وان نحفظ آدميته وكرامته بحيث:

* نراعي شعور كل شخص ونبرز صفاته الطيبة ونمدحه بها، ونسأل عن أحواله وأولاده وأسرته ونشعره بأننا نهتم بأمره، ويفضل التعرف الى اسمه ومناداته به دائما وان نقابله بالابتسامة.
* تكون المعاملة عادلة فلا نستلطف شخصا ونتحيز له دون غيره.
* نبتعد عن اللوم المباشر، ونحوره عند اللزوم او عندما يتضح الاهمال، بأن ندعي أن الظروف أو الاعذار كانت من وراء هذا الاهمال. وهذا نوع من التأنيب الخفي.
* نمنح العاملين فرصا للترقي والتقدم فنفتح امامهم أبواب المستقبل.
* نستمع اليهم في مسائل العمل والمسائل الخاصة أيضا ونعاونهم في الحصول على ما يحتاجونه قدر الامكان.
* نحترم آراء العاملين ونتحدث فيما يحبون التحدث فيه دون جدال كثير مع مساعدة الشخص في الوصول الى النتيجة.
* نحث الافراد على زيادة الجهد بالبحث عن دوافعهم النبيلة والثناء عليهم وجعل الموقف في صورة التحدي بالنسبة لهم، أو اظهار العمل في صورة مبسطة أمامهم.



* واذا شعر الشخص بخطئه فعلى المشرف أن يحتفظ له بماء وجهه وتقديم الحل في شكل اقتراح مهذب لا بشكل أمر يملى عليه.

ولعله من الممكن أن نذكر في ذلك الكثير من واقع التجارب ونتائج الحياة والعلاقات السائدة بين الناس.

ومن المفيد لمن يكون في منصب الريادة أو الاشراف أن يهتم قدر الامكان بمثل هذه الدعائم الانسانية لما تؤدي اليه من فائدة وفعالية في كفاية العمل واستمراره وتنظيمه وضمان ولاء ورضاء المنتسبين لأجهزة العمل ومنظماتها.

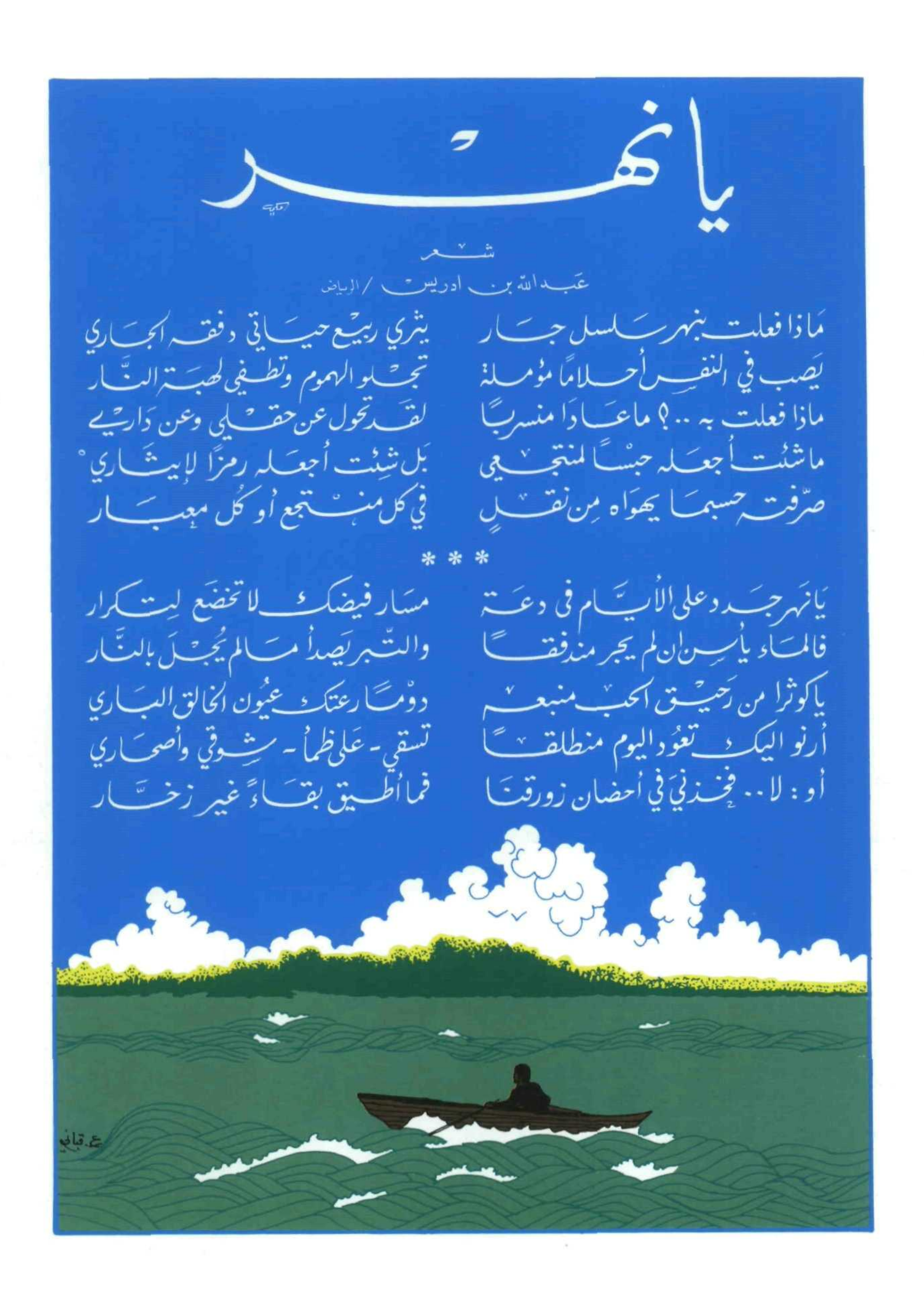
وتسهيلا للأمر نجد أن المهتمين بالعلاقات الانسانية قد توصلوا الى جمع هذه الدعائم الانسانية في كلمة «اللفتة الانسانية — Human Touch » واتخذوا منها منطلقا لهذه العلاقات واستخلصوا دلالاتها الشاملة من كل حرف فيها على النحو التالي:

استمع الى الشخص
تفهم واحترم مشاعره
شجع ميوله
قدر جهوده
مده بالمعلومات والأخبار
دربـه
أرشده وافتح عيونه لما هو مفيد
عامله كفرد له خصائصه وخصاله
اتصل به دائما
اكرمه كشخص

لذا فقد أصبحت الفلسفة الحديثة للعلاقات الانسانية في التنظيم الاداري، تقوم على الأسس الآتية:

* ان العامل أو الموظف ليس آلة وإنما هو انسان له رغباته وحاجاته وميوله ومعتقداته ومشاكله وتطلعاته.
* انه وهو في مكان عمله، لا ينفصل عن المجتمع الكبير الذي يعيش فيه ومن ثم فهو يأتي الى عمله محملا بالانطباعات السائدة في مجتمعه.
* انه لا ينفصل عن زملائه، وان العاملين يميلون الى المجتمع غير الرسمي الذي قد لا يتفق مع التنظيمات الادارية، لأنه يخضع لمؤثراته الشخصية ومؤثرات جماعية.
* ان اسلوب الاشراف والقيادة له أثره في رفع الروح المعنوية والرغبة في العمل وكفاية الانتاج.
* للاتصالات اهميتها في خلق التفاهم المشترك بين الموظفين وجهاز الاشراف وفي توفير المعلومات نحو التعاون بينهم.
* وانه بنفس نظرة الادارة الى الموظفين تنعكس وتتحدد نظرة الموظفين الى الادارة وتتضح استجابتهم واسلوبهم نحو العمل ونقص او زيادة الكفاية الانتاجية.

وانطلاقا من ذلك يستطيع خبير التنظيم أن يدرس ويتوصل الى علل التنظيم في المنظمة التي يعمل بها كما يستطيع في ضوء الأسس التي سردناها أن يقدم الاقتراحات وان يضع الاجراءات والأساليب الادارية الحسنة التي تضمن استمرار العمل بشكل فعال يقضي على المشاكل ويضمن الاداء الصحيح والتوصيل الاداري السليم من القمة للقاعدة والعكس □



يا نهر

شعر

عبد الله بن ادريس / الرياض

ماذا فعلت بنهر سلسل جار ... يثري ربيع حياتي دفقه الجاري

يصب في النفس أحلاماً مؤملة ... تجلو الهموم وتطفي لهبة النار

ماذا فعلت به ..؟ ما عاد ذا منسرباً ... لقد تحول عن حقلي وعن داري

ما شئت أجعله حبساً لمنتجعي ... بل شئت أجعله رمزاً لإيثاري

صرّفته حسبما يهواه من نقل ... في كل منتجع أو كل معبار

* * *

يا نهر جدد على الأيام في دعة ... مسار فيضك لا تخضع لتكرار

فالماء يأسن ان لم يجر مندفقاً ... والتبر يصدأ ما لم يجل بالنار

يا كوثراً من رحيق الحب منبعه ... دوماً رعتك عيون الخالق الباري

أرنو اليك تعود اليوم منطلقاً ... تسقي - على ظمأ - شوقي وأصحاري

أو: لا.. فخذني في أحضان زورقنا ... فما أطيق بقاء غير زخار

فقه دلالات الكلام

تمارس اللغة: لنعرف معنى الكلمة، أو لنحيط بفكرها، او لنحس بقيمتها الجمالية. ففكر الكلمة لا يؤخذ من مجرد تسمية المضمون الذي تدل عليه المفردة كدلالة العدم على معناها. وانما يؤخذ من دراستنا الحسية والعقلية والخبرية والفلسفية للمضمون ذاته.

اننا نعرف العدم لغة ببضع كلمات، ولكن فكر كلمة العدم لا يحصل الا بتأليف مستقل. وهكذا فكر كلمة اصولية كالقياس. وهكذا فكر كلمة نقدية كالالتزام. وهكذا فكر كلمة اجتماعية كالاغتراب. واما الاحساس بالقيمة الجمالية فشأن عشاق الجمال الفني.

وانما يؤخذ مآل الايحاء — المحقق لقيمة جمالية — فيضم الى حقل الدلالة على المضمون. فعندما يقول ابن الرومي مثلا:

ويلاه ان هي أقبلت أو أدبرت
وقع السهام ونزعهن اليم

نعلم ان في قوله ايحاء جماليا نعشقه ونتذوقه، وننظر له لترسية القيمة النقدية.

ونأخذ المآل — وهو مراد الشاعر غير المباشر — عن فاتنة تؤلم اقبالا وادبارا فنصنفه في نوعية من نوعيات الدلالة.

ويهمني في هذه العجالة الحقل الأول، وهو معنى الكلمة. واعلم ان هذه العجالة لا تسمح، باستقصاء موضوع حيوي كهذا، وانما اعمل ما بوسعي، فالفت النظر الى مجامع دلالات الكلام، وابين ما لا يزال حتى الآن ضروريا للتخصص العلمي — رغم اننا نشكو الآن ظاهرة التراكم الثقافي في حقول أخرى، وأضرب المثال بكلمة واحدة ولتكن «ق — ر — ب» لأن المثال شارح غير حاصر.. في حقلين ارى انهما امس وهما دلالة المفردة ودلالة الصيغة. واقصر دلالة الصيغة على الصيغ الفعلية.

مجامع دلالات الكلام وماهو ضروري منها للتخصص العلمي

هناك مدلول اللغة، وهناك مراد المتكلم. ومراد المتكلم لا بد أن يكون جزءا من معاني اللغة. فما صح لغة فهو دلالة تصحيح. وما تعين به مراد المتكلم فهو دلالة الترجيح. ومن شرط دلالة الترجيح ان يسبقها التصحيح. ومعنى «ق- ر— ب» هو معنى المفردة. ومعاني قرب، واقترب، واقتراب، وتقارب.. الخ: هو معاني الصيغة أو الوزن.

ولا يكون أي واحد من معاني اللغة مرادا للمتكلم حتى تكون الكلمة في سياق كلام يؤلف جملة أو جملا مفيدة. ويفقه سياق الكلام بعلمي النحو والبلاغة والقرائن الخارجية من المعهودات الحسية والفكرية.

وثمة حقول ثلاثة تمس الحاجة الآن بتخصيصها للجهد العلمي الجماعي وهي:

أ — تنظيم معاني المفردة بطريق الاشتقاق المعنوي. لا اعلم في هذا الحقل كتابا متخصصا غير مقاييس اللغة لابن فارس، وعليه مؤاخذات أشرت الى بعضها في كتابي «اللغة العربية بين القاعدة والمثال». وإنما توجد ومضات غير منهجية في بعض كتب اللغة، ككتاب العين للخليل، والتهذيب للأزهري، والجمهرة لابن دريد، والاساس للزمخشري، والمفردات للراغب. وتوجد تجليات في كتب الاستنباط كتفسيري الرازي وابي حيان، وحواشي كتب الفقه، وشروح الحديث. وليس بوسع الفرد اقتناص مثل تلك التجليات.

ب — تنظيم معاني الروابط (حروف المعاني). وكتب معاني

بقلم: الأستاذ أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري/ الرياض

الحروف — على قلتها — لم تصل بعد الى بدايات ابن فارس في تنظيم معاني المفردات. ترد احيانا اشارات كقولهم: الباء للألصاق، وما عدا ذلك فروع. الا أنه لا يوجد كتب منهجية تبرهن على الأصل، وتنظم المعاني المشتقة من الأصل.

ج — احصاء معاني الصيغ، والتأصيل لها، وتنظيم معانيها. وانما توجد فلتات — غير مبرمجة — في كتب الصرف كشرح الاستراباذي لشافية ابن الحاجب، وديوان الأدب للفارابي.. وبعض تجليات في كتب الاستنباط.

دلالة المفردة من "ق - ر - ب"

قرر الامام ابن فارس: ان الاصل في هذه المادة يدل على خلاف البعد[1]. وقرر في «ب — ع — د» اصلين هما: خلاف القرب، ومقابل قبل[2].

وهكذا فعل الراغب فقال: «البعد ضد القرب، وليس لهما حد محدود، وانما ذلك بحسب اعتبار المكان بغيره»[3]. قال ابو عبدالرحمن: القرب اسم علاقة بين شيئين، فلما اقول: «قرب زيد»: فلا بد من شيء آخر غير زيد كداره مثلا.

فالقرب اسم للعلاقة بين زيد والدار. واسماء العلاقات كمثل وقبل وبعد وقرب وفوق وتحت وطويل وقصير: تظل نسبية.

قال ابو عبدالرحمن: لم ار احدا ذكر معنى القرب مشتقا من معنى آخر مما يدل على أن «القرب بمعنى ضد البعد»: معنى أصيل غير مشتق، وانما الاشتقاق منه.

(١) «مقاييس اللغة» ٨٠/٥

(٢) «مقاييس اللغة» ٢٦٨/١.

(٣) «المفردات» ص/٥٣ وانظر ص/٣٩٨.

بل ان «ابا القاسم الزجاجي» الذي تعنى لبحث اشتقاق اسماء الله سبحانه ذكر معاني القرب، ودل سياقه لها على أن مآلها الى معنى ضد البعد. بل نص على ان القرب بمعنى ضد البعد.

ولم يذكر هذا المعنى «الضدي» مشتقا من معنى آخر[4].

دلالة الصّيغ الفعلية مِن "ق - ر - ب"

ورد في لغة العرب «قرب يقرب» بفتح القاف والراء في الماضي، وضم الراء في المضارع: اذا كان سيرد الماء صبيحة ليلته[5].

قال ابو عبدالرحمن: صيغة فعل — بفتح الفاء والعين — هي صيغة الفعل الحقيقي الحركي الغالب استعمالها لكل فعل تشترك فيه الجوارح.

فاستعمال «ق — ر — ب» على صيغة فعل المفتوحة نقلها من فعلها الأصلي — وهو العين — الى فعل حركي، فصارت قرب مضمنة معنى السعي والمشي وما في حكم هذين المعنيين بحيث صار الشيء قريبا منه.

وليس المعنى — بالنسبة لصيغة فعل بالفتح —: انه كان في ذاته قريبا: أي متصفا بالقرب. بل هذا لازم معنى وليس معنى مباشرا؛ لأن الشيء اذا قرب منك فقد لزم انك قريب منه.

ويرى جمهور الصرفيين: أن باب فعل لخفته لم يختص بمعنى من المعاني بل استعمل في جميعها، لأن اللفظ اذا خف كثر استعماله واتسع التصرف فيه[6].

قال ابو عبدالرحمن: الواقع ان الخفة ظاهرة معللة باتخاذها اصلا للفعل الحقيقي الاغلبي، وهو الفعل الحركي أو ما نزل منزلته في الاعتبار.

(٤) راجع كتاب «اشتقاق اسماء الله» ص/١٤٦ — ١٤٨.

(٥) «ديوان الأدب» ١٠٠/٢.

(٦) «شرح شافية ابن الحاجب» للاستراباذي ٧٠/١.

وقالت العرب: قربته قربانا أقربه ــ بكسر الراء في الماضي، وفتحها في المضارع ــ[7]: بمعنى دنوت منه[8]. هذا في المتعدي، وفي اللازم: قرب القدم اذا قارب الامتلاء[9].

قال ابو عبدالرحمن: قد يكون القرب علة اذا كان قربا من شر، ويكون ضد العلة اذا كان قربا من خير. وصيغة فعل ــ بكسر العين ــ للاعراض كالعلل واضدادها. وقالت العرب: قرب قربا يقرب ــ بضم الراء في الماضي والمضارع ــ[10] بمعنى اتصف بالقرب.

وهذه الصيغة هي الأصل في استعمال مادة (ق ــ ر ــ ب) لأن فعل بضم العين اصل في الغرائز وما في حكمها.

فحسن لا تدل على فعل قام به الشخص، وانما تدل على اتصافه بتلك الصفة.

وقالت العرب: أقربت المرأة: بمعنى: قرب ولادها. فالصيغة ها هنا تدل على الحينونة وأقربت السيف: جعلت له قرابا.

قال ابو عبدالرحمن: من معاني هذه الصيغة التعدية والنقل. واقربت القدح من قولهم: قدح قربان: أي مقارب للامتلاء.

وجاءت على هذه الصيغة لأن المراد الحينونة[11]. وقالت العرب: قربه ــ بتشديد الراء ــ فتقرب. وهذه الصيغة للتعدية، وتختلف عن تعدية صيغة «افعل» بالنوعية: فأسكنه جعله ساكنا اما دفعة واحدة، واما بدون جهد.

وسكنه ــ بالتشديد ــ جعله يسكن اما بالتجزئة، واما بجهد.

وقد فقه محققو العلماء امثال هذه الفروق من أمثال ابن قيم الجوزية في كتابه «عدة الصابرين» في بحثه لصبر وتصبر.

وقرب الفرس اذا رفع يديه معا ووضعها معا في العدو، لأن الفرس فعل التقريب في اعضائه.

وقرب قربانا: أي فعل القربان[12] مثل كوف: أي دخل الكوفة.

وقال العرب: قاربه[13].

قال ابو عبدالرحمن: صيغة «فاعل» الاصل فيها تتابع الفعل سواء أكان من طرف واحد مثل «سافر» ام كان في طرفين مثل «لاعبه»، لأن المراد تابع الفعل بذاته، او تابعه، او تابعها، أو تابعهم.

وقد برهنت على هذا الاصل في بعض مباحثي.

وقالت العرب: اقترب الوعد.

وزعم الفارابي: ان ذلك بمعنى تقارب[14].

وقال الألوسي عن قوله تعالى: ﴿**اقترب للناس حسابهم**﴾ (سورة الانبياء/1): «والمشهور ان اقترب بمعنى قرب. وحكى في البحر[15] انه ابلغ منه لزيادة مبناه»[16].

قال ابو عبدالرحمن: عجيب ان يجعل الاصل حكاية، ويكون الخطأ مشهورا!!

ان الاصل: زيادة المعنى لزيادة المبنى.

والاصل أيضا: ان لكل صيغة معنى غير معنى الصيغة الأخرى. ومن معاني افتعل ــ كاقترب ــ الثقل، فيكون الذي سيقرب امرا ثقيلا.. اما تقارب فيأتي ــ ان شاء الله ــ بيان معناه.

وقالت العرب: تقرب ــ بتشديد الراء ــ مطاوع قرب.

وتقرب الى الله بشيء: اي فعل القرب من نفسه ليكون قريبا.

وصيغة تفعل تدل على الفعل بمشقة وجهد[17].

وقالت العرب: تقارب ضد تباعد[18].

والاصل في تفاعل كالاصل في فاعل.

الا أن الأصل في فاعل أن يكون الفعل متتابعا من واحد، والاصل في تفاعل ان يكون من فاعل فأكثر.

قال ابو عبدالرحمن: اللغة علاقة بين النفس والخارج ــ بين العارف والمعروف ــ.. وادق اللغات واحذقها منهجا ما اتسعت قاعدتها لتدل على كل موجود كما هو معروف، فقد تدل على الواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث والحاضر والغائب والمخاطب والمتكلم والعاقل.. الخ بقدر ما في المعروفات من فوارق تميزها.

وعلم كل أمة مشروط بلغتها، فلا نحسن فهم دين ربنا ومأثورنا من شهر وخبر وصيغ عقود وشروط.. الخ الا بفقه منظم ودقيق لأوجه الدلالة في لغة العرب.

وحسب هذه العجالة ــ ان ملأت الفم، ولم تملأ البطن ــ انها نبهت الى منهج مغفول عنه، ورسمت اسوة حسنة من مادة «ق ــ ر ــ ب» لمن يريد الاقتراب من نفائس هذا الكنز الدلالي □

---

(7) «ديوان الأدب» 2/225.
(8) الصحاح» 1/198.
(9) «شرح شافية ابن الحاجب» للاستراباذي 1/72 وفي ص/73 ذكر عن سيبويه ان المتعدي على حذف الجار فقربته بمعنى قربت منه.
(10) «ديوان الأدب» 2/271.
(11) «ديوان الأدب» 3/283 و337 ــ 338
(12) «المصدر السابق» 3/341 و380 ــ 381.
(13) «المصدر السابق» 2/382.
(14) «المصدر السابق» 2/396.
(15) «البحر المحيط» لأبي حيان 6/295.
(16) «روح المعاني» 17/3.
(17) يراجع «ديوان الأدب» 3/438.
(18) «المصدر السابق» 3/466.

كتبٌ مُهدَاة





* «النظم الشفوي في الشعر الجاهلي» تأليف جيمز مونرو، وترجمة د. فضل بن عمار العماري كلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض، ونشر دار الاصالة للثقافة والنشر والاعلام بالرياض. يقع الكتاب في ١١٣ صفحة. وهو عبارة عن مقالة مطولة نشرها المؤلف بالعنوان المذكور سنة ١٩٧٢ في مجلة الادب العربي التي تصدر بالانجليزية وتقع المقالة في ٥٣ صفحة. ويرى المترجم ان ترجمته لهذه المقالة ربما فتحت بابا جديدا للدراسة في مجال الشعر الجاهلي تبين الركائز التي اعتمد عليها دارسو النظرية الشفوية.

* «رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الاجنبية» تأليف ابن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠هـ. اعداد وتحقيق د. احمد السيد الحسيسي، ود. عبدالكريم جواد الربيدي. يقع الكتاب في نحو ٩١ صفحة. قام المحققان بتحرير نص هذه المخطوطة القديمة وضبطها، واضافة ترجمات موجزة للاعلام الواردة اسماؤهم فيها. كما ترجم الدكتور الحسيسي النصوص الفارسية الواردة في الرسالة وتقع الرسالة المخطوطة ذاتها في اثنتي عشرة صفحة مصورة في الكتاب.

* «كفاية المتحفظ وغاية المتلفظ في اللغة العربية» تأليف ابراهيم بن اسماعيل المعروف بابن الاجدابي الطرابلسي المتوفى سنة ٤٧٠هـ. وتحقيق الاستاذ عبدالرزاق الهلالي. صدر هذا الكتاب عن دار الشؤون الثقافية العامة بوزارة الثقافة والاعلام في الجمهورية العراقية، ويقع في ١٥٢ صفحة. وهو عبارة عن مختصر في اللغة وما يحتاج اليه الكاتب من غريب الكلام وخاصة من الاسماء والصفات المحمودة والمذمومة في الرجال والنساء، وفي الابل والخيل والانعام والطير وفي الجبال والسهول والرياح والنبات والآلات وغيرها كثير.

* «رمضان عبر التاريخ» تأليف الاستاذ عبدالله حمد الحقيل. يقع الكتاب في نحو ١٢٢ صفحة. وقد اعطى فيه المؤلف فكرة عامة موجزة عن طريقة استقبال المسلمين لهذا الشهر الكريم وعاداتهم وتقاليدهم. كما ضمنه العديد من الآيات القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة والاشعار المشهورة،وكذلك اورد أسماء عدد من الأطعمة والأشربة التي يقبل عليها المسلمون في عدد من البلدان الاسلامية.

* «قمم من الفكر الاسلامي» للاستاذ نقولا زيادة، واصدار الدار الاهلية للنشر والتوزيع. يقع هذا الكتاب في ١٧٦ صفحة ويضم بين دفتيه مختصرا لسير واعمال ستة وعشرين مفكرا ومصلحا دينيا واجتماعيا وكاتبا ومؤرخا وطبيبا وفيلسوفا وحكيما ممن يعتبرون في قمة المجال الذي اشتهروا فيه. وقد بدأهم المؤلف بابن اسحق وابن هشام والامام الشافعي، وكملهم بابن خلكان وابن خلدون والمقريزي.

* «مهزلة عائلية» مسرحية باللهجة العامية المصرية للاستاذ جمعة محمد جمعة. وهي الكتاب الثامن من سلسلة «اشراقات ادبية» التي تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب في القاهرة. تقع المسرحية في ٩٢ صفحة، وقد جاء في آخرها دراسة مستقلة بقلم الاستاذ جلال العشري وتقع في ١٤ صفحة. ويقول فيها الدارس، في مطلع تعليقه على المسرحية: «وان (المهزلة العائلية) ليست مهزلة اسرة بعينها، او عائلة بالذات، ولكنها مهزلة مصر ما بعد العبور، مهزلة الاغتراب داخل الوطن، والعزلة بين ابناء المجتمع، والوحدة بين افراد الاسرة.» □



رسالة القافلة على مدى ٣٥ عاماً

يأتي صدور هذا العدد متوجا مسيرة دامت خمسا وثلاثين سنة لمجلة القافلة، وهي تحمل رسالة الفكر مجانا لكل قارىء، وماكانت هذه المجلة لتستمر هذه المدة الطويلة دونما توفيق من الله عز وجل أولا ثم الالتزام الصادق بخط سير واضح. فهذه المجلة لم تكن في يوم من الأيام وسيلة هدم للتراث ولا منبر تشويش وهدم فكري أو عقائدي أو نشر للغثّ الذي تروجه بعض الصحف والمجلات، وهذا العمل والالتزام ليس من السهولة بمكان التمسك به. خمس وثلاثون سنة وهذه المجلة تشهد تطورا مستمرا سواء في المادة المكتوبة وهي بيت القصيد،أو في الجوانب الفنية الأخرى من اخراج وورق وطباعة وغيرها. فهذه كلها متضافرة جعلت لهذه المجلة سمة ونكهة خاصة فريدة. وهي حين تحمل رسالتها الفكرية فانها لا تكل ولاتمل، علما بأنها تصدر عن شركة زيت ليس لها من قريب أو بعيد صلة بعالم الصحافة ومشاغلها بل ومشاكلها.

الا أن هذه الشركة قد أخذت على عاتقها النهوض باصدارها، ووجدت نفسها ملتزمة بذلك لأداء رسالة ثقافية فكرية اجتماعية، وأصبحت مسؤولية الكلمة امامها أمراً تحرص عليه، وبذلك أخذت مجلة القافلة مكانتها — ولا نبالغ اذا قلنا — بين المجلات العربية المرموقة، حيث أصبح نخبة من المفكرين والكتاب والباحثين السعوديين والاخوة العرب يساندونها ويأنسون بالتعامل معها ونشر ما لديهم من نتاج فكري جاد على صفحاتها. نعم خمس وثلاثون سنة وشمس هذه المجلة تشرق بينما شموس مجلات كثيرة في عالمنا العربي تغرب قبل أوان الغروب، ولكن شمس القافلة تتوهج،والحداة من حولها يسيرون متآزرين دونما فتور، والمولى يكلأها برعايته ثم بالتعاون الصادق المخلص من أصحاب الكلمة النيرة الهادفة.

وعلى أية حال، فالقافلة تواقة دائما الى المزيد من الاهتمام والتعاون من قبل الباحثين والمفكرين والكتاب والشعراء السعوديين لامدادها بنتاجهم وكذلك الاخوة العرب في المملكة وخارجها، والمجلة وهي تقدم هذه الدعوة لتعتز غاية الاعتزاز بما يصلها من الكتاب السعوديين على وجه الخصوص وتقدر لهم ذلك. ومن يطالع عددنا هذا يجد كوكبة جيدة من المفكرين السعوديين قد أثروه بأقلامهم..

وقبل الختام أود أن أهمس في اذن القارىء الكريم الى أن مجلة القافلة قد درجت منذ زمن بعيد على اصدار كتيب يسمى مختارات القافلة، كل عشر سنوات هو بمثابة مقالات نشرت سابقا في اعداد المجلة، الا أن ذلك الكتيب لم يكن ليصل الى كل الكتاب فما بالك بالقراء؟! لذلك فقد عدلنا عن هذه الفكرة الى هذا العدد الممتاز ليصل من ثم الى كل القراء والكتاب على حد سواء تقديرا لمؤازرتهم واسهامهم معنا بنشر نتاجهم النير، وتقديرا أيضا منا الى كل من أسهم ويسهم معنا بقلمه سابقا وحاضرا ولاحقا.. ونخص بالشكر كل من أسهم في هذا العدد الذي يصدر بهذه المناسبة.

سدد الله الخطى وألهمنا الصواب الى ما يحبه ويرضاه والحمد لله رب العالمين □



رئيس التحرير



راجع مقال : انفجار نجم عملاق متجدد
"سوبرنوفا" ظاهرة كونية مذهلة

رَاجع مقَال : مَسـيُرة التعـليم

